# الينبوع

نظم

أحمد زكي أبي شادي

# الينبوع

نظم

أحمد زكي أبي شادي

# THE FOUNTAIN

## Collected Poems

By

A. Z. Abushady

الطبعة الاولى

( يناير سنة ١٩٣٤ )

١٦٢ قصيدة ومقطوعة
٢٢٠٧ بيتاً

المطبوع الف نسخة
الثمن مائة مليم

( رسم الينبوع بريشة الفنان محمد محسن بدوى )

# تصدير

يستقبلُ هذا الديوانُ عامَ ١٩٣٤م . بمجموعة شعري غير الدرامي منذ صدور ديواني « أطياف الربيع » حتى نهاية سنة ١٩٣٣ م . التي أودّعها وأنا أحبّر هـذه السطور بين أطيافها الأخيرة .

ولي كلمة أوجّـهها إلى مريدي هذا الشعر وإلى غير مريديه على السواء : تلك هي أنه لا سلطانَ لي على قرضه ، بل أنا مرغَمٌ ارغاماً عليه بدوافع نفسية لا أملـكها تُـزجيني الى هذه التعابير النظمية . فليس محتوماً على غير مريديها أن يَطـّـلعوا عليها حتى أكون معـرّضاً لمؤاخذتهم إيايَ ، وليس محتوماً على مريديها أن يدافعوا عنها إلا في مجال النقاش الفني ، فللناس أذواق تتباين ولابد لتذوّق الآداب والفنون من وجود تجاوب بينها وبين ناقديها ، ومن الخير الأدبي وجودُ هذا التبايُـن في مبلغ هذا التجاوب واحتـكاكُ المذاهب الأدبية بعضها ببعض ، لا أن نستاءَ من ذلك الخلاف [illegible] ونعمل على القضاء عليه ، فانّ هـذا الاستياءَ في ذاته يُنافي روحَ الفنيةَ ، ومحاربةُ الجهود البريئة المنوّعة التي هي عوامل النهضة الفنية وقوامها — حتى ولو كان بعضها مصطبغاً بالصبغة التقليدية المحافظة — إنما تُعدُّ وَصمَـةً [illegible] والفنّـانين .

وما كان ثمة داعٍ لنشر هذه الأشعار ولا ما سبقها من دواويني لولا نوازع صوفيه وجدانية تُحبب ذلك إليَّ كأنما أنا مكلّـفٌ برسالة أؤديها ، فانّ عهـدي بشعري يَنتهي حينما أنتهي منه ، وقـلّما أحفظ منه شيئـاً ، ولولا ذلك لما ضاع ما ضاع من شعري الـكثير في عواصف السياسة أثناء اغترابي الطويل عن وطني ، فضاع بضياعها سجل طويل لحياتي العاطفية . وعُذرٌ آخر — إنْ كنتُ مطالَـباً بعـذر — لوفرة دواويني : ذلك أني على كثرة انتاجي الشعري لا أنشر الاّ النزرَ اليسير منه في الصحف ، ولا أستـثني حتى مجلة ( أبولو ) الشعـرية التي أوثر وَقفَ معظم صفحاتها على الـكثيرين من شعراء الشباب وعلى الشعراء المجيدين المغمورين ، مما أتاحَ لهؤلاء المعاصرين أن يذيعوا آثارَهم ، خلافاً لمثلي الذي لم يَبـقَ له منبرٌ حرٌّ غير صفحات دواوينه .

إنَّ الشاعرَ الفنَّانَ تستهويه رُوحُ الجمال وتحفزه الى ابداع المُثُل الجميلة التى يرتضيها ذوقهُ ، وهو لا يعنيه أصلاً أن يخدم النزعات الخلقية ولا غير الخلقية بشعره؛ فهذه وظيفةٌ اضافيةٌ قد يؤدِّيها الفنَّانُ ، ولكنها ليست مهمتَه الأُولى ولا الأخيرة . واذا أصبحتْ مثلُ هذه العوامل دوافعَ فنية صريحة عنده فَسَدَ فنُّه حتماً ، فانّ الفنانَ يجلو لنا فنَّه ولكنه لا يصيح ولا يعلن عن دوافعه الخلقية والوطنية وأمثالها ، بل هى تعلن عن نفسها اعلاناً هادئاً يُلْمَحُ من خلال العمل الفنّى ولا يُغطِّيه . ولا يغرب عن البال أن مقاييس الفضيلة والرذيلة المعهودة ليست فى معظمها بالمقاييس المستقرّة التى تحتم الايمان بها وحتى اعان الفنون .

وليست هذه هى النقطة الفريدة التى يشعر مثلى بالحاجة الى معالجتها فى هذا التصدير تعليقاً على نقد بعض الأدباء على الشعر الحديث وعلى شعر صاحب هذا الديوان خاصةً . فهناكَ مَنْ يرون أنَّ من الواجب حصرَ الشعر فى موضوعات معيَّنة كأنما الشاعرُ المفنّ يعجز عن التعبير الجميل اذا ما تجاوبتْ عواطفُه وأخيلتُه مع أى عامل من عوامل هذا الكون الفسيح المدهش ، كيفما دقَّتْ أو عظمتْ .

من العبث أن يقصر الشاعرُ همَّه على الفضيلة ، فالفضيلةُ والرذيلةُ على السواء من مواد الفنّان كما يقول أوسكار وايلد ، وليست مَرائى الشعر عند استيعابه هى مَرائى الحياة ولكنها نفوسُ قرائه ، والشعرُ الذى يُثير خلافاً حادّاً حوله يدلّ على حيويته وقوته . كذلك كانت أشعار المتنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى بين أعلام الشعر العربى . . . . والشعرُ فنٌّ تعبيريٌّ لا يُقصد منه الى الفائدة ، ولكنه كفيلٌ بها فى تربية الروح الفنّى وما يؤدى اليه ذلك من التسامى بنفسية الأمة بل بالانسانية عامة ، شأن جميع الفنون الجميلة . فلا غبار اذن على فائدة الشعر اذا جاءت عفواً ، وكلُّ شعرٍ عظيمٍ له فائدته الثقافية ولو كان فى أصله لهواً ، لأنَّ العِبرةَ بنبعهِ الفنّى الخالص .

ولا مشاحةَ فى أنّ الانسانية فى القرن العشرين تقدَّمتْ كثيراً من الوجهة المادية التى تتفق وأهواء العقل المدرك ، ولكن أحوالها النفسية والخلقية ما تزال متأخرة تأخراً بليغاً . . . وللعقل الباطن ارتباطٌ بهذه الوجدانيات ، فالعنايةُ بتهذيبه وتنظيم صلاته بالعقل الواعى المدرك مما يعود بأجزل الفوائد على

الإنسانية ، وهذا ما تستطيع الفنون الجميلة — وبينها الشعر — أن تقوم به خير قيام . فتشجيع الفنون الجميلة واجب حتمي ، ونحن أحوج اليها في هـذا العصر المادي القاسي من حاجتنا اليها في أيّ عصر مضى . وعندي أن أديبَ الذكاء والصناعة يعتمد أولاً على عقله الواعي خلافاً للأديب المطبوع ، ويلوح لي أن العقل الباطن متّصلٌ بجوانب الخلق والغريزة اتصالاً خطيراً . ويتعاون العقـلُ الواعي والعقلُ الباطن بنسبٍ مختلفةٍ في تـكييف طباع الأدباء وطوابع آدابهم . والشاعر الحيُّ هو الذي يكون شعرة مثال نفسه ، وهذا معناه الانسجام التام بين العقـل المدرك والعقل الباطن ، وقد لا يكون الانسجام تاماً في جميع الظـروف . ومهما يكن من شيءٍ فهذا ما أراه تفسيراً للتبـاين والاتفاق في أحوال الشعراء ومَظاهر شعرهم من مَعانٍ ومَرامٍ وديباجة وموسيـقى هي موسيـقى النفس والخواطر قبل أن تـكون موسيقى الحروف التي لا تتعدَّى في الواقع الرموز لحالات الوجدان والفـكر . وهم في كل ذلك غيرُ مستقلّـين بل يتفاعلون مع البيئة ومع الحياة عامةً ، وتتجلَّى مَرائيها في نفوسهم قبل أن يبرزوها ، كما تتردد أصداؤها في نفوسهم قبل أن يلحّنوها .

وإذا كنتُ أومن إيماناً عميقاً بأن الفنون الجميلة من أقوى عوامل السـلام ورسول الانسانيـة المشتركة فلستُ أعني بذلك أنّ تقديرَها شاملٌ في الظروف الحاضرة . فـكم تتباين الأذواق . وعلى حدتعبير بُرُونْزْلاوْ هوبرمان لا يُرتَـقب أن يجيد عزفَ موسيقى بيتهوفن الجادةَ المتذوّق المعجب بها مَنْ ليست لديه أثارة من عواطف بيتهوفن ، وكذلك شأن الشعر وغيره من الفنون الجميلة ، فان أصدق المتأثرين بالشعر مثلاً هم من يشاركون الشاعر عواطفه وأهواءه ، ولا يُنتظرمثل ذلك من غيرهم . وبنسبة هذه المشاركة تختلف درجة التجاوب بين الشاعر وقرائه ونقاده .

ومن الطبيعي أن لا يَرْضَى عن شعر صاحب هذا الديوان كثيرون من الخاصة ومن غير الخاصة كما هو المعهـودُ ازاءَ كلّ أدبٍ غير مألوف ، فان أكثر الناس يؤثرون من الشعر ما يخيل لك عند سماعه أنك سمعته قبل ذلك مراراً ولو في صور متقاربة ، وهذا الجفاء هو وحدَه المبرّرُ للتعاون الأدبي من أقران الشاعر ومريديه شرحاً ودراسةً ، إذْ لا أنسَى كيف قوبل صدورُ ديواني ( أشعة وظلال ) منذ بضع سنواتٍ بنقدٍ كثيرٍ لتجرُّدهِ التام عن كل تصديرٍ وتعقيبٍ . بيدَ أنّي أرجو من

صميم قلبي أن يحينَ اليومُ الذى يُستغنَى فيه عن نظير ذلك فى دواوينى المقبلة ؛ فتصير نماذجُ هـذا الشعر مألوفةً معهودةً ، وتسترعى الأنظار والحوار بدلها النماذجُ الجديدةُ القويّةُ لشعراء الشباب الثائرين . وبودّى الصادق أن لا يحمِلُ القارئ هذه الدراسات والشروح على أكثر من محمل التجاوب الأدبى مع نفسية الشاعر ، فانّ فيها الكريم من التمجيد والاشادة بمحامد لا أعرفها فى نفسى ، ولكنها فيما عدا ذلك لها قيمتُها الأدبيةُ الممتازةُ فى تصوير مواقف المدارس الأدبية نحو الشعر العصرى .

انّ الشعرَ العصرىَّ هو قبل كلّ شيء لسانُ الحياة العصرية . والحياة العصرية ذات صلات شتى بالماضى وذات تطلع الى المستقبل ، فليس غريباً فى الثورة الروحية والفكرية الحاضرة أن يأتى هذا الشعر مزيجاً منوّعاً لا فى مصر وحدها بل فى العالم الأدبى بأسره ، ولا ينتظر من مثلى أو من أىّ شاعرٍ عصرىّ آخر الاّ أن يكون صادقَ الشعور والتعبير ، فلا غبارَ على هذا التنويع الصادق ما دام نتيجةَ أحاسيس شتّى — هذا التنويع الذى نجده فى العواطف والتأمّلات والأساليب ، كما حدث فى عهد الشاعر الألمانى العظيم ( هنريش هينى Heinrich Heine ) فقد جمع شعرُه بين نفحات القديم وبين النزعة الرومانطيقية التى كان آخر شعرائها فى قومه وبين نزعة التّحرُّر العصرى التى ساعد على تكوينها ، وقد أصبحت الصورة الغالبة على الشعر العصرى فى الغرب صورة الرومانطيقية الواقعية ( romantic realism ) .

ونزعة التّحرُّر هى صديقةُ الأسلوب الشخصىّ الذى هو سمةٌ من سماتِ الأدب الحىّ ، فان الثالوث العظيم فى الشعر العربى ( المتنبى والمعرّى وابن الرومى ) يمتاز بهذه النزعة التى تشمل الأسلوبَ وغيرَ الأسلوب . وانه لخيرٌ ألفَ مرة أن يكون الشاعرُ غامضاً فى بعض نواحيه ويكون مستقلاً فى تعابيره من أن يكون ببغاوياً أو صاحبَ شعرٍ مُستعارٍ ، فهذا هينى على عظمته الليريكية كان غامضاً عميقاً فى مناسباتٍ كثيرة حتى أن أبياته تُرَى حائمةً حول خواطره لا متناولة لها مباشرة ، كما لاحظ مترجمُه الشاعر ( لويس أُنْتَرْمِيير Louis Untermeyer ) .

وقد كان شعراء العربية السالفو الذكر يعانون فى حياتهم على أساليبهم جزاء ما كانوا يبذلونه من جهدٍ لتجويد أدواتهم اللغوية القاصرة ، ثم دار الزمن دورته فاذا بتلك الأساليب الطريفة تكتسب حُرمةً ويُصبح جديدها مألوفاً محترماً ، وما كان يُحسَبُ بعيداً عن الأناقة نظراً لطرافته وخروجه على التقاليد صار يُعَدُّ

غيرَ ذلك في معظم الأحوال . ومهما يكنْ من شيءٍ فالأناقةُ التي ترادفُ التصنعَ مرذولةٌ بغيضةٌ ، وهي تنافي روحَ الفنّ ، والخيرُ منها ألفَ مرة الجمالُ المتواضعُ بل الجمالُ العربيدُ . وليست العبرةُ في الواقع بالأساليب ذاتها بل بالاستعداد للتأثر بها ، وهذا الاستعداد يختلف بين جيل وآخر ، وبغير وجوده لا يستطيع الشعر أن ينشيء في النفوس تصوير الحالات التي خلقته .

وما دمنا قد أشرنا الى الأسلوب فحتم أن نصرّح بأننا نحترم أصول اللغة وتراثها ، ونُعنَى بمفرداتها ، ونوصي باستيعاب روائعها ، ولكننا نوصي في الوقت ذاته بأن يُطلِقَ الشاعرُ نفسَه على سجيتها ما دام قد أخذ قسطاً وافراً من أدب اللغة . وكلُّ شاعر لا يستطيع أن يملك حريةَ التعبير عن أزماته النفسية وعواطفه الشعرية وعالمه الوجداني تعبيراً خالداً مستقلاً تتجلى فيه براعتُه الطليقة يُعَدُّ بعيداً عن الكمال الفنّي . وكم من عائبٍ لأساليب اللغة المبتكرة وهو جاهلٌ بمرونة اللغةِ وغافلٌ عن كنوزها التي لا تجد المستغلين القادرين ، بينما هؤلاء العائبون يتغاضون عن توَجُّهِ الشعراءِ الى تغذية العامية بإنتاجهم في الأغاني وغيرها ، مما يحوّلها تدريجياً الى لغةٍ فنيةٍ ويجعلها خطراً أدبياً الى حَدٍّ ما على اللغة الفصحى التي تفقد جهود أولئك الشعراء لخيرها . ولست أنكر أن للغةِ العاميةِ رسالةً تؤدّيها في أوساطها ولكن من الممكن ابلاغها منزلة العربية البسيطة السهلة .

إنّ الفنَّ فنٌّ في أيّةِ لغةٍ وفي أيةِ صورةٍ وتعبيرٍ ، ولو كانت اللغة العربية السلسة السليمة عاجزةً عن البيان السائغ لعذرنا أنصار العامية من غير أهلها على اللجوءِ اليها . أمّا والواقع نقيضُ ذلك فهذا التدلّي بلغتنا لا معنى له ولا موجب ، والأَوْلى بمن يأخذون علينا تطويعَ لغتنا للتعبير عن كل ما تُوحي به الحياة بدل أن نواجهها كالبكم المشدوهين — الأَوْلى بهم ، اذا لم يعرفوا تقديرَ ذلك لنا ، أن ينظروا في الخطر الداهم على اللغة الفصحى من سيل العامية الذي يعزّزه أولئك الشعراء المتقربون الى الجماهير على حساب الاساءة الى الادب الرفيع ، وإنْ عانتْ الفصحى من وراء ذلك ما تعاني من إعراضٍ وإصغارٍ .

ويَرى بعضُ الشعراء المقلين وبعضُ النقاد أن الوزن والقافية من أعداء الفكرة ، من هذا يتدرجون الى تثبيط المنجبين من الشعراء وينتقدون محاولاتهم الجريئة ، وهذا خطأ ظاهرٌ : فالشعر ليس ميداناً لدراسة الموضوعات العلمية وغير العلمية المجرّدة ،

كما أن الشاعرَ الناضجَ القويَّ الايقاع لا تعوقه مطلقاً الأوضاع عن التعبير الحيّ ولا عن التسامي أو التعمق ، بل يدفعه نضوجه وثقته بنفسه ومرانته الى تكييف اللغة وأوزانها وقوافيها التكييفَ الذي يناسب موضوعات شعره بعيداً كل البعد عن المحاكاة مطلِقاً نفسه على سجيتها كالطائر الحرّ الفرد حيناً وكالحكيم الذي يُعلي عليه القدرُ وحيَ الحياة الطليقة حيناً آخر . ومن ثمّة اختلفت أساليبُ الشعراء المتحررين حسب أمزجتهم ونزعاتهم وموضوعاتهم بل قد يختلفون في نفس الموضوع الواحد بحكم اختلاف الطابع الشخصي : فأسلوب ملتون الانجليزي شاعر القرن السابع عشر في ( الفردوس المفقود ) غير أسلوب بيير جان جوف الفرنسي شاعر القرن العشرين في نفس هذا الموضوع ، وهو اختلاف طبيعي ولا غبار على ذلك بل هو أمر ممدوح .

الشعرُ ليس صناعة بل هو فنّ من الفنون ، وجميعُ الفنون في أصلها مواهب؛ والروحُ التي خلفها شائعةٌ في مظاهر الطبيعة التي يستوحيها جميعُ الفنانين من شعراء وموسيقيين ومصوّرين ومثّالين وغيرهم . ووحدةُ هذه الروح التي تلمح خلفَ مرائي الطبيعة والحياة هي التي تجعل النقّاد يصفون التصويرَ بأنه شعر الأصباغ ، والنحتَ بأنه الشعرُ الصامت ، والشعرَ بأنه التصوير الناطق ، وهلم جرا . . . وما ذلك الاّ بسبب المشاركة الروحية بين جميع هذه الفنون . وأمّا النظم فيرجع الى طبيعةٍ ايقاعيةٍ توجد عند كثيرين من الناس ، وقد لا تكون قويةً عند بعض الشعراء بل قد لا توجد عندهم بتاتاً ، فهؤلاء أمين الريحاني وفؤاد صروف وأحمد الصاوي محمد وابراهيم المصري وتوفيق مفرج بين شعراء العربية المجيدين ولكنهم لا ينظمون لأن سليقتهم لا تواتيهم بالنظم وإن تفجّرتْ بالشعر الصافي . واذا كانت كلمة « شعر » مأخوذة أصلاً من كلمة « شير » العبرية بمعنى غناء ، فليس كلُّ شعرٍ غناءً ، كما أنه ليس كلُّ شعرٍ نظماً . والشاعرُ المثقّفُ البعيدُ التأملات يستطيع بفطرته أن يجعل شعره مسْرَحاً لفنونٍ ومعارف شتى في غير كلفةٍ تُحسُّ بها ، كما أنه بقدرته النظمية — اذا كانت ناضجة لديه — يستطيع التعبيرَ عن شتى الخواطر الوجدانية بحريةٍ تامةٍ ، فليس النثرُ وحدَهُ اللغةَ الحرة للتعبير عن الآراء . والشاعرُ الممتازُ هو الذي يجمع بين صفتَيْ النضوج والتحرُّر ، وكلتاهما وليدتا المواهب أولاً والاطلاع أو التأمل ثانياً والمرانة ثالثاً . فالموهبةُ الشعريةُ ودقةُ التأمُّل والمرانةُ هي التي أنطقتْ الشاعرة العربية حميدة بنت زياد

بهذه الأبيات الرائعة تصف وادياً :

وقانا لفحةَ الرمضاء وادٍ سقاه مضاعفُ الغيثِ العميمِ
نزلنا دوحَه فحنا علينا حُنوَّ المرضعاتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظمأٍ زلالاً ألذَّ من المدامةِ للنديمِ
يصدُّ الشمسَ أنّى واجهتنا فيحجبُها ويأذنُ للنسيمِ
يَروعُ حَصاه حاليةَ العذارَى فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيمِ !

وهى التى أوحت الى الشاعر الانجليزى توماس هود ( Thomas Hood ) بهذه المقطوعة فى « أوان الورُود » :

It was not in the winter
Our loving lot was cast ;
It was the time of roses
We plucked them as we passed .

That churlish season never frowned
On early lovers yet :
Oh, no, the world was newly crowned
With flowers when first we met.

'Twas twilight, and I bade you go ;
But still you held me fast.
It was the time of roses—
We plucked them as we passed.

ومثل هذه الروح القوية البعيدة عن التكلف نجدها فى صُوَرٍ شتى بأشعار جميع الموهوبين الناضجين المتحرّرين من قدماء ومحدثين فى الشرق والغرب ، وهى روحٌ «متعادلة neutral» قابلة لأَنْ تُنقل من لغة الى أخرى لأَنها لا تعتمد على بهرج الأَلفاظ والثرثرة الجوفاء .

نعود إذنْ لنكرر أن النهضة الشعرية التى تُعنى بإنصاف المواهب وتغذية النضوج ثم تقاوم التحرّرَ تنعكس عليها جهودُها ، فالتحرُّرُ عنصرٌ هامٌّ من عناصر التبريز

لأن قوامه الصدق والسماحة الفطرية والبساطة الصريحة . ومحالٌ أن يكون الشاعرُ شاعراً كاملاً اذا كان يكبتُ عواطفه كيفما كانت ويكذب على نفسه وعلى غيره . وبهذه المناسبة لا ننكر أنّ بعض الغاشمين المنتسبين الى الأدب أو إلى الدين يهرع الى الاتهام بالزندقة والالحاد كلّ نزعة تصوفية . ولكن الشاعر الموهوب المتحرّر يسخر من كل هذا لأنه بوجدانه يحسّ بما نعته « نقطة التركيز » للألوهة في مخلوقات الله وبدائعه سبحانه وتعالى ، فيمجّد فيها الفنّانَ الأعظم .... ولخيرٌ للشاعر أن يُوصَمَ بألف وصمة غاشمة من أن يكون أسيرَ الروح عبداً للتقاليد أو خادعاً لنفسه ولغيره . وقسْ على ذلك ما يُسمّىَ بالاستهتار في الشعر حينما لا يتعدّى هذا « الاستهتارُ » التعبير الطبيعي لجوانب قوية من الحياة . . . .

ولعلّ من الخير أن ننظر نظرة نقدية في سيرة الشاعر الوجداني الكبير جون كيتس ( John Keats ) فإنها تشرح لنا ما أجملناه من قبل وتُنبهنا الى عوامل أخرى في رفعة الشعر والشاعر . وما اخترنا ذكراه الا لأنه من أسبق الشعراء إلى ذهننا كما أنه أصبح من أحبهم منزلةً لدى جميع الأدباء والمتأدبين .

عُرِفَتْ عن كيتس في طفولته الروحُ الثورية ، ثم عُرِفَ عنه فيما بعد الاطلاعُ الواسعُ ، وأخذ بنصيبٍ يذكر من الدراسة العلمية والطبّية ، ثم استولت عليه فكرةُ الحياةِ الشاعرةِ والعمل على تحقيقها وهو في الحاديةِ والعشرين . فتبع هذا أن كانت روحُه التجديديةُ طبيعيةً لا مصطنعةً ، وأنْ كان هدّاماً ثائراً في شبابه . وعرفنا عنه غرامه بجورجيانا — زوجةِ أخيه فيما بعد — ولمحنا صورةَ التسامح لنفسه الصافية ، وقدّرنا كيف كانت هذه الحبيبة نبعاً صافياً عُلوياً لشعره الوجداني ، كما كانت محبوبته الثانية ( فاني ) نبعاً آخر جميلاً . كذلك عرفنا أنّ حياته الواقعية كانت شعرية : فقد كان إشفاقُه على أهله وعنايتُه بهم بمثابة قصائد رائعة مدهشة . . . . وكان كيتس بروحه الرومانطيقية المبدعة كثيرَ المحاولات التجديدية ، ولكنّ الجمهور لم يكن ليكترث لأشعاره الأولى بالرغم من كتابة هَنْت عنها . وقد تعاون فيما بعد مع الأدباء هايدِن وبراون وَسفِرْن وَغيرهم ، ثم حملت عليه مجلتا بلاكوود وكوارترلي الشهيرتان ، وتنكّرَ له هايدن صديقه القديم ؛ ولكن كيتس بقي عظيمَ الجلَد عظيمَ الرجولة ساميَ الخُلق طيبَ القلب ؛ بدليل تسامحه ازاءَ هايدن وأمثاله . . . . وكان كيتس يعجب كثيراً بسبنسر وكان متأثراً به ، ولكنه قلّما كان يحتذيه بل كان محتفظاً غالباً بطابعه

الشخصى واستوعبت شخصيته الأصيلة مطالعاته ( وبينها الكثير من الأساطير والميثولوجيا الاغريقية وغيرها ) دون أن تخضع لها . ومات فى شبابه بذات الرئة وهو الى آخر لحظة من حياته شعلة باهرة ما كان يجوز أن تنطفىء لولا قسوة القدر . . .

ومن هذه الاشارة عن حياة كيتس نلحظ :

( ١ ) النفس الشاعرة الثائرة بفطرتها التى لم تتحول طول حياته ، وأنه مثال عال للشاعر الذى يكون فى حياته شاعراً كما يكون فى نظمه شاعراً .

( ٢ ) أن دراسته ومطالعاته لم تفسد شعره بل زادته صقلاً وجعلت شهده منوعاً شهياً .

( ٣ ) أنه شعر بما نسميه « طاقته الشعرية » وتمنى أن يكون شاعراً مجيداً وعمل لذلك ، لا عن طريق الصناعة بل عن طريق التعبير الجرىء ، وجراءة التعبير الفنى جزء أصيل من العبقرية . وبغير هذه الجراءة الطليقة ما كانت تتجلى قوة شكسبير ولا دانتى ولا أبى العلاء المعرى ولا عمر الخيام ولا أمثالهم من رواد الفن الأدبى .

( ٤ ) أنه انتفع بالمعاونة المادية التى قدمها له أصدقاؤه الادباء والناشرون ؛ ولولا هذه المعاونة لما انتفع الشعر بكل هذه الآثار التى أنجبها وودعها فى شبابه . . . وفى الواقع انه لولا عون المال الذى استند اليه كبار الأدباء والشعراء لما بلغت آثارهم ما بلغت من الكثرة والروعة ، وهذا مشهود فى الشرق والغرب على السواء ، وآخر شاهد على ذلك بيننا المرحوم أحمد شوقى بك . ومهما يكن لشاعر من انتاج فى بؤسه وفقره فهذا الانتاج لا يقارن بطاقته المتجلية فى ظروفه المواتية .

( ٥ ) ان الحب كان عنصراً قوياً بين العناصر التى ألهبت شاعريته المطبوعة ، وقد جاء شعر الحب فى نظم كيتس قوياً صريحاً مستقلاً .

( ٦ ) ان ثقته بنفسه وفنه جعلت النقاد المتحاملين ينهزمون فى النهاية أمامه فكل محاولاتهم لم تصلح لتزييف جوهره الصحيح .

( ٧ ) ان أساليبه ونزعاته التجديدية لم ترض جمهرة الأدباء فى البداية ،

ولكنها استحالت فيما بعد الى مَفْخرةٍ من مفاخر الأَدب الانجليزى بل الأدب العالمى .

( ٨ ) انّ شخصيته الأَدبيةَ القويةَ لم تهضمها البيئةُ ولا المطالعاتُ بل هو الذى هضمها ، فخدم الشعرَ الانجليزىّ حتى من الناحية الثقافية خدمةً قيمةً ، لأنّه ضمّن شعره لطائفَ الميثولوجيا الشائقة وتأمُّلاته العميقة ، وقد كان مرضُهُ فى ذاته مُشعِلاً لذكائه مبرراً لشذوذه ، ومن العبقريات ما يقترن بشذوذ المرض .

( ٦ ) انّ المواهب الجديدة قد لا يُعترفُ بها اعترافاً منصفاً الا بعد زوال صاحبها ، وعلى الأخصّ اذا كان من الشباب ، لأَن الناس غالباً عبيدُ ما تعوّدوه ، ويؤثرون الشك فى كل جديد حتى ولو تجاوبت نفوسُهم معه .

هذه الدروسُ نستفيدها من سيرة كيتس ، وقد نستفيد نظائر لها من سِيَر غيره من أعلام الشعر فى الشرق والغرب على السواء . وهذه الدروس تتناول الردّ على ما يوجّهه النقّادُ إلى شعراء العربية المجدّدين فى كثير ، فانّ من النُّقّاد مَن ينادى بنفسه حاكماً بأمره لا يُطيقُ حتى النقاش الفنى ، ويُعلن بأعلى صوته أنّ ما نعتبره تصوفاً جميلاً هو مثالٌ مروّعٌ للشعر الالحادى الذى يجب أن يُصادرَ ، وينسون فى أى قرن يعيشون بل ينسون حتى أبسط الأَدب العلائى الذى يدّعون فهمَه وتقديره ، وقد ذهب أبو العلاء المعرى الى درجة تحدّى القرآن بينما الشعراء المعاصرون لا يشغلهم شىءٌ من ذلك . . . . ويبلغ الشططُ ببعض النقاد أن يستنكر تطعيمَ أدبنا العربى بالميثولوجيا الاغريقية الرائعة التى نفتقر اليها أشدّ الافتقار بينما الانجليز ( وقد استوفوا نقلَ الروائع الأَجنبيـة الأُروبية القديمة ) يرقصون لترجمة الخيام والمعرى والبها زهير وابن الفارض وغيرهم من شعراء الشرق إلى لغتهم ، ويهلّلون أخيراً لجهود الأُستاذ أَستارُو مِيامُورى ( A. Miyamori ) فى نقل الهَيْكُوَات اليابانية ( وهى أشبهُ النظيم بالرباعيات عند الفُرس ) الى اللغة الانجليزية . فنحن على فقرنا نستنكر النقلَ والتطعيمَ ، وغيرنا على غناه يُرحّب به ، ونحن نحبّ القديم والمحافظة على ما لا جدوى منه ، والانجليز على رعايتهم للتقاليد وحرصهم الشديد عليها أضعاف حرصنا يؤثرون أن يكونوا عمليّين فى احياء لغتهم بمفرداتها وآدابها ، حتى أغناهم هذا النشاطُ الفذّ وهذه الحيوية الفريدة عن انشاء مجمعٍ لغوىّ لهم ! ونحن نغبن شعراءنا وأدباءنا ونتركهم يعانون الخصاصة المُمِضّة

وهمّ الرغيف ثم نقول إنّ هذا لخير انتاجهم الأدبيّ ، وإنْ قرعَ آذاننا قولُ صانحهم [1] :

بِوادٍ كدارِ الخُلْدِ برّ المنازلِ حَيِيتُ : فما لي لا أفوزُ بِنائلِ ؟
أقاسي به في ليلهِ ونهارهِ معيشةَ أفّاقٍ ووحدةَ ثاكلِ
وكم سألوني : كيف تشقى مع الحِجى وفي شعركَ الهامي عذابُ المناهلِ ؟
فقلتُ : بهذا الشعرِ بُؤسي وشقوتي كما قتلَ الصدّاحَ زهرُ الخمائلِ
فلا تسألوني عن دمائي وسفكِها سلوا بدمي الغالي جريمةَ قاتلي !
فكم مرّتْ النُّعمى عليّ بسيمةً فأبعدني عنها وضيعُ الوسائلِ
ورفضُ لئيمٍ كاشحِ القلبِ حاقدٍ منالي أرزاقي بهمّةِ عاملِ
بكتْ بلدتي حُزناً عليّ وحسرةً وأحزنُ ما أبصرتُ دمعُ المنازلِ !

إنّ عقلَ الفنّانِ ( العقل الباطن ) هو عقلُ الطفل الكبير الذي يصاحبه وليّ أمره ( العقل المدرك ) ليرشدَه ويراعيه ولكنّه كثيراً ما يجامله . وإنْ استفادَ هذا الطفلُ من تأمّلاتِ مرشدِه وفلسفتهِ بدرجاتٍ مختلفةٍ حسبَ أهوائهِ وفهمهِ العجيب . . . . ولكنه إذا تُرِكَ وشأنه وكانت له حيويّتهُ الفطريةُ وحريتهُ المطلقةُ فانّه يجيء لنا شعراً عما يُشبه تصويراً « حَلِّ ميكي » — وهو من تلك التصاوير المتحركة المفتنّة التي طالما أحببناها عن ميكي ماوس ووالت دزني — فلو أنصف النَّقدُ لتركَ الشعراء يُبدعون نماذجَهم المنوّعةَ من شعرٍ خالصٍ وشعرٍ فلسفيّ وشعرٍ تصويريّ وشعرٍ قصصيّ على اختلاف أساليبهم ، فنحن بحاجة إلى كلّ هذا النماء لثروتنا الشعرية ، وها نحن الآن نرى في فرنسا بعثاً شعرياً جديداً منوّعاً للشعر يعمل له أمثال بول كلوديل وفرانسيس جام وبيير جان جوف في حرية تامة .

واذا كان لمدرسة أبولو جريرة أقضّت مضاجعَ الفرديين المتصنّعين فهي تبشيرها بالمبادىء السابقة لخير الفنّ والفنّانين . فقد أبتْ إباءَ عبادةَ الأصنام ،

---

(١) قصيدة « دمع المنازل » لعبد الحميد الديب — مجلة « ابولو » ، ديسمبر سنة ١٩٣٣

واحترمتْ شخصية كلّ شاعر ، وعملتْ على إظهار روائع كلٍّ منهم ، ووضعت إبداعهم جميعه في موقفه واحدة ، إذ الواقع أن الفنان الصحيح غير أنانى وإن يكنْ شخصىَّ التعبير . . . كذلك شجّعتْ النقدَ الأدبيَّ واحترمتْ النقّادَ سواء أكانوا لها أم عليها . ولكنها لم تحترم أصنامَهم كما لا تحترم أصنامَ الشعراء ! وبهذه المبادىء يدين صاحبُ هذا الديوان من الوجهة الثقافية العامة . وحولَ هذه المبادىء تدورُ حربٌ طاحنةٌ يعزّزها من الجانب الآخر مَنْ يريدون الظهور الأنانىّ على حساب المجموع وعلى حساب الأدب ، كلّفهم ذلك ما كلّفهم من تحامُلٍ واسفافٍ !

إنّ الشاعر كـكل فنّان يعمل على تخليد صور الحياة الفانية وذكرياتها فى النسق الذى يستطيع به استرجاعَها لروحه العالمية كلَّما تأمّل ذلك النسق الفنّى سواءٌ أكان شعراً أم تصويراً أم نحتاً أم عزفاً أم غير ذلك ، وهو حينما يتأمّل التسجيل الفنّى لم يقتصر على تصوّرها بالذات بل تصوّر أيضاً علاقاتها بالوجود بحكم طبيعته التصوّفية التى جعلت شكسبير يقول :

> Tongues in trees , books in the running brooks
> Sermons in stone , and good in everything .

والحياة فى ذاتها عالم ايقاعى ، فاذا أحسّ الإنسان بالحاجة الى العزاء جنح إلى الاندماج فى عالم الحياة اندماجاً أوفى كأنه يطلب حمايتها ، والايقاعُ هو الممرّ الذى يسلكه أو هو أدنى المسالك الميسورة ، وهذا هو ما يفسّر النزوع الفطرى الى الجمع بين الروح الشاعرة المتصوفة والإيقاع . وبديهىٌّ أن ألوان هذا التزاوج تتعدّد إلى ما لا نهاية ، ومِنْ ثمّة وجب علينا احترام شخصيات الشعراء وتشجيع التنويع بدل الالتفاف حول شخصيات قليلة معدودة لا يمكن أن تجتمع روائع الفنّ الشعرى ولا الفنّ الموسيقى فيها وحدها ، كيفما عظمت هذه الشخصيات فى ذاتها .

كان الشاعر اليونانىُّ السكندرىُّ كافافى ( C. P. Cavafy ) يقول : «لا تحتقر أىَّ شىءٍ فى الحياة بل خُذْ كلَّ ما تُعطيه لك » ، وذلك نفسُ شعورى : فانى لا أحتقر شيئاً غيرَ التَّصَنُّع ، وأمَّا كلُّ ما فى الحياة من جمالٍ ومادّةٍ فنّيةٍ فحبيبٌ إلىَّ ومُثيرٌ لشاعريتى ، وأشعرُ بالقصور أمامَ روعته مهما حاولتُ أن أعبّر وأجيد ، مدفوعاً بدوافعى الوجدانية ، واعياً أم غيرَ واعٍ . وازاء هذا التنّوع فى

الحياة يتنوع الشعر ويبدو متناقضاً أحياناً فى مظاهره ولكن حقيقة الحياة واحدة . ومن جميع مآثر الحياة ومعالمها أودّ أن أخص المرأة بتحيتى وتقديرى ، وانى لأذكر كيف عشتُ مشغوفاً فى طفولتى وصباىَ وشبابى بوالدتى ، وقدّستُ المرأة بتأثير حُنُوِّ هذه الوالدة علىّ ، وزاد مِنْ عمق هذه القداسة فقدانى إياها وفقدانى مَنْ علقتُ بها وأنا غريبٌ عنهما عشرَ سنين كاملة تحت رحمة الحرب . . . . فاذا بقى لشعرى تعلّقه بالمرأة بل تقديسه اياها فى شتّى الصور فهو تعلّقٌ طبيعىٌّ ، واذا كان مِنْ أثر هذا الشعر أن تعرّى الرجولة بالأنوثة العنايةَ الواجبةَ بدل اغفالها الحاضر فانّ هذا الشعرَ يكون قد أدّى وظيفةً تهذيبيةً ضمنيةً ولو لم يقصد اليها عمداً .

* * *

زعم أحدُ أفاضل النُّقّاد « أنّ من عادة المؤلّفين أن يقولوا إنهم ينتظرون نقداً لا تقريظاً ، فاذا نقدناهم عادونا أشدّ المعاداة ! » وسواء أصحّ هذا أم لم يصح فمثلى يبرأ الى الأدب من هذه الوصمة ، وأعتقد أنّ جميعَ زملائى أعضاء أبولو يتفقون معى عن ذلك . . . . ان النقدَ الادبىّ جزءٌ متممٌ للحركة الأدبية ولا يجوز أن يتعالى عنه الشعراء ، وفى الوقت ذاته لا يجوز للنُّقّاد أن يتغاضوا عن الشعراء ، ولا يسوغ لأحد الفريقين أن يستاء من نقاش الآخر ، إذْ الفائدةُ كلُّ الفائدة بنتُ الحوار الأدبىّ لا بنت التقرير والحكم المطلق من أحد الفريقين على الآخر (١) . . . ومن الأسف يبلغ الغرورُ ببعض الأدباء أن يتوهّموا أنّ أعمالهم لا يجوز أن تُنقدَ ولو بمعنى الدرس والتحليل ، ويبلغ مثلُ هذا الغرور وفسادُ الرأى بطائفةٍ من النُّقّاد أن يتوهّموا أنّ النقدَ الادبىّ ليس سوى لونٍ من الهدم أو صورة من التشفّى وكلا الفريقين لا يُنصف نفسَه ولا يُنصف الأدبَ ولا الأدباء وكأنما يشتهى أن يكون وحده دكتاتوراً أو حاكماً بأمره !

---

( ١ ) انظر كتاب « فائدة الشعر وفائدة النقد » — The Use of Poetry & The Use of Criticism للشاعر الانجليزى ت . س . إليوت ، وهى دراسات فى علاقات الشعر بالنقد فى انجلترا ألقاها فى جامعة هارفارد .

وانى ارحّب بكل نقدٍ نزيهٍ يوجّه الى هذا الديوان وإلى شعرى عامةً لخدمة الادب فى ذاتهِ ، وأما صِلتى بهذا الشعر فهى أوْثقُ مِنْ صلةِ الأديب المألوفة بأدبه ، فهو دمى وأنفاسى ، ومهما قيل له أو عليه فلن أجحدَ ما هو مِنْ صميم نفسى ، ولن أنشدَ له نماءً لن يزيدَ مِنْ نَبْضِ حياتهِ المستمدَّةِ مِنْ كفايةِ حيويّتى وحدَها ؟

ضاحية المطرية - مصر
فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٣

احمد زكى ابو شادى

# إلمامة

## الأدب العربي فى العصر الحاضر

ليس غرضي وأنا أكتب هاته الالمامة لديوان « الينبوع » تقديم أبى شادى الى قرائه ، فما كان أبوشادى بحاجة إلى التقدمة ، ولعل الكثير من قرائه يعرف عنه أكثر مما أعرف ، ولا الاشادة بسجاحة خلقهوسماحة نفسه وطيبة قلبه ،فتلك صفات يستطيع أن يدركها كل من يطالع آثاره ، فيلمس فيها صوفيته العميقة التى تعاطف العالم وتشمل كل شيء فيه بفيض من العطف والحنان ، ولا التنويه بجهوده العظيمة المتعددة التى ينوء بحمل أعبائها فريق من الناس أولى العزم ، فقد عرف الناس له هاته المزية ، وآمنوا بها فى شىء من العجب غير قليل .

أجل ، فأنا لا أريد أن أعرض لكل ذلك . بل ولا أريد أن أعرض لشعر أبى شادى أيضاً ببحث مفصّل ونظرة مستوعبة ، فقد فاجأ أبوشادى الناس فى شعره بروح جديدة ونزعة مستحدثة ، وأسلوب طريف ، وطريقة لم يمهدوها من قبل ، فقابلوه بشيء من الاستنكار غير قليل . ثم أخذ الزمان يعمل عمله ، فاستساغه فريق من الناس وألفه ، وأخذت فئات أخرى تشيد به وتنضح عنه ، وظلت طائفة من الناس على رأيها الأول.ونفرتها القديمة لا تتحلحل عنها أو تميل ، فاختلف الناس فيه وما زالوا ، ولا يزالون مختلفين فيه إلى ما شاء الله ، وأعتقد أن كلمتى لا تنقص من هذا الخلاف قليلاً ولا كثيراً . ولهذا فقد آثرتُ أن أتحدث حديثاً أعم من ذلك وأشمل ، وأن أتخذ موضوع هذا الحديث « الأدب العربى فى العصر الحاضر » ثم لا أتحدث عن شعر ابى شادى الا كظاهرة من ظواهر هذا الأدب ، لها وجهها الخاص ولونها الذى تُعرف به .

* * *

أعتقد أننى لا أكون غالياً فى شيء إذا قلت إن عصرنا الحاضر يمتاز عن كل ما سبقه من العصور بامتزاج الثقافات فيه امتزاجاً عظيماً لا نظير له ، وأن الأدب

العربى الحديث قد اختلط بآداب العالم اختلاطاً لم تعرفه تواريخ الآداب فى عهودها السالفة .

ففى أطوار الانقلابات الكبرى - التى يريد فيها التاريخ أن يدور دورته المحتومة الخالدة ، تأخذ نفسيات الشعوب التى ستولد مرة ثانية فى التطور والتحور والاستحالة ، فتستيقظ أحلامها النائمة ، وتتوهّج أشواقها الخامدة ، وتصبح نفسها شعلة متأججة بنار الحنين ، وينقسم قلبها الثائر إلى شطرين : شطر ملول ، متبرم بالحاضر وما فيه ، وشطر مشوق ، طامح الى المجهول وما فيه ، وفى مثل هاته الحالة النفسية المعقّدة التى تصبح فيها روح الامة مشبوبة بحمى الحياة ، يندفع الناس فى لهفة اليقظة الطامحة الى ثقافات العالم وفنونه وآدابه يطفئون بها ما فى أعماق نفوسهم من جوع وظمأ الى الحياة ، فتتلاقح ثقافات ، وتتمازج آداب ، وتصطفق آراء وأفكار ، وينتج من هذا المزيج ثقافة جديدة وأدب طريف لها سحر وفتنة وجمال . كان ذلك فى الروح اليونانية ، حينما انتصرت على الفرس ، واتصلت بروح الشرق فى فارس وأشور ومصر . وكان ذلك فى الروح الرومانية حينما مكن الله لها من اليونان فانتهبت ما لها من علم وأدب وفن . وكان ذلك فى الروح العربية فى العصر العباسى وما يليه ، حينما اطلع العرب على ما لفارس والهند واليونان والرومان من حكمة وأدب وعلم وفلسفة وتشريع ، وكان ذلك فى الروح الأوربية منذ عصر « النهضة » حينما اتخذت مثلها الأعلى فى الأدب والفن ما لليونان والرومان من فن وأدب ، وأخيراً كان ذلك أيضاً فى الروح العربية الحاضرة بعد يقظتها من سبات الدهور . ولكن امتزاج الأدب العربى الحاضر بغيره من الآداب قد كان على صورة من القوة والشمول لم يُعهد لها مثيل فى جميع العصور والأجيال . ولعل ذلك يرجع الى « المطبعة » التى أعطت للحركة الثقافية هذا المظهر القوى السّاطع ، كما يرجع إلى طبيعة حضارة اليوم التى تمتاز بالسرعة والحركة والاتصال ، فان الادب العربى فى العصر العباسى وما يليه لم يتأثر إلا قليلاً بأدب الفرس والهند وما لها من حكمة وأمثال ، وبقليل من أساطير اليهودية والمسيحية وبشىء من الفلسفة اليونانية وبعض المذاهب والنحل الشائعة إذ ذاك ، وبنزر مشوّه من أدب الرومان ، فهو لم يتأثر تأثراً قوياً بآداب هاته الأمم ، ولا حاول أن يتصل اتصالاً وثيقاً بما لها من تاريخ ودين وأساطير ، بل تأثر بها تأثراً بسيطاً لعله لم يكن مقصوداً ولا مَعْنِيّاً به ، ولكنه

على كل حال قد أحدث نتيجته المنتظرة ، فاستحدثت معان وأخيلة وأساليب وطرائق من البيان لم يعدها العرب من قبل ولا ألفوها . والأدب الأوروبي لم يتصل في عصر « النهضة » بغير الأدب اليوناني والروماني ، ثم بقليل من الأدب العربي في صقلية والأندلس، ثم انه عاد بعد ذلك الى تاريخه يستلهم ما فيه من أقاصيص الفروسية وسير الأبطال ، ثم رجع الى دينه فأخذ يستوحي الاساطير المسيحية ويتخذ منها غذاءً لروحه وأحلامه ، ثم أنه عثر على كنزه المفقود فأخذ يستمد من الروح الاوروبية نفسها مادة حياته التي لا تنفد ، فكانت ثورته الرومانتيكية الحاسمة التي تبحث أمامه آفاقاً جديدة ، ووقفت به على حدود المجهول الذي لا تنتهي صوره وأشكاله . . ، وعلمته كيف يستلهم الحياة نفسها ويستوحي جمال الوجود ، بعد أن كان يتخذ الوقائع والاحداث مادة وحيه وخياله ، والتي ما زالت — فيما أرى — حية في صميمها وإن اختلفت فيها الاسماء والحدود .

ذلك كل تأثر الادب الأوروبي بغيره ، أما الأدب العربي الحديث فانه لا يريد أن يتصل ببعض آداب العالم دون بعض . كلاً ، وانما هو يتصل بجميع آداب العالم ، لا يستثني منها واحداً ، سواء في ذلك القديم والجديد والقريب والبعيد : فهو يتصل بالأدب الفرنسي والانكليزي والالماني والايطالي والروسي والاسباني والاسكانديناوي والأمريكي ، بل وحتى الروماني واليوناني القديمين ، وهو لا يريد أن يمرّ بهاته الآداب مرّ الجانب بل يريد أن يتصل بروحها اتصالاً وثيقاً وأن يتأثر بهذا الروح ويستوحيه ، وهو لا يكتفي بهذا بل يستلهم تواريخ هاته الأمم والشعوب وما لها من أساطير وخرافات . ثم هو يأبى الا أن يستغلّ في استلهامه ما لها من فن وفلسفة وعلم . ثم هو لا ينسى أن يستوحي مع ذلك ما في أدب اللغة العربية وتاريخها وأساطيرها من صور الفن وآيات الجمال ، ثم هو يضيف الى كل ذلك ما في حياة الأمة العربية الحاضرة من أحاسيس مختلفة ، وأحلام مشبوبة ، وأطوار تشتبك فيها الحقيقة بالخيال — كل ذلك يتخذ من الأدب العربي المعاصر مادة لروحه ، وغذاء لقلبه ، وشراباً لأشواقه الجامحة .

وقلّ بين أدباء العربية الآن من كانت ثقافته مقصورة على العربية وحدها ، بل ان الكثير منهم ليدين في انتاجه الى أكثر من ثقافتين وثلاث . والحق أنه قد أصبح من العسير جداً على الأديب العربي المعاصر أن يعصم نفسه من التأثر بالروح الأجنبية ، فهو لا بد أن يتأثر بهذا الروح ولو تأثراً لا شعورياً ، مهما كانت ثقافته

خالصة فى عروبتها ومهما كان غالياً فى التشيع لانصار القديم : وما ذلك إلا لشيوع الترجمة والنقل عن الآداب الأجنبية شيوعاً لم يعرفه تاريخ الآداب فى عصر من عصوره .

وقد كان لاتصال الأدب العربى بغيره من آداب العالم هذا الاتصال القوىّ أن اكتسب الأدب ثروةً فنيةً ضخمةً فى الصور والمعانى والأخيلة والأساليب بصورةٍ لم تعرفها الآداب العربية من قبل ، وان أفادت اللغة العربية مرونةً ودقةً أصبح بها الأديبُ الشاعرُ يستطيع أن يعبّر عن أخفى العواطف المستسرّة ، وأدق الأحاسيس الغامضة . وأعقد الحالات النفسية التى كان أديبُ الأمس لا يستطيع تصوّرها وادراكها ، فضلاً عن التعبير عنها ونفخ الحياة فيها واعطائها ما يلائمها من أضواء وظلال . ولكن ذلك الاتصال الوثيق كما أنتج تينك النتيجتين الجميلتين أنتج نتيجة أخرى لا ندرى على التدقيق ما سيكون أثرها فى الأدب العربى الحاضر ، فقد أدّى الى بلبلة فى فهم الشعر وضبط مقاييسه وموضوعه وغايته ، لا نحسب أن تواريخ الأدب فى العالم قد سجلت مثلها ، حتى لقد كاد يصبح لكل أديب مقياسه فى فهم الشعر وتقديره ، وأصبح النقد فوضى لا تضبط لها حدود ولا تقوم على أساس محترم من الجميع .

فهناك المدرسة القديمة ، وشعراؤها ونقادها ، وآراؤها عن الشعر وما يجب أن يكون عليه ، وهناك المدرسة الحديثة بما فيها من شعراء ونقدة على اختلاف نزعاتهم وثقافاتهم وأطوارهم النفسية ، ومن خلفهم طوائف المتأدبين الذين لهم أحكامهم الخاصة على الشعر والشعراء والنقد والناقدين والتأليف والمؤلفين ، والذين لا تضنّ عليهم الصحافة ولا المطبعة بنشر ما يرتأون من رأى وحوار ، ومن وراء كل ذلك جماهير القارئين فى مختلف جهات العالم العربى بآرائهم المتقلبة التى تَبْنيها الغُدوُّ وتهدمها الآصال ، ويعبث بها جزر الحوادث ومَدُّها فى خضمّ الزمان .

وانه ليعيي المرء — مهما حاول — احصاء هاته المذاهب ، أو النزعات اذا تحرّينا دقة التعبير ، التى تضطرب فى رؤوس الشعراء والنقاد والمتأدبين ، والتى تتقاذف الأدب العربى المعاصر أخذاً وردّاً وجزراً ومدّاً ، ولكن سنحاول أن نتحدث بايجاز عن أظهر هاته النزعات فى محاورات اليوم وأقواها أثراً فى نفوس الأدباء .

فمن هاته النزعات النزعة « الخيالية » ، وهي نزعة لا تعتبر الشاعر شاعراً إلا إذا كان شعره عالماً سحرياً ، لا تنتهي أطيافه وخيالاته ولا أضواؤه وظلماته ، وتشعر فيه نفس القارىء أنها قد ارتفعت الى ما وراء الغيوم وما خلف النجوم . . . ومنها النزعة « الرمزية » ، وهي نزعة لا تريدُ من الشاعر الا أن يتحدث للناس من وراء السحاب أو ملفوفاً في مثل الضباب ، ولا تتطلب منه الا كلاماً مبهماً لذيذاً ، شبيهاً بالموسيقى في لغتها الغامضة التي كلما أصغى لها السامع حركت في نفسه ضروباً من الحسّ والتصور والخيال غير ما حركت من قبل ، وعبّرت له في كل لحظة تعبيراً جديداً لا تنتهي ألوان المتعة والطرافة فيه . ومنها النزعة « الفلسفية » ، وهي نزعة لا تفهم الشاعر الا أن يكون فيلسوفاً له فلسفة مضبوطة محكمة لا تضطرب مقدماتها ولا تختلّ نتائجها ولا تتناقض أجزاؤُها بتناقض حالات الشاعر النفسية واضطرابها بين الشك والايمان والثورة والسكون واللذة والألم . ومنها النزعة « الثورية » ، وهي نزعة لا تعترف للشاعر بالشاعرية اذا لم تكن له في آثاره قوة العاصفة الداوية والبراكين الطاغية ، ينطق فتنطلق كلماته مجلجلة جامحة ترجّ الحياة في أعماقهم رجّاً وتزلزل هدوء الاحلام ، ويتكلم فيندلع اللهيبُ من كلماته المتوهّجة بنار الحياة . ومنها النزعة « المتعمقة » وهي نزعة تأبى على الشاعر الا أن يكون عميقاً كالليل ، لا يناجي أبناء الانسان بهاته المعاني الواضحة البادية التي تستوعبها اللمحة الخاطفة والنظرة الطائرة في الفضاء ، وانما تريد منه أن يناجيهم بما في أعماق الحياة والموت والوجود والعدم وما في خفايا ذلك العالم المجهول الذي يحمله قلب الانسان من عبودية عريقة للحياة وثورة على نواميسها العاتية . ومنها النزعة « التاريخية » ، وهي نزعة تنكر على الشاعر كل شيء الا أن يكون ظلاً واضحاً لهاته الحياة العابرة ، يستطيع المؤرّخُ أن يجد في آثاره صورة حية من عقائد الشعب وعاداته وأطواره وتقلباته وأحلامه وخرافاته . ومنها النزعة « السياسية » ، وهي نزعة لا تريد من الشاعر الا أن يكون زعيم قوم يدعوهم الى النهضة والحياة ويهيب بهم الى الضرب في سبيل الزمان الذي لا تنتهي تعاريجه وعقباته . ومنها النزعة « الصحافية » ، وهي نزعة تريد من الشاعر أن ينظم في أحداث اليوم ومشاكل الساعة ويقدم للناس صحفاً منظومة يسجل فيها حوادث العالم في السياسة والاقتصاد وكل شيء آخر ، وعلى الاحساس والفكر والعاطفة رحمة الله . . . ومنها النزعة « الغزلية » ، وهي نزعة لا ترضى عن الشاعر الا اذ قدم حياته قرباناً للمرأة وأحرق

مواهبه لحوراً تحت قدميها الجميلتين ولم يتكلم بغير لغة الحب والدموع ، أما بقية لغات النفس وعواطفها الأخرى فعليها لعنة الشعر والحياة . . ثم لعنة حضرات السادة الغزليين . . .

وهناك نزعات كثيرة أخرى ، ولكنها ضعيفة تافهة ، ليس لها من قوة الأثر ما يحملنا على تدوينها فى كلمتنا هاته : نزعات غريبة ، وأخرى ذابلة ، وأخرى ميتة بالية ، فلندعها تختلج اختلاجة الموت فى أدمغة بعض غلاة القديم وبعض متطرفى الجديد . ولندعها تقضى ساعة الموت فى سكون الظلام فهى ذاهبة لا محالة إلى هوة الفناء المحتوم . . .

ولكن هناك نزعة غريبة يدين بها بعض الناس ممن يحملون التجديد على غير محمله ويفهمونه على غير المراد منه ، فهم يحسبون التجديد أن يأتى الشاعر فى أسلوبه ومعناه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشىء ، وأن يخلق آثاره من عدم ، ويأتى بها غير مسبوقة بصورة أو مثال ! وهى فكرة غريبة لا نفهم كيف يستطيع اعتقادها فريق من الناس ، ولكننا نسوق اليهم هاته الكلمة الصغيرة :

ان الحياة نفسها ليست الا حرية ترسف فى القيود وسلسلة يتصل فيها الطريف بالتليد ، واننا حين نطالب الشاعر بالتجديد لا نطالبه بأكثر من أن يترسم خطى الحياة فى فنها ، فالزهرة وهى فن من فنون الحياة ليست الا بعض ما فى التراب والماء والسماء من روح الحياة ، ولكنها مع ذلك فن منها جديد يخيل الينا أنه بعيد عنا جد بعيد . ونحن ، أبناء الانسان ، نتحدر إلى هاته الدنيا وفينا مشابه من آبائنا الأولين فى الملامح والميول والأطوار ، ولكن لكل منا روحه الخاصة وطابعه الممتاز . وكذلك تتدفق الكائنات من قلب الحياة الأزلى الذى لا ينضب ، وكأنها صور ممتازة متباينة رغم ما بينها من وشائج الرحم والقربى ، ولولا ذلك التباين الحكيم لأصبح عمل الحياة عبثاً متواصلاً وعناء معاداً لا جدوى وراءه ولا متاع .

كذلك يصنع الشاعر الفنان ، وكذلك ينبغى أن يصنع ، فهو لا يستطيع أن يخرج عن نفسه التى بين جنبيه وما فى هذا العالم من سحر ، ولذة وألم ، وما خلفته الانسانية من فن ورأى ودين ، ولكنه حين يتحدث الينا بذلك فى آثاره لا يتحدث

به الا بعد أن يحيا فى قلبه ويتوهج فى حياته ويتضرّج بأضواء نفسه المشرقة ، فتبرز آثاره للدنيا موسومة بوسمه ومطبوعة بطابعه الذى لا يزول . وذلك هو التجديد بمعناه الواضح الصحيح .

* * *

والشاعر ؟ ماذا يصنع بين هاته السبل المتعرجة ، وفى لجّة هاته الأصوات التى تهيب به من كل ناحية ومكان ؟

أما اذا كان ضعيف النفس خوّار العزيمة فان مواهبه وألحانه تضمحل وتفنى فى هذا الأفق الدّاوى بالأضواء ، وتذهب حياته أباديد فى مهابّ هاته الرياح ، وأما إذا كان موثق العزم قوي الايمان برسالته فهو يسلك سبيله فى عزم وقوة غير آبه لتلك الأصوات الكثيرة المتباينة ، وهو يمضى قُدُماً ، صامّاً سمعه الا عن صوت « الحياة » المتردّد فى أعماق قلبه المتدفّق فى جوانب نفسه تدفقَ أمواج البحار ، مطبقاً بصره الا عن نور السماء المشرق فى آفاق روحه الحالمة وفى أعماق الوجود . وهو يمشى وعلى شفتيه بسمةٌ مشفقة ساخرةٌ بكل هاته الاصوات التى تريد أن تحصر روح الشاعر فى قفص مطبق محدود الجوانب ، لانه يعلم أن روح الشاعر روح حرة لا تطمئن الى القيد ولا تسكن اليه ، حرة كالطائر فى السماء والموجة فى البحر ، والنشيد الهائم فى آفاق الفضاء ، حرة فسيحة لانهائية لا تحدها نزعة واحدة ولا مذهب محدود وإن كانت لا تضيق بكل هاتيك النزعات مجالات نفس الشاعر ولا تتقيد بصورة أو مثال .

والحق أننا نخطىء كثيراً اذا حاولنا أن نفرض على الشاعر آراءنا ومذاهبنا وأحلامنا فرضاً ، ولن نجنى من وراء ذلك الا تضليل المواهب الجديدة الناشئة وسخرية المواهب الكبرى السائرة إلى النور ، وأنه ليس لنا أن نطالب الشاعر فى شعره بغير « الحياة » واذا جاز لنا أن نطالبه بأ كثر من هذا فلنطالبه بأن تكون هذه « الحياة » رفيعة سامية تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله ، ففى الحياة كثير من الحماقات والدنايا يتعالى الفن عن التدلى اليها من سمائه العالية .

فاذا قرأنا شعر الشاعر فوجدنا فيه إنساناً من لحم ودم ، يحيا ويتنفس ، ويشعر ويفكر ، ويحاورنا بالعطف والحسّ والخيال ، وينسينا لحظةً وجودَنا المحسوسَ بما يخلعه علينا من جمال الفن وصوره ، ويرتفع بمشاعرنا فوق دنايا هذا العالم

ومحقّراته ، إذا وجدنا هذا الشاعر فلنقرأه فى ثقة وإيمان بأنه الشاعر حقاً ، وليس عليه بعدَ هذا أن يكون رَمزياً أو رومانتيكياً أو غير هذا وذاك . فما تلك فى الحقيقة الا أطوار نفسية يتشكل الشعر بما لها من ألوان وظلال وأضواء وليست هى الشعر نفسه فان لباب الشعر « الحياة » .

ولقد قلت مرةً عن الفن بمعناه الواسع : انه « حياةٌ موسيقيةٌ مصطفاةٌ » ، سواءٌ كان قطعة تنشد ، أو لحناً يعزف ، أو صورة ترسم ، أو تمثالاً ينحت ، فهو « حياة » ، لأن الفن فى صميمه انما هو صورة من تلك الحياة التى يحيا بها الفنّان فى هذا الكون الزاخر الرحيب ، أو فى دنيا خياله وأحلامه . كيفما كانت تلك الصورة فى اللون والشكل والعرض ، وهو حياة « موسيقية » ، لأن الفن فى جميع صوره وألوانه إنما هو مجموعةُ نِسَبٍ موسيقية ، يوازِنُ الفنّانُ بينها موازنةً حكيمةً مُلْهَمَةً ، يحسّ بها فى قرارة نفسه ويأتيها ، وربما لا يفهمها كل الفهم أو بعضه : فالشاعر العظيم هو الذى يوفّق فى فنه الى المعادلة بين نِسَبِ العاطفة والفكر والخيال والأسلوبِ والوزن ، بحيث يحصل بينها التجاوبُ الموسيقىّ الذى ينسجم فى القصيد انسجامَ النور والعطر والماء والهواء فى الزهرة الجميلة اليانعة . والرسام العظيم هو الذى يوفّق فى الصورة الى الموازنة الموسيقية بين الألوان والأضواء والظلال والروح الفنّية الشائعة فى كل ذلك شيوعَ الضياء فى السماء ، وليقل مثل ذلك فى بقية ضروب الفن وأصنافه .

وهو حياة موسيقية « مصطفاة » ، لأن الفنّان المخلص لفنه لا يعبّر أو هو مكرَهٌ على أن لا يعبر بفنه الا عن أروع صُور الحياة وأسماها ، وعلى هذا فان الشعر الرفيع حياة موسيقية مختارة تعبّر عن نفسها فى فنٍّ من الكلام . والموسيقى حياة موسيقية مختارة ترفرف بألحان مجنّحة فى جو منغم موزون . وكذلك يقال فى سائر أنواع الفن .

* * *

وقد تحدَّثتُ عن المدرسة القديمة والمدرسة الجديدة فى الشعر العربى الحديث . فما هى حدود كل من المدرستين وما هى غاياتُهما ؟

أما المدرسةُ القديمةُ فهى تزعم أن للغة العربية مزاجاً خاصاً لا يسيغ الا ضروباً محدودة من التفكير والحسّ والخيال ، وهى تنقم على المدرسة الحديثة أنها تستحدث

فى الأدب العربى فنوناً من البيان مشبعة بما فى الروح الأجنبية وآدابها من طرائف التفكير والخيال والاحساس ، وهى تدعى أن ذلك لا يلائم طبيعة اللغة العربية ولا ينسجم على ما تسميه : الاسلوب العربى الصميم .

وأما المدرسة الحديثة فهى تدعو إلى كل ما تكفر به المدرسة القديمة بدون تحرز ولا استثناء ، هى تدعو إلى أن يجدّد الشاعر ما شاء فى أسلوبه وطريقته فى التفكير والعاطفة والخيال ، والى أن يستلهم ما شاء من كل هذا التراث المعنوى العظيم الذى يشمل كلّ ما ادّخرته الانسانية من فنّ وفلسفة ورأى ودين ؛ لا فرق فى ذلك بين ما كان منه عربياً أو أجنبياً ، وبالجملة فهى تدعو الى حرية الفن من كل قيد يمنعه الحركة والحياة ، وهى فى كل ذلك لا تكاد تتفق مع المدرسة القديمة الا فى احترام قواعد اللغة وأصولها . بل ان فريقاً من متطرفى المدرسة الحديثة لا يعدل بحرية الفن شيئاً ، ولا يحفل فى سبيل ذلك حتى بقواعد اللغة وأصولها ، غير أن صدى هاته الطائفة قد أخذ يخفت ويضمحلّ ولا شكّ أنه سيفنى مع الزمان ، فهو ليس الا طفرة جامحة لكل الطفرات التى تصحب كل انقلاب فى حماسة الدعاية الأولى .

ولكن ، ما غايةُ هاته المدرسة الحديثة وما حدودُها ؟

أما اذا أردت يا صاحبى أن تجعل لهاته المدرسة حدوداً مضبوطة فاصلة على النحو الذى كان عليه المذهب الرومانتيكى أو الرمزى أو البرناسى أو الواقعى أو غير هاته المذاهب التى سيَّرت الأدب الفرنسى فى طرق خاصة وأملت عليه من روحها القوىّ الثابت ، أقول إذا أردتَ ذلك فانك غير واجده . فالمدرسة الحديثة لم تصبح بعد مذهباً واضح الحدود والمعالم ، ولكنها ما زالت ثورة مشبوبة هائجة وإيماناً قوياً عميقاً ، ثورة فى سبيل حرية الشعر وكماله وإيماناً بسموّ الغاية وجلال المبدأ . أجل ، هى ثورة ما زالت تختلط فيها المطامحُ والميولُ . وتضطرب فيها أصول المذاهب اضطراب البذور فى حميل السيل ، وآية هذا ما أسلفتُ من اختلاف فى المقاييس الأدبية والاساليب والنزعات . وذلك سرّ هاته الحيرة العميقة الغائمة التى تعانق أرواح أغلب شعراء هاته المدرسة ، فكل واحد منهم واقف بشعره على تخوم عالم مجهول ، لا يعرف له مبدأ ولا غاية ، تستفز نفسه أصوات وأنغام ، وتستهوى خياله أشواق وأحلام ، وتسحر طرفه أشعة وأطياف ، ولكنها لا تأسر نفسه حتى تتوارى

وراء السحب البعيدة النائية ، ثم تضمحل وتفنى فى سكون الفضاء . وما أشبه حال شعراء هاته المدرسة اليوم بحال « البحار وجنية البحر » فيما تقصه الأساطير . ولذلك فكل شاعر من شعراء هاته المدرسة يكاد يمثل فى نفسه مدرسة مستقلة لها مذهبها الخاص وطابعها الممتاز ، ولها وجهتها فى فهم الشعر وانشائه .

على أنك تستطيع أن تلمس فى آثارهم رغم ذلك روحاً قوية متأججة مشرقة كالصباح ، متوهجة كاللهيب : هاته الروح هى طلاقة الحياة والحنين الى المجهول . . ؛ فالحياةُ الحرةُ المطلقةُ ، والأشواقُ التائهةُ المبهمةُ ، أو « الطموحُ » بأشمل معانيه ، هو الروح الغالبة البادية فى آثار هاته المدرسة التى تجاهد فى سبيل الكمال الفنى المنشود .

وأبوشادى كشاعر من شعراء هاته المدرسة المجددة له مذهبه ، وأسلوبه ، وروحه الخاصة الممتازة .

أما مذهبه الشعرى — فيما أرى — فهو أن يحرص الشاعرُ كلَّ الحرص على التعبير عما يدوى فى أعماق نفسه من أصداء الحياة وما يخالجها من وحى هذا الوجود ، وعلى أن لا يضيع من ذلك شيئاً ما استطاع اليه سبيلاً . ولعله يؤمن بأن كل تقصير فى ذلك يُعدّ خيانة لأمانة الفن ، فالشاعر لم يوجد الا ليؤدى رسالة هذا الكون الذى لا تسكت ألسنةُ الهواتف فيه ، وكلما قصر الشاعر فى أداء هاته الرسالة كان خائناً لرسالته وغيرَ مخلصٍ لفنه ، وهذا هو السرُّ فى وفرة انتاج أبى شادى بالنسبة لغيره من الشعراء .

فهو اذاً صاحبُ مذهب جديد فى الشعر ، وأنا أعتقد أن مذهبه هذا يرجع الى طبعه أكثر من كل شىء آخر ، فهو ذو طبع عملى ممتلىء بالعزم والحياة لا تكاد تولد الفكرة فى أعماق نفسه حتى تحولها طبيعتُه العملية الى كائن موجود . ولذلك فهو لا يستطيع أن يحس احساساً لا يعبر عنه ، ولذلك فهو يعجب كيف يُؤثر الشاعر وأْدَ عواطفه على بعثها حيةً فى شعره تتنفس بروح الحياة ؟! وكيف يقتل الكسلُ والاستسلام روح الخلق فى الفنان الذى لم يوجد الا ليخلق ؟! وهو يعبّر عن مذهبه هذا فى كثير من نثره وشعره ، ولكنه يعبّر عنه بحرارة وايمان فى قصيده الجميل الرائع : «التجدد» — صفحة ١٨ من هذا الديوان .

وأما أسلوبه فهو يمتاز بجمال الطبع والسهولة والبساطة الحرة الواضحة التى لا تحبّ

التكلف ولا تسعى اليه ، وهو يرسله ارسالاً كما قال « مثل الأتيّ ومثل الجدول الجارى » لا يتأنق فيه ولا يتعمل ، ولا يحرص على ما يحرص عليه بعضُ الشعراء من ظهور آثارهم بمظهر المترف الأنيق ، ولكنه يحرص كل الحرص على أن يكون صادقاً دقيقاً فى التعبير عن ذات نفسه ولو أدَّى به ذلك الى الغموض أحياناً .

أما بعضُ الناقدين الذين يجرّدون أسلوب أبى شادى من الجمال فانهم يظلمون الرجل ويتحاملون عليه ، فانّ أسلوبه لا يفقد الجمال ولكنه يفقد الاناقة ، وشتان بين الأناقة والجمال ، والحق أن الشاعر امّا أن يضيّع غير قليل من احاسيسه وأصوات قلبه فى سبيل الأناقة والاندفاع مع الرنين الموسيقى ، وامّا أن يضيع غير قليل من هاته الأناقة فى سبيل التعبير عن ذات نفسه بدقةٍ وأمانةٍ ، وأبو شادى لا يؤثر التضحية بمذهبه الذى يدعو اليه ويؤمن فى سبيل التزويق والتنويق .

وأما الرُّوحُ التى يمتاز بها شعر أبى شادى فهى روحانية عميقة ، وصوفية بعيدة المدى ، واحساسٌ مُرْهَفٌ مشبوبٌ ، وخيالٌ متنقّلٌ سريعٌ . وبهاته الروح المركّبة ينظر أبو شادى إلى هذا الوجود فلا يرى فيه الا احياء جديرة بالمحبة والعطف ، يعاطفها وتعاطفه وتشاركه الأنسَ والحياة ، وبهاته الروح يهتف قائلاً من أعماق قلبه :

وكم فى الظلّ والأنوار أحـــــلامٌ اناديها !

تونس : أبو القاسم الشابى

# الينبوع

# THE FOUNTAIN

# إهداء الديوان

لَمَّا رأيتُ عواطفي وخواطري ومُنَى الحياةِ لديكِ أنتِ تَضُوعُ
أيقنتُ أنكِ أنتِ وحدكِ خالقي وعرفتُ أنّ جمالكِ (الينبوعُ)
فجعلتُ قُرباني إليكِ عواطفي إنّ الحياةَ حنانُكِ المطبوعُ

أبو شادي

# شعر الديوان

## الصبا المبعوث

يا زهرةً لحبيبتى قد مثّلتْ ... أعوامَ فرقتنا إليكِ أحنّ [1]
لم ألقَ غيركِ مَنْ تُجسّمُ ما مَضَى ... مِنْ لوعةٍ فى روعةٍ تفتنّ
مَضَتْ السنونُ فكيف كيف أُعيدُها ... إلاّ بحبكِ أنتِ حين أُجَنّ ؟
لِمَ لا أُجَنّ وذاك عُمرى ذاهبٌ ... كالنّبْعِ قد خانَتْ جَدَاهُ المُزْنُ ؟
عُمرى مضى إلاّ الأقلّ ، وإنه ... عمرٌ على الحالين فيه الحُزْنُ
وأَحَبُّهُ ذاك الشبابُ المنطوى ... ولديكِ أنت خيالُهُ المفتنّ
فإذا عشقتُكِ أنتِ عشقَ حبيبتى ... فالبِرُّ يوحى بالهوى والفَنّ !
قد صِرْتُمَا لى صورتىْ حُبّى الذى ... منه نُفيتُ ، ومنه منه الغَبْنُ
وله حَييتُ وما أزال أعيش فى ... حُلُمى ، فلولا الحُبّ مات الكونُ !
مَنْ ذا يلوم تَوَدُّدِى لكِ بَعْدَ ما ... عانيتُ مما قد جناه البَيْنُ ؟
مَنْ مُرْجِعٌ أمسى الذى كفّنْتُهُ ... فيعودُ عطفٌ منه ليس يُمَنّ
أنتِ التى هى صُورةٌ من أمّها ... فلها الرشاقةُ والصبا والحُسْنُ
وبها زمانٌ تَلَهُّفى وتَحَرُّقى ... يرنو إلىّ ، كما شجانى الآنَ
ما أنتِ إلاّ فَلْذةٌ مِنْ مُهجتى ... بُعِثَتْ فكيف تَرُدُّ شوقَ السِّنّ ؟
وإذا انتسبتِ فإنّنى أَوْلَى بما ... مَثّلْتِ مِنْ رُوحٍ إليه أَحِنّ

---

(١) انظر قصيدة ( الزهرتان ) فى ديوان ( أطياف الربيع ) — ص ٤٩

## الألحان الصامتة

لغةُ الحواجبِ والعُيُونْ لغــةٌ من الشعرِ الحنونْ
أغنَتْ عن اللحنِ الشجيِّ وفسَّرتْ معنى الفنونْ
وكــأنّما الالحـانُ إنْ حُرِمَتْ صداقتَـها تَهُونْ
وقفتْ تغنّى والغنـاءُ يذوب مِنْ فيهـا فُتونْ
ورشــاقة الصوتِ الحبيبِ كأنهـا عَـذْبُ الجنونْ
قد رنَّحتْ منها القوا مَ وأسبلتْ منها الجفونْ
واستنطقتْ شغَفَ العيو نِ فلحَّنتْ لغةَ العُيُونْ
فلبثتُ مأسُوراً بصوتٍ كم يبينُ ولا يبينْ
أهواه مِنْ نظراتِها لجميعُها شدوٌ مَصُونْ
حاكتْ تبسُّمَهـا الرقيـ قَ فما تشذّ وما تخونْ
بل تغمرُ الروحَ الوفيَّ مِنَ الصبـابةِ والمجونْ

## يومٌ مروعٌ

( فى جيرة البحر )

يلوح الافقُ أغبرَ فى دُخانٍ وهذى الشمسُ تحترقُ إذْ تغيبُ
كأنَّ السُّحْبَ مجمـرُها بخورٌ بجمرتِها لها سِحرٌ عجيبُ !
يَضيقُ الأفقُ فى قلبى ونفسى وما يُغنِينى المنى الأُفُقُ الفسيحُ
اذا اكتأبَ الوجودُ فانّ نفسى تئنُّ وكلُّ محمودٍ قبيحُ
أهاتيك الصخورُ لها شخوصٌ سوى البادى على تلك الصخورِ ؟
أفيهـا مِنْ قديمِ العهدِ روحٌ تراثٌ للشعورِ وللضميرِ ؟
لقد مضتْ القرونُ وتلك سكرَى على مَوْجِ الحوادثِ والقرونِ

وهـذا البحرُ أهونُ ما تلاقى    فما موجٌ سوى موجِ السنين !
أهـذا اليومُ من أهلِ الشتاءِ    وقد أوفى دخيلاً فى الربيعِ ؟
وما جدْوى السؤالِ وذاك يومى    يصدّ عن الاجابة كالمروعِ ؟!

## بحر السماء

هتفتْ بى الاضواءُ فاستيقظتُ من    نومى على قلقٍ من الاضواءِ
ونظرتُ فى أفقِ السماءِ فلم أجدْ    الا حديثَ الموجِ والدأماءِ
السحْبُ تجرى فى اصطخابِ الموجِ لا    ترضى بهدأةِ لحظةٍ لندائى
ناديتُها فتلفّتتْ . لكنّه    كتلفّتِ الأطيافِ للشعراءِ
لا تستقرّ هنيهةً ، وتسير فى    لهفٍ، كوثبِ الموجِ فوق الماءِ
وكأنما الزمنُ العجيبُ يسوقها    كالخيلِ فى ركضٍ وطولِ عناءِ
تخشى سياطَ الدهرِ تجرى خلفها    فالدهرُ قاسٍ دائباً ومُرائى
وتغيب فى بحرِ السماءِ كما مضى    حُلُمى وأنفاسى ووحىُ رجائى !

## البحر الصغير

( من مشاهد المنصورة البديعة )

هنيئاً أيها البحرُ الصغيرُ    تُنير بك السفينُ وتستنيرُ (١)
وتجرى فيـك أمواجٌ خفافٌ    وكلٌّ روحُها طفلٌ صغيرُ
تطوف على الحقول وأنتَ تُسدى    حياةً ليس يُشبهها النظيرُ
أيا ابنَ النيلِ أنتَ أبوكَ لوناً    وخُلقاً تستعزُّ ولا تضيرُ
تبسّمُكَ المدينةُ وهى أهلٌ    فسرتَ وأنتَ مزهوٌّ قريرُ
تُضيفُ الوزُّ ألواناً وتجرى    بكَ الأحمالُ يُزجيها الخريرُ
وتختلط الحياةُ لديكَ شتّى    فينظمُها لكَ الحسنُ القديرُ
ويحيا فيـكَ نوتىٌّ وطيرٌ    كما يحيا بك النورُ الأسيرُ !

(١) اشارة الى انعكاس الاضواء من سطح الماء على السفين .

## رعشة الحور

الشمسُ تضحك للأصيلِ ، وماؤه     في النيلِ مصطفقٌ يحنُّ اليها
والحورُ غازلها النسيمُ معانقاً     وكأنما ارتعشَ النسيمُ لديها
فترفُّ أوراقُ الغصونِ بلا ونى     في رعشةٍ والسحرُ رفَّ عليها
هذي الطبيعةُ في احتضانٍ دائم     فعلامَ نُهزَمُ نحن بين يديها ؟

## عيون المنصورة

عُيونٌ كلُّها فِتَنٌ     واصداءٌ من الفِتَنِ
أحنُّ لسمرةٍ فيها     كسمرةِ مائها الفني
فكم فيه تحياتٌ     من الأجيالِ والزمنِ
وكم فيه عباداتٌ     لنهرٍ روحُه وطني
نظرتُ الى معانيها     كأني لست أدريها
فكم مِن سَبحةٍ فيها     لروحي إذْ تناجيها
تناجي ظلها الحاني     ونوراً حائراً فيها
وكم في الظلِّ والأنوا     رِ أحلامٌ أناديها !

## اللهفة الحائرة

في القُرْبِ أم في البُعْدِ يغمر مُهجتي     مِنْ لهفتي قلقٌ يدوم وجُوعُ
ما لي أراكِ كأننا لم نجتمعْ     قبلاً وقلبي هائمٌ ومَرُوعُ ؟!
أرنو اليكِ كأنما الدنيا أبتْ     هذا اللقاءَ وانني المخدوعُ
أرنو اليكِ كأنني أرنو الى     كونٍ يحار به النُّهى ويضيعُ
أرنو وأرنو ثم أرنو مثلما     يرنو الى الأمِّ الحنونِ رضيعُ

أرنو وهذا الصمتُ يشملني كما ... شملَ الوجودَ أشعةٌ ودموعُ
وبحار حُسْنِك مِنْ سكوني بينما ... أنا وحديَ المتكلّمُ المسموعُ !
أوّاه مِنْ لهفي ومِنْ حَرَقي الذي ... لا ينتهي وكأنه المطبوعُ
عالجتُ كلَّ وسيلةٍ أشفى بها ... فاذا الشقاءُ محرَّمٌ ممنوعُ
واذا نعيمي أن أراكِ وحُرقتي ... تتساويان وقلبيَ المصدوعُ
واذا بيَ الصادي الذي لا يرتوي ... واذا جمالُكِ وَحْدَهُ الينبوعُ
إنّا رُبينا في الشقاءِ وفي الهوى ... فهوايَ — مهما يَنعَمْ — المفجوعُ
وكأنما نصفو بمأتمِ حبّنا ... والذكرياتُ تحوطنا وتروعُ !

## الام الحنونه

ضَمَمْتِ الكمنجةَ مثلَ ابنةٍ ... وأدّبْتِها ثم لاعبتِها
وهذي الأناملُ تجري عليها ... حناناً ينوّع مِنْ صوتِها
فمنها السرورُ ومنها البكاءُ ... كأنكِ بالعزفِ عاقبتِها
ومِن قوسِها المستحبِّ العزيزِ ... تثارُ البلابلُ من صمتِها
فيا عجباً بين أمٍّ حنونٍ ... وبين التدلّلِ مِنْ بنتِها
نذوقُ الحياةَ بألوانها ... أغانيَ تعبدُ في ذاتِها !

## الى مودعتي

وَدَّعتِني وكأنما ودّعتِ بي ... أملاً جريحاً قد طواهُ الهمّ
يَمّمتِ شاطىء (أفروديتَ)[1] وطالما ... جذبَ الجمالَ اليهِ ذاك اليمّ
بلدٌ تنفّسَ بالملاحةِ روحُه ... والحسنُ منه يعودُ وهو أتمّ
فلمن تُرِكتُ وقد نأيتِ وهذه ... دنيايَ يغشى في جناها السمّ ؟

(١) ثغر الاسكندرية .

ولمن أزفُّ عواطفي وتهافُتي ... ولديك لطفٌ عن هواي َ ينمّ ؟
صُوَرُ الجمالِ حياةُ نفسي بينما ... لا أشتهي الّا سناكِ يُضَمّ
إنْ غبتِ جرتُ بكلِّ ما أنا عاشقٌ ... وجميعُ ما أنا أرتضيهِ يُذَمّ
شِعرُ المعابدِ (١) أينَ أينَ دواؤهُ ... إلاّكِ ؟ أينَ سواكِ سِحرٌ جَمّ ؟
أنتِ التي معها لثمتُ جمالها ... فالقلبُ لا يرويه هـذا اللثمُ ؟
أنتِ التي هي توأمي (٢) فبمن سوى ... هـذا الحنانِ مَواهبي تأتمّ ؟
هل لي سوى هذا الجمالِ مَثابةٌ ... تختارُ أو حسنٌ سواكِ يُشَمّ ؟

## العيون المتكلمة

شاهدتُ نهدَيها وقد خفقَ الهوى ... بهما كما قد رفّ مِنْ خدّيها
ونظرتُ هذا الجسمَ أجملَ ما اشتهى ... ربٌّ وأفتنَ ما ادّعاه لديها
فعرفتُها معنى الألوهةِ قُدّستْ ... فوقَ الحياةِ وقد حوتْ رُوحيها (٣)
وأطلّتْ مِنْ نظري اليها حائراً ... في وَحْيِ هذا الظلِّ من نهدَيها
فتكلّمتْ لغةُ العيونِ بما حكتْ ... مِنْ قبلُ حينَ رنا الالهُ إليها

## رثاء الجمال

( عند شاطئ البحر )

أَنْشِدْ رثاءَ الأماني أيُّها الفاني ... واندبْ مآلَ الجمالِ الضاحكِ الهاني
دُنيا حواليهِ يَبْنيها ويهدمُها ... كالموجِ يَهدمُ ما يبنيهِ في آنِ
أتركْ تفاؤلَكَ المعهودَ آونةً ... وانظرْ مَصارعَ أطيافٍ وألوانِ
أنظرْ الى الحُسْنِ في إعجازهِ صُوَراً ... لا تنتهي ، وعجيبٌ كلُّها فانِ !

---

(١) معابد الحب (٢) يخاطب رفيقة صباه (٣) روح الوجود وروح الفن

كأنما هى أنفاسٌ نردّدها ... ملءَ الحياة فتدعو موتَنا الدانى
مَنْ هذه الغادةُ الهيفاءُ ساحرةً ... بناظرٍ ذاهلٍ كالفجرِ وسنانِ
تمشى وفى لونها الخمرىّ ما سمحَتْ ... دُنيا الحياةِ باغراءٍ وايذانِ
ترى الحياةَ تناهتْ فى تطلّعها ... منها بفرحةِ أضواءٍ وألحانِ
لا يستقرّ قرارٌ مِنْ تخطرها ... كأنما هى مِنْ أطياف نيسانِ ؟
مَنْ هذه غير رمزٍ للحياة حوَتْ ... أشهى البيانِ وأحلاه لوجدانى
أنا الذى أتفانَى فى مواهبها ... تفانىَ اللحن فى أوتار عيدانِ
كأنما الخالقُ الرسّامُ صوّرها ... فى جُرأة وغنتْها رُوح لهفانِ
فصار يعبدُها الخلاّقُ فى لهَفٍ ... وبات تصويرُها ايمانَ انسانِ
أهذه سوف يطويها الفناءُ كما ... يطوى جمالَ أمانينا الجديدانِ ؟

* * *

وذلك الموجُ مَنْ أبقاه مضطرباً ... يدعو اليه حنينَ الناس وثّابا
أحيا صُخوراً بأصداءٍ يردّدها ... وأطلعَ العُشبَ بالايحاءِ جذّابا
يجرى ويمرحُ فى لهوٍ وفى قلقٍ ... ويَشربُ النُّورَ أطيافاً وأكوابا
ترنو الحياةُ باحساسٍ يفيض به ... الى الأنام فيُمسى الناسُ أحبابا
والموجُ مهما تناهى فى تلاطُمهِ ... يأبى التخاذلَ فى مجراه غلاّبا
مَشاهدُ الحبّ فى لونٍ وفى صُوَرٍ ... مِنَ التهافتِ تُحيي الناسَ ألبابا
لقد وقفتُ قليلاً فى مباءتها ... فكنتُ أشهدُ أكواناً وأربابا
عوالمُ الفطرةِ الأولى بما جمعتْ ... مِنَ الجمالِ الذى قد زاد أنسابا
كم يأسرُ الموجُ فى أصباغهِ مُهجاً ... وكم يُعذّبُ هذا الموجُ مَنْ تابا
زُرْقُ العيون حوَتْ مِنْ رُوحهِ فِتَناً ... كما حوَتْ روْعهُ المحبوبَ إرهابا
وقفتُ فى الشاطىء المأهولِ فى شغفى ... والقلبُ ملءُ خُشوع بالغٍ طابا
والشمسُ فى الأفُقِ المهجورِ رانيةٌ ... مثلى الى البحرِ ترثى النورَ إذْ غابا
تبْكى بفيها وإنْ خِلْنا أشعّتَها ... متاعنا ، فاذا المبكىُّ ما آبا

حتى تذوبَ بهذا البحرِ فى غسَقٍ كما رأيتُ جمالَ اليوم قد ذابا

***

وذلك الرَّملُ كم حُسْنٍ أطافَ به وكم غرامٍ، وكم وَجْدٍ، وكم صُوَرِ!
كم جلسةٍ لىَ فى أفيائه جَمعَتْ ما طاف فى خلَدى الوهَّابِ للنظر
وكم نعمتُ قريراً بالظلامِ كما نعمتُ فى الأفقِ بالمبثوثِ من شرَرِ(١)
مُلْكٌ يسود به الصوفىُّ ما مَلكتْ حواسُّهُ لذةُ الايمانِ والعِبَرِ
وأىُّ دينٍ وإيمانٍ يُقاسُ بما فى ظُلمةِ الليلِ من حُبٍّ ومن خطَرِ؟
والبحرُ يزخر بالأشواقِ ضائعةً كمن ينادى حبيباً لجَّ فى سَفَرِ!
أمَّا أنا فأميرٌ عند ساحتِه أعانقُ الحسنَ فى طَوعٍ وفى خَفَرِ
ولا أفوتُ عزيزاً مِنْ مَناهلِه ولا صغيراً، فما فى الحُسْنِ من صِغَرِ
ولا أملُّ مَذاقاً مِنْ حَلاوتِه ولا شميماً من الانداءِ والزَّهَرِ
وصدرَها الخافقَ المهتزَّ فى جذَلٍ وجيدَها الناعمَ الموحى الى صُوَرى
لكلِّ جُزْءٍ عباداتٌ أوزِّعُها مِنْ لهفةِ الحبِّ لا تَفنَى على السَّهَرِ
والرَّملُ يعجب مِنْ نارى ومِنْ ظمَئى والنجمُ يضحك منى ضحكةَ القدَرِ!
وأحسبُ الحُسْنَ مَعْنًى خالداً أبداً كالحبِّ فى الكون لا يَفنَى على العُصُرِ
فيقتلُ الليلُ أحلامى ويطرُدُنا ويغتدى الشعْرُ مأوًى لى من الذِّكَرِ!

## غلبون الشاعر

( الى صديقى الشاعر الفنان الدكتور ابراهيم ناجى )

يا حبيبى! إنَّ ما تُهديه أسمى مِنْ هديَّهْ
كلُّه لى ذكرياتٌ وأناشيدُ شجيَّهْ
حبَّذا الغليونُ مِنْ رَمزٍ الى الرُّوحِ النديَّهْ

---

(١) يريد النجوم

دائمُ التفحِ بأحلامٍ إلى نفسى الشقيَّهْ
روحُكَ السمحةُ عندى مِنْ معانى الأبديَّهْ
كلُّ ما أُهدى وما تُنشدُ نجوى قدسيَّهْ !

* * *

أشعلُ الغليونَ مِنْ نارى وحيداً فى الظلام
ناظراً نحو سماءٍ فى ضرامٍ كضرامى
حبَّبَتْها غيرَ لمعٍ فى نجومٍ كابتسامى
خرقةُ الدُّنيا أطلَّتْ مِنْ ثقوبٍ فى الغمامِ
كلُّ ما فيها جميلٌ هو قلبٌ فى اضطرامِ
وكأنَّ الخالقَ الفنَّانَ يشقى بالتسامى !

* * *

يا حبيبى ! إنَّ ذكراكَ بقلبى فى شجونى
أنا والليلُ غريقانِ بأصداءِ الأنينِ
كلُّ ما فى الليلِ يستهوى الى دُنيا الجنون
فاذا لى مَلْجأ فى حبِّكَ الباقى الأمينِ
مُنشداً مِنْ شعرِكَ العذبِ أفانينَ الفنونِ
شارباً أنفاسَ غليونى كأنفاسِ الفتونِ

* * *

يا حبيبى ! هذه أمواجُ نفسى فى الهواءْ
كلُّ ما يبدو دخانٌ حينما يخفى الرجاءْ
كلُّ أنفاسى مناجاةٌ ، وكم ضاعَ الدُّعاءْ
هى دُنيا كلُّ ما فيها غباءٌ فى غباءْ
آهِ لو تُدركُ ما يَعنى بنوها الشعراءْ

آهِ لو تفهم مِنْ دقاتِ قلبي ما أُنْشِدُهُ !

* * *

حبذا الغليونُ مِنْ خِلٍّ اذا غابَ الخليلْ

ساهراً مثلى زميلاً حينما مَلَّ الزميلْ

كأسُه السمُّ كترياقٍ ، وكم سُمٍّ جميلْ

هذه دنيا بنوها قد أباحوا المستحيلْ

جعلوا الحقَّ ضلالاً فاذا الكونُ عليلْ

واذا بي أشربُ السُّمَّ كسقراط النبيلْ !

* * *

أنتَ يا مَنْ كلُّه عطفٌ على وَجْدِي الأليمْ

أنتَ يا مَنْ يخلقُ الرحمةَ إنْ مَلَّ الرحيمْ

يا صَفِيِّ ومُنَادِيني لأجتازَ الجحيمْ

أنا في ناري كما قدَّرتَ أمضى وأهيمْ

وهي لم تخبُ ولن ألقى سوى وهج النسيمْ

مُحْرِقاً نفسي كهذا النجمِ في الليلِ البهيمْ !

## نفرتيتي الجديدة

( الى الممثلة الفتاة الآنسة امينة رزق )

فى ذلكَ الأمسِ العزيزِ النائى    فى جيرةِ الأمواهِ والأضواءِ (١)

جلستْ مَليكةُ مصر يجبلُ رسمَها    للفنِّ فى عليائها الوضَّاءِ

تمثالُ مصر ( تحتمسُ ) الفنَّانُ فى    إبداعهِ ، والفذُّ فى الايحاءِ

(١) كان القصر الملكي في تلك الزيارة معرضاً للجمال الطبيعي الذي فتن به الملك اخناتون وزوجته الملكة نفرتيتي

ومضى الزمانُ وما تكامل صُنعُهُ    فالفنُّ عند الحبِّ جِدُّ مُراءِ
جلسًا وكم جلسًا ، فما شبعَ الهوى    منها ، وما كمُلَ المِثالُ لِرائى
وجلستِ أنتِ تُحدثين حديثها    وتحبّذين روايتى (١) ورجائى
فخشيتُ أنى لن أتمَّ نظيمَها    حتى يدومَ لكِ الحديثُ ازائى
روحٌ كروحِكِ كلُّها نُبلٌ فما    خُلِقَتْ لغيرِ الشعرِ والشعراءِ
جُبِلَتْ مِنَ الطُّهرِ الصميمِ كأنما    جُبِلَتْ مِنَ الاضواءِ والأنداءِ
وتشبّعتْ برشاقةٍ عُلويّةٍ    كرشاقةِ النجمِ الحنونِ
وتجمّلتْ بملاحةٍ مِنْ لونِها    فى سُمْرةٍ كجمالِ هذا
ما أنتِ الّا رمزُ مصر ونيلِها    وجنى الفنونِ الحلوةِ الزهرا
فاذا رأيتُكِ تحفةً قدسيةً    فالفنُّ أولُ مؤمنٍ بندائى

## ديمقراطية الجمال

( فى خليج استانلى )

زعموا الجمالَ تمنُّعاً وتحجُّباً    حين الجمالُ رشاقةُ التعبيرِ
لم يدرِهِ المتنطِّعون ، وإنما    يدريه كلُّ مُغرِّدٍ بشعورى
يا بنتَ أفروديتَ حُسنُكِ ماثلٌ    فى جسمكِ المتموِّجِ المسحورِ
سحرَتْهُ أمواجُ الهواءِ وكلُّ ما    حملَ الهواءُ مِنَ النَّدى والنُّورِ
تمشين عاريةً كأنكِ شُعلةٌ    للربِّ تُستَوحى كوحىِ الطُّورِ
مِنْ كلِّ جُزءٍ نفحةٌ علويةٌ    مشبوبةٌ فى قلبِ كلِّ بصيرِ
هى خيرُ ما تهبُ الحياةُ لشاعرٍ    إنْ فاتها الموتى والحظُّ ضريرِ
يا بنتَ افروديتَ لا تتهيَّبى    وخُذى الحياةَ مجالَ كلِّ حُبورِ

---

(١) رواية نفرتيتى تأليف صاحب الديوان.

وتخطرى ظلاً لنا واشعة ... ما كن غير عواطف وشعور
نهداك أم ساقاك مانطقا سوى ... بالشعر فى لغة من التصوير
من ذا يحجب نبعك الحر الذى ... وهبته أوروديت للتقدير ؟
وهبته كى يحييا ويعبد بيننا ... جسماً وروحاً فى مثال الحور
أيذوقك البحر الطروب مقبلاً ... ومعانقاً فى وصله المبرور
ونظل نحن العابديك على أسى ... ما بين حرمان ويأس صخور ؟!

## فى حمى الموج

(عند شاطىء اسبورتنج)

تدفق أيها الموج الطروب ... فلى قلب على ألمى يذوب
يذوب من الأسى الدفاق حتى ... كأن أساه ما شكت القلوب !
أعنى من خريرك فهو طب ... اذا ما خاب فى الناس الطبيب
تحجر كل من أرجو رضاه ... فأين للوعتى أين الحبيب ؟
تدفق أيها الموج المغنى ... فلى من روحك العالى نصيب !
أعيش ببيئة كالصخر موتاً ... وكم فى الصخر تحنان عجيب !
أنست الى الجماد ففيه عطف ... ومزقنى المصاحب والقريب
وأصبح لى القريب قريب موج ... يداعبنى ، وصادقنى الغريب !

* * *

ويا هذى الرمال وعيت نفسى ... فنفسى شعلة ولها لهيب(١)
تكاد النار تلفظ منك لفظاً ... وتطفئها المياه ولا تغيب
أحن اليك تحنانى لأصلى ... وأصلى فيك جذاب مهيب
فخلينى إذن أفنى وهمى ... ففيك يبدد الروح الكئيب
وعندك ينشد الموج الأمانى ... ويلتجىء المعذب والأديب

---

(١) الشعلة المادة المشتعلة ، واللهيب النار الخالصة من الدخان .

## وداع الشاطىء

( فى الاسكندرية )

فرغَ التمثيلُ يا قلبي وقد حان وداعى
ما مجالى الحُسْنِ الاّ مِنْ تهاويلِ الخداعِ
حظُّها للجهلِ بالحسنِ وللوهمِ المطاعِ
حينما أنتَ غبينٌ فى لهيبٍ والتياعِ
أنتَ يا قلبي الذى ما زلتَ فى خُبرٍ مُضاعِ
أنتَ يا مَنْ خفقهُ كالوحى فى هذا الشعاعِ
أنت يا مَنْ يعرفُ الحُسْنَ كحرمانِ الطباعِ
يحرَمُ الحسنَ ويُعطى كالضحايا للسباعِ (١)

* * *

إيهِ ياقلبي ! تأمّلْ ! هذه دُنيا الصّراعِ
يُبدعُ الفنّانُ لكنْ هو كالنّورِ المُشاعِ
خاسرٌ مهما تفانَى فى وفاءٍ وابتداعِ
هذه دنيا جُنونٍ فى نزاعٍ وامتناعِ
كلُّ ما فيها غريبٌ لابسٌ ألفَ قناعِ
وكأن البحرَ لو فتّشْتَ مِن وهمِ المتاعِ
وكأنّ الحسنَ لم يُخلقْ ولم يجذبْهُ داعى !

## فى قطار البحر

( فى عودة من الاسكندرية )

ورجعتُ محروماً كأنّى لم أزُرْ وطنَ المفاتنِ والفنونِ الاولى

---

(١) اشارة الى عهد نيرون .

حكمتْ عليه كليوبطرةُ مثلما ... سَحَرَتْهُ فتنةُ أفروديتَ طويلاَ
فجلستُ محزوناً كأنى راحلٌ ... جزعاً أَهِمُ عاشقاً مجهولاَ
فاذا بأفروديت تبعثُ سلوةً ... لفنايَ من وحى الجمالِ رسولاَ
تملكتْ بصورتها ؛ فأقبل مثلما ... جاء الربيعُ من الشتاء بديلاَ
جلستْ أمامى فى تَوهجِ ملبسٍ ... وبِسُمرةٍ تذرُ المساءَ أصيلاَ
جلستْ وفى بسماتها لغةُ الهوى ... والحُسْنُ تأبى أن تترجمَ قيلاَ
جلستْ وقد عرضتْ نماذجَ حُسْنِها ... نوراً وظلاً بالحنوِّ ظليلاَ
وتتابعتْ نظراتُهـا ، وكأنما ... أوحتْ بها المأمولَ والمجهولاَ
حتى اذا طاب النعاسُ أطاعها ... سَمْحاً وإن كان النعاسُ بخيلاَ
نامتْ بأوضاعٍ منوَّعةٍ وقد ... تخذتْ من النومِ الغريبِ زميلاَ
فسهرتُ أحرسُها كأنىَ لا أرى ... إلاَّىَ أَولى أن يصون جميلاَ
فاذا الانيسُ هو الفقيرُ لسلوتى ... واذا الخيالُ يُذيبهُ تقبيلاَ
واذا أنا أقضى سعادةَ رحلتى ... فى الوهمِ لا خلواً ولا مشغولاَ !

## فى حفلة ذكر

سمعتُ صدًى كنهيقِ الحميرِ ... ولكنَّه آدميُّ المثالِ
فرُحتُ لأبحثَ عن سرِّه ... الى مَسْجدٍ مُفعمٍ بالضلالِ
الى حيث ينتفضُ الراقصون ... بملءِ الصفوفِ انتفاضَ الحبالِ
وكلٌّ يدور على لولبٍ ... وكلٌّ بوصمتهِ لا يُبالى
يَسيل اللعابُ ويَدوى الصياحُ ... وتُلوَى الرقابُ بأىِّ اختيالِ
جُنونٌ وكم فى جنونٍ فنونٌ ... وكم من وجودٍ شبيهُ المحالِ
فقلتُ : وما ذاكَ ؟ قالوا : جلالٌ ... من الذكرِ لله ربِّ الجلالِ
فسبحانَ ربى يُعَدُّ الجنونُ ... دُعاءً له بل أجلَّ ابتهالِ !

## الجمال النبيل

ولم أرَ في الجمالِ العذبِ مرأى ... كمرأى النُّبْلِ في الجسمِ الجميلِ
رأيتُكِ والحياةُ لديكِ حُلْمٌ ... وكم في الحُلْمِ مِنْ معنًى نبيلِ
وجسمُكِ شفَّ لي مبنًى ومعنًى ... وروحاً في تبسُّمِهِ الجليلِ
يلوحُ نداهُ بالاشراقِ لُطفاً ... كروحِ الفجْرِ في جسمِ الأصيلِ
دَعيني أرشفُ الساعاتِ منه ... معاني الضوءِ والظلِّ الظليلِ
فما الدُّنيا سوى نورٍ وظلٍّ ... وقد خُلِقا كخلْقِ المستحيلِ
وقد جُمِعا لديكِ على انسجامٍ ... كوقعِ النُّورِ في اللحظِ الكحيلِ
دَعيني ناظراً في غيرِ رُشْدٍ ... اليكِ بنظرةِ الراجي العليلِ
فكم مِنْ نظرةٍ فيها شفاءٌ ... وكم سقمٍ مِن الحُسْنِ البخيلِ
ذَريني فالحياةُ تفيضُ حولي ... بأصداءِ الجنونِ وبالعويلِ
وتنشدُ غايةَ الثاراتِ عندي ... كأنَّ الثأرَ ردٌّ للجميلِ !
أيسأمُ حسنُكِ الوهَّابُ شوقي ... ويَنسَى لهفةَ العمرِ الطويلِ ؟
نشأتُ على هواكِ كأنَّ روحي ... هواكِ ، فيا مُنى روحي أنيلي !
أقيلي عثرةَ الظامي ، فاني ... عَييتُ من الظماءِ ، ولا تميلي
ولا تمضي جفاءً أو دلالاً ... كما يمضي العزيزُ عن الذليلِ
فأنت أنا بأنفاسي وروحي ... ولن ينأى الأصيلُ عن الأصيلِ
ولو قاطعتِ تقبيلي ووصْلي ... لما حُجِّبتِ عن حُلمي المثيلِ !

## الينبوع

يا جمالَ النورِ في الظلِّ الحبيبِ ... ياجمالَ الرُّوحِ في الجسمِ الرطيبِ
هذه الدنيا لأحلامِ الاديبِ ... هذه غاياتُ آمالِ الأديبِ !
أيها الينبوعُ كم ساعٍ اليكَ ... يدَّعي بُغضاً لما أهوى لديكَ

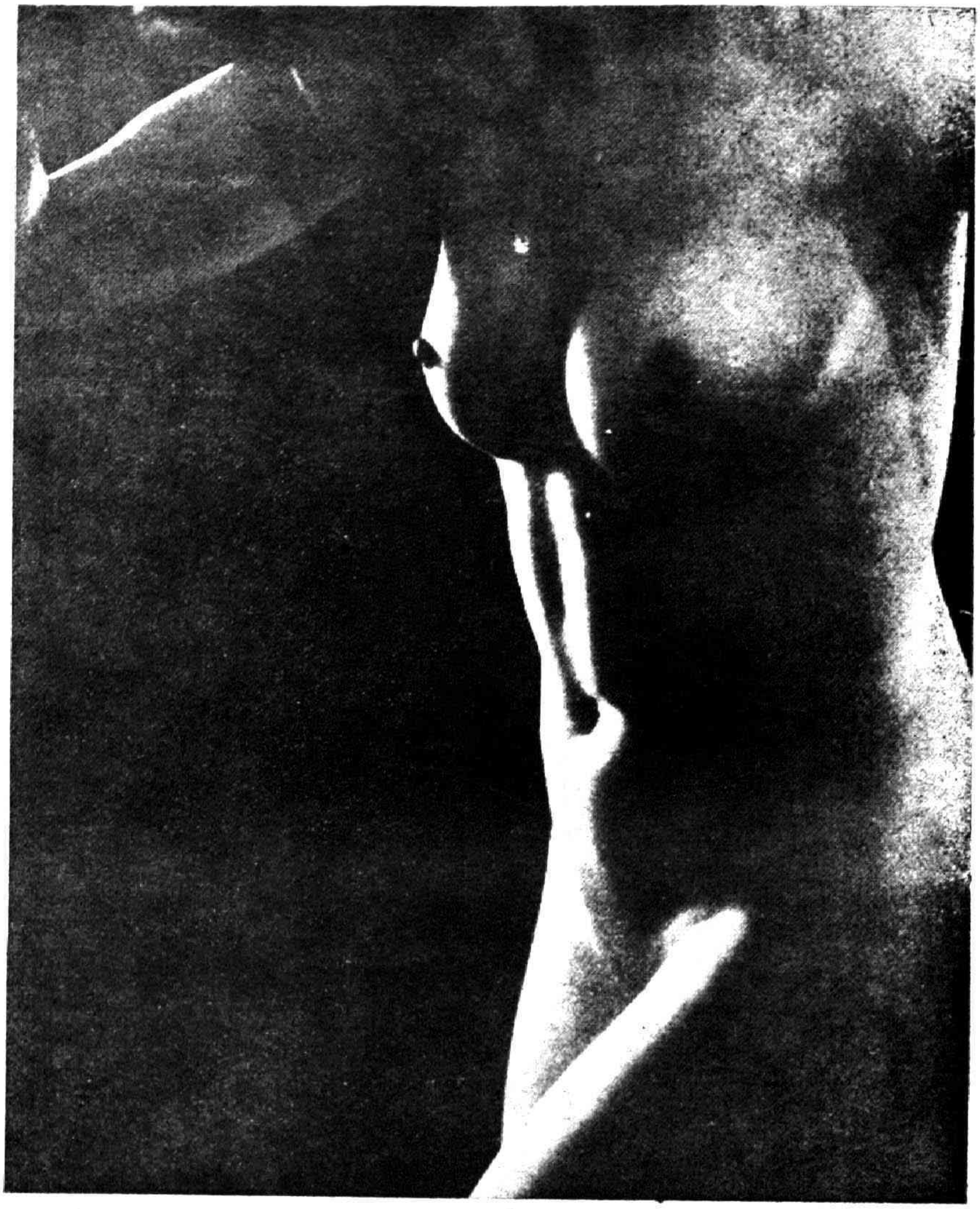

**الينبوع**
( من تصوير سكس ابيل )

كلُّ ما يرجوهُ موقوفٌ عليكَ ... فاذا الإنعامُ منكَ وإليكَ ؟
أنتَ سِحرٌ غامضٌ للعالَمِ ... أنتَ ينبوعُ الرجاءِ الدائمِ
أنتَ موسيقى الخلودِ الباسمِ ... أنتَ وَمْضٌ للشريدِ الهائمِ !
أيُّها الينبوعُ يا رمزَ الأبَدْ ... يا شُعاعَ اللهِ في طيفِ الجَسَدْ
كمْ مَعانٍ فيكَ كادتْ لا تُحَدْ ... وعَزاءٍ عن حَياةٍ تُفتَقَدْ !
إنما أرنو اليكَ في خُشوعي ... ما ابتسامي غيرَ لونٍ مِنْ دُموعي
أنا لحنٌ بين أطيافِ الربيعِ ... مِنْ طيورٍ وغديرٍ وزُروعِ !
أنا أحيا حينما أَجْني رِضاكْ ... حينما جسمي وروحي عانقاكْ
حينما لبّيتُ مسحوراً نِداكْ ... فاذا بي لا أرى العيشَ سِواكْ !
كلُّ همي في حياتي يستحيلْ ... حينما أخشعُ للفنِّ الأصيلْ
حينما أَرْوَى من التَّشْمِ النبيلْ ... ذاكَ نَبْعُ الحبِّ في الجسمِ الجميلْ !

## قبلة الابتسام

وأتى الوَداعُ فرحتُ ألثمُ راحةً ... أشبعتُها مِنْ مُهجتي تقبيلاَ
وتبسَّمتْ فجذبتُها ووهبتُها ... في ثغرِها شغَفاً يعيش طويلاَ
فكأنما قبّلتُ إذْ قبّلتُها ... معنى التبسُّمِ حالياً ونبيلاَ
وكأنَّ رُوحي قد حكتْها بسمةً ... لمَّا رشفتُ حُبورَها المبذولاَ

## التجدُّد

مَنْ كانَ يَشعُرُ دائماً بشعوري ... في اللَّيْلِ أو في الفجْرِ أو في النُّورِ
ويُصاحبُ الأجرامَ في حركاتها ... ويجوزُ عيشَ الناسِ كالمسحورِ
وَجَدَ التَّجَدُّدَ دائماً إلْفاً له ... في النفسِ أو في العالَمِ المعمورِ
ورأى الحياةَ بما تُجدِّدُ دائماً ... أسمَى مِنَ الافصاحِ والتعبيرِ

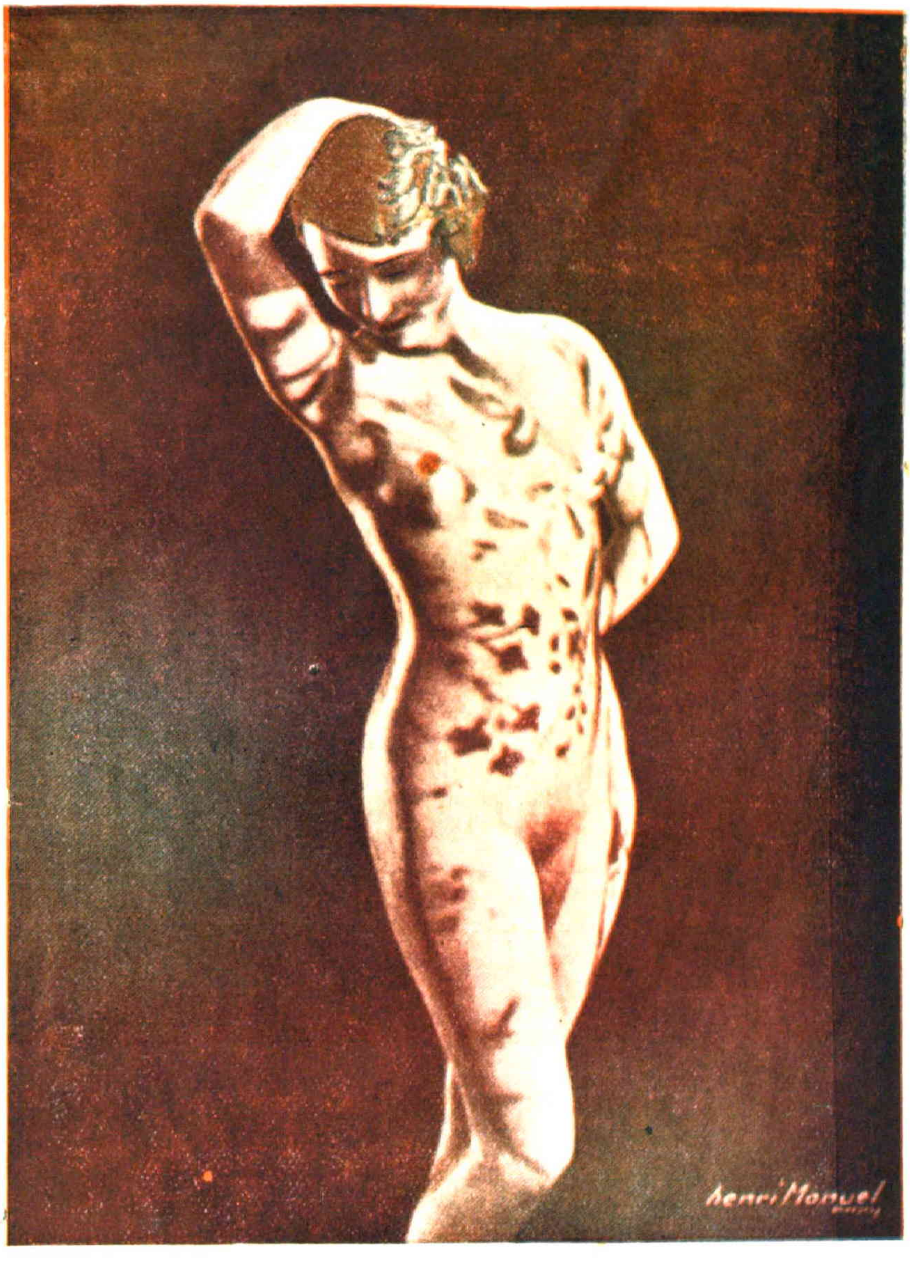


( الينبوع )     زهر الحب     ( مطبعة التعاون )

تُوحِي وتُوحِي دائماً ، فإذا الذي          أَوْحَتْهُ بعضُ جديدِها المقدورِ

لو أنصفَ الشعراءُ ما قَنِعُوا بما          خلقوه مِنْ شِعْرٍ ومِنْ تصويرِ

كم في الحياةِ مُجَدَّدٌ لا ينتهي          ولَكَمْ حقيرٍ وهو غيرُ حقيرِ

لاموا شُبوبَ عواطفي وتخيُّلي          وتَدَفُّقي بالشِّعر مِلْءَ شعوري

وأنا الخجولُ أمامَ ما أنا ناظرٌ          مِنْ كلِّ مُوحٍ بالغِ التأثيرِ

فيهزّني هزّاً ، ولكنّي الذي          مهما أَجَدْتُ أُحِسُّ بالتقصيرِ

وأكاد أُوقن أنَّ مَنْ هو لائمي          إمّا ضريرٌ أو شبيهُ ضريرِ

إنّا بكونٍ كلُّه شِعرٌ بلا          حَصْرٍ ، وكم مِن عاجزٍ مغرورِ

سَدَ أُفْحِمَ الانسانُ حين تجاوبَتْ          أمواجُ هذا الماءِ ملءَ خريرِ

وأبيتُ صَمْتي ، فالمماتُ متى وَفَى          سيفي ديونَ حياتِيَ المنشورِ

ما أعجبَ البُكْمَ الذين استعذبوا          خَرَسَ القديرِ كهيكلٍ مقبورِ !

## زهر الحبّ

( للفنان الفرنسي هنري مارتن )

رِفِي للحبِّ أنتِ وحدّثينا          حديثَ الزّهرِ يُشبِهنا فُنونا

حديثٌ كله شركٌ حبيبٌ          نطاوعُه فيقهرُنا فُنونا

كأنّ جمالَكِ المعبودَ صَفْوٌ          مِنَ الجنّاتِ وهّاباً ضنينا

تملّينا المفاتنَ منه شتّى          فأطمعنا وإنْ كُنّا كُفينا !

* * *

عَرَضْتِ لنا تقاسيمَ الجمالِ          وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ

تلألأَ بالهوى القدسيِّ بيننا          تدفّقَ بالتجاوُبِ لا ابتهالِ

فأبصرتُ النّجاةَ لكلِّ عانٍ          وذُوِّقتُ الحنانَ لكلِّ سالِ

وإزهارَ الفنونِ بعصرِ جَدْبٍ          بلا عِوَضٍ ، وأحلامَ الأوالي !

* * *

تغلغلَ في أدمي وصميمِ نفسي ... شعاعُ الحُسْنِ ممتزجاً بحسّي
سواءٌ كنتِ جسماً أم خيالاً ... أثيرياً تباعدَ دونَ لمسِ
فانكِ كالنجومِ نرامُ ضوءاً ... وسِرّاً حائراً وغريبَ همْسِ
وما ظمئى وما نظرى اليها ... سوى شغفِ التبتّلِ والتحسّي

* * *

وَقفْتِ وَشَعْرُكِ الذهبيُّ زاهٍ ... كتاجِ الشمسِ أو كيدِ الالهِ
وجسمُكِ كالرسالةِ مِنْ نبيٍّ ... وقد بَلغَتْ قداستُها التناهي
فتحفزُنا الى أسمى الأماني ... اذا حفزتْ الى أشهى التلاهي
فواكهُها قُطوفٌ دانياتٌ ... لإمتاعِ العواطفِ والشفاهِ

* * *

نَعَمْ ، مرآكِ عنوانُ الحياةِ ... يَبُثُّ حنانَها في النيّراتِ
سواءٌ في نفوسٍ أو نجومٍ ... وفي زهرِ الرياضِ العاطراتِ
وهل غيرُ الجمالِ حديثُ ربٍّ ... ونشوةُ نعمةٍ وسموُّ ذاتِ
نُقِشْتِ فكنتِ زهرَ الحبِّ جسماً ... ولكنْ أنتِ روحُ الكائناتِ

## من نافذة القطار

هذى الحقولُ تلوحُ لوحةَ راسمٍ ... كالصَّحْبِ كلٌّ باسمٌ جذلانا
فالقطنُ يضحكُ حينما الأرزُ ازدهى ... نَضِراً ، وداعبَ ثالثٌ إخوانا
أممٌ مِن الغرسِ العجيبِ عرضتُها ... بيْننا القطارُ مسافرٌ لَهفانا
جُمِعَتْ على جِدٍّ اختلافِ بينها ... والمرءُ يبغض خِلَّه الانسانا
وافتْ لتلبيةِ الحياة وقد دعتْ ... انّ الحياةَ تؤلفُ الخلانا
طغتْ الحضارةُ ، والحضارةُ إنْ طغتْ ... أضحى الملاكُ بروحِها شيطانا
فالناسُ بين تنابذٍ وتخاذلٍ ... يتسابقون إساءةً وطغيانا

في حين هذا النبتُ يضحك في غنًى ... متجاوراً منّا آلفاً فرحانا
وبدا الصغيرُ الجدولُ الجاري كما ... تجري الطفولةُ فرحةً وحنانا
فغبطتُهُ والحورُ قامتْ حوله ... كالأهلِ تحرسُ جسمَه العريانا
والشمسُ تلثمُه فتحسبُ أنه ... يجري بنورٍ ماؤُه جريانا
وترى السوائمَ في تحرُّرِ مرحِها ... بين الحقولِ تفوقنا إيمانا
تمضي منعَّمةً وتنسى عيشَها ... نسيانَها الإنسانَ والديّانا
والناسُ تحرمُها الخلودَ كأنما ... وُجِدَ الخلودُ لجنسِنا إحسانا !

***

ما أعجبَ الخطراتِ تجري حُرَّةً ... مثلَ القطارِ تسابقاً ورهانا
ولو آنني سجَّلتُ جُلَّ خواطري ... شملتْ بوثبِ جموحِها الأكوانا !

## طالب القوت

( مهداة الى زعيم من جبابرة التصنع )

حييتُ حتى رأيتُ مجداً ... يُذالُ ، والضيمَ عُدَّ مجدا !
كم بائعٍ رأيَهُ رخيصاً ... وأيُّ رأيٍ يُباعُ نقدا !
ومُسْرفٍ في اكتسابِ مدحٍ ... وعندي الإعلانُ أجدى
يملِّقُ الشعبَ كي يُعلَّى ... ولو هوى الشعبُ أو تردَّى
يهابُ نقداً لذي أناةٍ ... وأيُّ حرٍّ يهابُ نقدا !
ويزدهي في شموخِ وهمٍ ... وكبرياءٍ لمنْ تصدَّى
ويُرْسلُ الصُّحْفَ لاعناتٍ ... مَنْ عدَّهُ صاحباً وندّا
أحسنتَ يا طاغيَ ويا مَنْ ... ظننتُه نابغاً وفردا !
نبغتَ حقداً أضعافَ ما قد ... نبغتَ بين الأنامِ حمدا !
صنعتَ ما كنتَ تزدريهِ ... فبئسَ ما قد صنعتَ عمدا !
أنشترى الذمَّ : ذمُّ مثلي ... أنا الذي لا أمسٍ وغدا !؟

أنا الذى أشتهى حياتى تسامحاً شاملاً ورفدا ؟!
أأنتَ فى الحقِّ مَنْ يرانى فى السِّلم مستنماً وعبدا ؟!
أأصبح الفضلُ رهنَ حربٍ وبات صاباً ما كان شهدا ؟!
صدقتَ ! ما أنتَ أهلُ لومٍ فطالبُ القوتِ ما تعدَّى !

## جناية الأجيال

مهما سخطتَ فلا تَعْجَبْنَ إذا نظرتْ لك الحياةُ بروح الناقدِ الدَّارى
دُنياكَ هذى كَسِينَما أنتَ تجهلهُ وما خُصِصْتَ به مما بين أدوارِ
قد خُبِّئَتْ عدساتُ الدَّهرِ (١) فى حُجُبٍ وأنتَ بين خيالاتٍ وأقدارِ
طوراً تمثِّلُ فى أمنٍ وفى دَعَةٍ وتارةً أنتَ ذاك الساخطُ الزَّارى
فِلْمُ الحياةِ لكلٍّ فَصلُهُ ، وله نصيبُه بين إكبارٍ وإصغارِ
والخالقُ المُخرِجُ الرسَّامُ فى فَرَحٍ بما تمثِّل وهو الناظرُ القارى !
كأنما نحن أوهامٌ وتسليةٌ تشوقُه بين أطيافٍ وأنوارِ
لا ينتهى ذلك التمثيلُ فى صُوَرٍ وكم يُجَدِّدُ أدهاراً بأدهارِ !

## أُرفيوس ويوريديس

(كان أرفيوس بن الملك إيجرس — ملك ترافيا — ذا مواهب خارقة فى عزفه الموسيقىّ كأنَّ فى لَوْرِه صوتَ الألوهة ، ولا غروَ فقد كان ذلك اللَّوْرُ منحةً من أبولو — إله الفنون والشعر خاصةً — فاستطاع بقوته الخارقة أن يجتذب معشوقته يوريديس الفاتنة من معتصمها الجبلى . ولكنه ككل فنَّانٍ أصيل لم يكن راضياً عن نجاحه الفنى وتطلع الى أقصى غايات الكمال ، فكان يلجأ إلى الغاب يستوحى الطبيعة كلَّ جديدٍ جميلٍ معتمداً على سمع زوجته يوريدس وعلى ذوقها الفنى فى نقده ، وكانت هى ترى الخطرَ عليها فى غيابه ، ولكنها لم تشأ تثبيط همته حتى يبلغ مشتهاه

(١) اشارة الى عدسات الكامرا فى مراسم السينما .

( الينبوع )　　أرفيوس ويوريديس　　( مطبعة التعاون )

الفنّي البعيد . الى أن أحست أخيراً بالخطر الداهم من شغف الأمير أرستييوس بها فهربت الى الغاب ، وما أحسَّ هذا هروبها حتى أخذ يطاردها ، ولكن أفعى عضتها في قدمها أثناء جريها فوقعت ميتة . ورآها أرستييورس على هذه الحالة فعاد يعض أصابعَ الندم . . . ثم وُفِّقَ أرفيوس الى لحن رائع فعاد فرحاً ليعزفه أمام زوجته ، فاذا به يجدها شبهَ نائمة في طريقه ، فحاول ايقاظها بلحنه الجديد الساحر ولكنها لم تستيقظ ، وحينئذ أدرك أنها ميتة ، فهوى يقبل جسمها القدسيّ في جنون من الحزن . . . . ثم شعر أنه لا ملاذ له سوى الالتجاء الى بلوتو وبرسفون ، مليكي مملكة الموت ، ليردّا اليه حبيبته . فذهب في جنونه وكلُّ عدّته لوره وألحانه الساحرة التي تأثّر منها الصخر وتفتح لها ، كما تأثر منها سربروس حارس مملكة الموت فلم يعترض سلوكه الى داخلها ، وتأثر منها بلوتو وبرسفون ـ ولكنّ منهما صلات سابقة بالأرض وغرامها ـ واستمعا إلى سؤله : وهو الرجوع بمحبوبته يوريديس إلى حياته الأرضية ، فأجاباه بشرط أن لا يحدّثها ولا يلتفت اليها حتى يجتاز ظلال مملكة الموت . ولكنه في شغفه نسي هذه النصيحة فكانت العقبى استحالة محبوبته يوريديس الى خيال أسيف بماتب النظرات وما لبث أن افتقدها . . . وعاد يحاول مرة أخرى أن ينالها ، ولكن على غير جدوى ، فخسرها إلى الأبد ، وعاش ليذيبَ في الألحان نجوى روحه الحزين )

* * *

عَرَفَ الحياةَ صَبَابَةً ونشيدَا ... فَغَدَى يَبثُّ جمالَها تغريدَا

واستصحبَ اللَّوْرَا[1] كأنَّ خيوطَها ... تستنطقُ الدنيا هوًى ونشيدَا

لِمَ لا وقد أهدَى ( أپولو ) وَحْيَها ؟ ... لِمَ لا وقد جعل الفُتُونَ فريدَا ؟

سحرَ الأنامَ بعزفِهِ ، ولطالما ... بالعزفِ قد جعلَ الأنامَ عبيدَا

وأبَى الغُرورَ بفنِّهِ وفُتُونِهِ ... مُسْتَوْحِياً فنّاً أجلَّ بعيدَا

فمضَى الى الغاباتِ يخطفُ وحيَها ... نُوراً وظلاً شائقاً ممدودَا

ويَصوغُهُ لُغةَ الحنانِ عجيبةً ... فينالُ مِنْ إعجازه التوحيدَا

---

(١) اللورا معربة من اليونانية .

وتطيعُهُ المُهجُ العصيّةُ بعد ما     كانت تعافُ الطوعَ والتقييدا

* * *

ما (أرفيوسُ) سوى الألوهةِ في الغنى     للّحنِ ، واللحنُ الوجودُ الباقي
تمضي النجومُ به على دورانها     وكأنَّ منه طبيعةَ الخلّاقِ !
يأبى القناعةَ ، فالقناعةُ ميتةٌ     للفنِّ ، بل يعتزُّ بالإغراقِ
كلُّ الوجودِ مُوَقَّعٌ بجمالِهِ     حتى الهواءُ وخافقُ الأوراقِ
ما في الحياةِ اذا وعيتَ كبيرةٌ     وصغيرةٌ إلّا بلحنٍ راقِ
اللحنُ أبدعها وسوف يُعيدُها     كتجدُّدِ الأحلامِ والأشواقِ
مَنْ فاتَهُ استيعابُها أو فهمُها     بشعورِهِ المتوثّبِ الدفّاقِ
فهو البعيدُ عنِ الحياةِ وسرِّها     وهو الجديرُ لذاكَ بالاشفاقِ !

* * *

نال العزيزةَ ( يُوريديسَ ) بفنِّه     قَبْلاً وكانتْ في مَلاذِ جبالِ
أصغَتْ الى اللحنِ الشجيِّ فصادَها     والفنُّ لا يَرْعَى إباءَ جمالِ
جاءتْ مِنَ الجبلِ الأشمِّ مُطيعةً     وهي المثالُ بحسنِها المتعالي
لكنّه لم يَرْضَ حتى نَصْرَهُ     ولو انّه قد عُدَّ شِبهَ مُحالِ
واشتاقَ أبعدَ مِنْ تخيُّلِ فنِّهِ     ورأى خيالاً فوقَ كلِّ خيالِ
سحرتْهُ أحلامُ العباقرةِ الأُلى     خلقوا مثالاً بزَّ كلَّ مثالِ
نشَدَ التناهي في الجمالِ بفنِّهِ     وأحسَّ نقصاً عند كلِّ كمالِ
ومضى يجوبُ الغابَ يستوحي بهِ     آيَ الفنونِ بروحِهِ الجوّالِ

* * *

لم يَدْرِ حين مَضَى مَخاطِرَ حظِّهِ     وغدَتْ تُحاذِرُ (يوريديسُ) هُمُومَهُ
لم تَرْضَ الّا أن يُحقِّقَ حُلْمَهُ     في الغابِ حيثُ رأى النشيدَ نعيمَهُ
رشفَ النَّدَى والضوءَ والظلَّ الذي     يحنو عليهِ كأنَّ منهُ نسيمَهُ

وأحالَ ما يهواه لحناً معجزاً والليلُ مُصْغٍ لا يفكّ نجومَهُ
لكنْ (أرسْتِيبيُوسُ) لم يرحمْ هوًى لهما ، وكم فقدَ الغرامُ رحيمَهُ
ورآته يُزمِعُ خطفَها عمداً كما خطفَ الجريحُ المستثارُ غريمَهُ
رِيعتْ فلم ترَ ملجأً لنجاتها إلاّ الهُرُوبَ وما رأتْ تسليمَهُ
ومضى يتابعها فأنقذها الرّدَى والموتُ يُنقِذ خِلّه وخصيمَهُ

* * *

سقطتْ بعضّةِ أفعوانٍ خاتلٍ في حين تهربُ مِنْ مُحِبٍّ خاتلِ
وأتى (أرسْتِيبيُوسُ) يحسبُها هوتْ أثرَ العناء فذاقَ همّ القاتلِ
ومضى بلوعتهِ يَعضُّ بنانَهُ وبَيِّنٌ في ألمِ المحبِّ الغافلِ
وكأنّما قد عاد عودَ مُقاتلٍ ليرى الحياةَ بروحِ ألف مُقاتلِ
مهما يكفّرْ عن ذُنُوبِ عُقُوقِهِ مَنْ ذا يردُّ سَنا الجمالِ الزائلِ
ماتتْ فأيتمتْ النشيدَ فرُوحُها كانت ملاذَ مُلحِّنٍ متفائلِ
كانت حبيبةَ (أرفيوسَ) وسمعَهُ لنشيدِهِ المتطلّعِ المتسائلِ
واللّحْنُ إن لم يلقَ سمعاً واعياً لغناهُ ضاع ومات ميتةَ عاطلِ !

* * *

سختْ الطبيعةُ والسخاءُ بذاتها لكننا قد لا نرى كلماتِها
فاذا تفنُّنُ (أرفيوس) مِثالُها إذْ ضمّن اللحنَ الجديدَ صفاتِها
بلغَ الكمالَ به وعاد كأنّه غازٍ تحدّثُ نارهُ عن ذاتِها
وكأنّ إكسيرَ الحياةِ بلحنهِ وضياعُ هذا اللحنِ أصلُ مماتِها
فاذا بجنّةِ (يُوريدِيس) أمامه في الغابِ شبه غريقةٍ بسُباتِها
فأطلّ من فرحٍ عليها عازفاً نغماتِهِ بل عازفاً نغماتِها
لكنها لم تستثرْ بنشيدِهِ وهو الذى أعطاه سحرَ حياتِها
فرأى المماتَ مُروّعاً مُتكبّراً فهوى يودّع روحَه برفاتِها

* * *

غلبتْ مَشاعِرَ (أرفيوس) شُجونُه ورأى الحياةَ تُضِلُّه وتَخُونُه
فاختارَ مملكةَ الرَّدى لتصونه مادامَ مُلْكُ العيشِ ليس يصونُه
لِمَ لا وفيها (يوريديسُ) مقيمةٌ رهنَ المماتِ كما أقامَ يقينُهُ ؟
فمضى وكلُّ قواهُ حيلةُ عزْمِهِ ولعلَّ ما أذكى قُواه جنونُهُ
فانشقَّ صخرٌ من فتونِ نشيدِهِ ولكلِّ صخرٍ روحُه وفتونُهُ
وتدفَّقَ النغمُ الحنونُ الى مَدًى فأثار رحمةَ (برسفون) فنونُهُ
وإذا (سِربرُوسُ) الرَّقيبُ مخدَّرٌ وإذا (بلوتو) قد عداهُ (١) سكونُهُ
وأهاب ينشدُ (يُوريديسَ) لعيشهِ والفنُّ كافلُ سُؤْلِهِ وضمينُهُ

* * *

جارى (بلوتو) (برسفونَ) بعَطفِهِ أمنيَّةً هي كلُّ غايةِ رُوحِهِ
أمنيةٌ هي بنتُ حُبٍّ رائعٍ ولطالما عرَفا الغرامَ بجُرْحِهِ
لكنَّما اشترطا الصُّموتَ بعودهِ حتى يعودَ من الظلامِ لصُبْحِهِ
فمضى يُحاذِرُ مِنْ حديثِ فؤادهِ وفؤادُهُ يأبى موانعَ نُصْحِهِ
فأعاد نظرةَ والهٍ متهالكٍ متحدِّثٍ بغرامِهِ وبلَفْحِهِ
فأضاع منحةَ (يوريديس) لعيشهِ وغدا خيالاً ما أُنيلَ بفتحِهِ
نظرتْ اليه بكلِّ ما يعني الهوى مِن عَتْبِهِ أو لومهِ أو قدحِهِ
واحتالَ ثانيةً بلا جدوَى له فأذاب في الألحانِ نجْوَى رُوحِهِ

## عاهل العرب

(رثاء الملك العظيم فيصل الأول)

هكذا هكذا شعوبٌ تُيتَّمْ ! أيُّها الموتُ ساء غُنْمُكَ مَغْنَمْ
رُزِئْنا بالعظيمِ (فيصلِ) لا يُحْـ ـصَرُ في الخَطْبِ ، إنما الرُّزْءُ أعظم

(١) عداه : فاته

عَلَمُ كانَ للعُروبةِ إيما | ناً وذُخراً وعِزّةً تتجسَّمْ
قد تمثّلهُ الحروبُ والفتحُ والبأ | سُ كما قد غَناه مجدٌ تقدَّمْ
والصَّريحُ الصريحُ مِنْ رُوحِه الحُرّ | ةِ في بيئةٍ بها الحُرُّ ينعَمْ
الزعيمُ الجرىءُ ، والفاتحُ الغازى | أبو ( غازى ) ، المليكُ المكرَّمْ
بَطَلُ الثَّورةِ التي لم تزلْ تُحْ | كَى أعاجيبُها وتُروَى بِدَمْ
بَطَلُ السِّلمِ والمعاركِ : سِيّا | نِ بتدبيرِهِ الحصيفِ المُقدَّمْ
جدَّدَ المُلْكَ مِنْ عُلَى آلِ عبّا | سَ ، وكمْ عاهلٍ ومُلْكٍ تهدَّمْ
كم تراءتْ عليه أحداثُ أعدا | ءٍ شِدادٍ وحَزْمُهُ يتبسَّمْ
وتجنَّى عليه أقسى عدُوٍّ | فاذا الموتُ — بعدَ ما ماتَ — يُهزَمْ
وإذا بابنِهِ المُرَجَّى المُفدَّى | يحملُ التاجَ في إباءٍ تجَهَّمْ
واذا عالَمُ العروبةِ وثّا | بٌ وَفِيٌّ ، وباسمِهِ اليومَ أقسَمْ !

* * *

أيُّها الشعبُ يا سليلَ الأُلَى سا | دُوا ، وما زال مجدُهُمْ يتَسنَّمْ
نحن في مصرَ نَسْمَعُ اللوعةَ الكُبْ | رَى لبغدادَ والنُّواحَ المُنغَّمْ
ذاك شِعْرُ الحياةِ مِنْ رُوحك الحَسّـ | ـيِّ وإنْ كانَ في رثاءٍ ومأتَمْ
نفخَ الرُّوحَ في فؤادِكَ مِنْ قا | بٍ كبيرٍ على رضاكَ تحطَّمْ
ماتَ في قمّةِ الجبالِ ، كما عا | شَ مِثالاً مِن التسامى ومَعْلَمْ
كالشهيدِ الذي تكفَّلَ بالرا | يةِ في الغزوِ فوقَ حِصنٍ مُنيَّمْ
يخطفُ النَّصرَ بالدهاءِ ويمْضِى | طائراً جارحاً إذا النَّسْرُ حوّمْ
إنْ بكاهُ العراقُ ، أو أجفلَ النهْ | رُ : وسيفٌ بغمدِهِ يتضرّمْ
فالأنينُ الأنينُ أصداؤه شتّى عميمٌ ، وقلّ خطبٌ يُعمَّمْ
وقليلٌ مَنْ سادَ في الناسِ للنا | سِ ، ومَنْ علَّمَ الورى وتعلَّمْ
وقليلٌ مَنْ عاشَ في الشعبِ للشعْ | بِ زعيماً بعيبِهِ وتألَّمْ

* * *

ذاكَ شعري مِنْ نارِ نفسي التي ثا … رتْ وناءتْ فكدتُ لا أتكلَّمْ
هو نفسي، تسيرُ في موكبِ الغا … ري وقد عادَ كالكميِّ الملثَّمْ!

## من القلب

عابوا تفنُّنَ ريشتي، وكأنَّما … نطقتْ بأصباغِ الخيالِ الكاذبِ
ولو أنهم وهبوا (الطبيعةَ) نظرةً … صدقتْ لما عابوا فُنونَ عجائبي!
الخالقُ الرسَّامُ لم يحفِلْ بهم … في ألفِ لونٍ مِنْ غريبِ خيالهِ
يرنو اليها الملهمون فينتشي … كلٌّ بروحِ جمالهِ وجلالهِ
هذي (الطبيعةُ) موئلي ومُعلّمي … وأنا الأبرُّ بروحِها الفنّانِ
أنطقتُ أوحاني بروح حنانها … ومزجتُ مِن ألوانها ألواني
والآنَ قد مضتْ السنونُ وأثقلتْ … عبئي وناءَ به فؤادي الباكي
وأنا أحاربُ في صميم تفوّقي … حتى أطيعَ الببغاءَ الحاكي
مضتْ السنونُ وقد شقيتُ وهدَّمتْ … تلك السنونُ مِنَ الكفاحِ قوايا
فاذا نُصفتُ(١) فكم جهودٍ ضُيِّعتْ … وكأنَّ انصافي يقول رثايا
اني أسيرُ كأنما مِنْ مَلبسي … كفني، وإنْ أكُ في إباء حياتي
هذا هو الموتُ الأليمُ، ومَنْ يعِشْ … بين القبورِ يُعدُّ في الأمواتِ

* * *

وطني! إلامَ النابغون على الأذى … يفنون حين تنام أنتَ هنيئا؟!
حتى اذا شربوا العذابَ وكُفِّنوا … أرسلتَ دمعكَ راثياً وبريئا؟!
يا هولَ ما تجني، فكم مِنْ ثروةٍ … ضيَّعتَها، ولكم قتلتَ حبيبا
العبقريةُ رأسُ مالِكَ وحدَها … فعلامَ تلقى الذُّلَّ والتخريبا؟

(١) نصفت: خدمت

## الحج الأخير

أهداها الشاعر الى صديقيه الأديبين على محمد البحراوى وأحمد على عوض عضوى « جماعة الأدب المصرى » بالاسكندرية

الى العَلِيَّيْنِ مِنْ نُبلٍ ومِنْ أدَبِ    الى الحبيبين فى جِدٍّ وفى طربِ
أهدى تحيـاتِ مشتاقٍ ومغتربِ    عن مَنْبَعِ الحسنِ أوعن منبعِ الأدبِ

* * *

أهدى تحياتِ رُوحى فهى ما برحتْ    رهنَ المحبـةِ إنْ ناحتْ وإنْ فرحتْ
وأنتما فى أمانٍ طالمـا مَرحتْ    يا للأمانى التى تلهو وقد جرحتْ !

* * *

الصيفُ وَلَّى وكم للصيفِ مِنْ نِعَمِ    فى هَدأةِ البحرِ أو فى ثورةِ النَّغَمِ
وكم عبدنا معانى الحسنِ عن أَمَمِ    فجدَّدَ الحسنُ ألواناً من الألمِ

* * *

والآنَ تفرضُ حَجِّى فرضَ توديعى    هذى الحياةُ وتحنانى وترجيعى
كم عشتُ ما بين تشويقٍ وترويعِ    رهنَ الجمالِ ، فهل يُعنى بتوديعى ؟!

* * *

يا صاحبيَّ وُفودى موشِكٌ دانى    فهيِّئا لى رجاءً عند ديَّانى
وَهبتُ رُوحى وأطيـافى وألحانى    الى الجمالِ ،فهل ما زال ينسانى ؟

* * *

إنْ لم يَزَلْ بفُنونِ اللهوِ مسحورَا    ولم يزل بغرورِ الحظِّ مغمورَا
فالبحرُ يزخرُ بالسلوانِ موفورَا    وسوف أرجعُ مدحوراً ومسرورَا !

## العودة

( نظمت في قطار البحر في صحبة الدكتور زكي مبارك مساء ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٣ )

— ١ —

وداعاً للرمالِ وللمغاني     وداعاً للملاحةِ يا صديقي !
أتذكرُ كيف كان الموجُ يجري     كما يجري الشقيقُ الى الشقيقِ ؟
وقفنا في جوارِ اليمِّ سَكرى     كسكرِ الناظرين الى الرحيقِ
نرى في البرِّ ألوانَ التناجي     وفي البحرِ المشارفِ والعميقِ
كأنّ الحُسْنَ ذاب بكلِّ لونٍ     نراه وفي المياهِ وفي الطريقِ
سكرنا سكرةَ الحرمانِ حتى     كلانا كالأسيرِ وكالطليقِ
وهذا الجوُّ يملؤه حنانٌ     ولو أن الغروبَ مِن الحريقِ
وأُبنا أوبةَ المهزومِ لكنْ     بنا طربٌ من الأدبِ الحقيقي !

« • »

وحين مضى القطارُ يقلّ وجدي     ووجدَكَ كالرفيقِ من الرفيقِ
رأينا الحسنَ وثّاباً جريئاً     يحاصرُنا كأحلامِ العشيقِ
فعوّضنا مِن التبرجِ صفواً     ومِن صُوَرِ الخشونةِ بالرقيقِ
وأضحكنا مِن السَّفْرِ الموافي     بألوانِ الأثاثِ وبالزعيقِ
رَمَوْه خنادقاً وقلاعَ حَرْبٍ     فصارَ مَدَى الطريقِ من المضيقِ
وذا ضَنْتُ الغسيلِ يُداسُ حتى     يزمجرَ بالرعودِ وبالبريقِ
وتمضي الغانياتُ على تَثَنٍّ     تَثَنِّي النُّورِ في الجوِّ الصفيقِ
فسبحانَ المكافيء والمعزِّي     وما أدنى الرجاءَ بكلِّ ضيقِ
لقد عُدنا بقهقهةٍ وأنسٍ     وأحلامِ الرّشاقةِ والرشيقِ !

أبو شادي

— ٢ —

( رد الدكتور زكي مبارك بعد شهر من ذلك التاريخ )

أبا شادي ، وأنت فتًى طَروبٌ　　أسيرُ العينِ في قلبٍ طليقِ
تذكّرني ؟ وهل أنسيتُ يوماً　　جمالَ اسكندريةَ يا صديقي ؟
وكيف ؟ وفوقَ شاطئِها المفدّى　　يحومُ القلبُ موصولَ الخُفوقِ

* * *

رعاه الحبُّ مِن شطٍّ جميلٍ　　خفيفِ الروحِ مصقولٍ أنيقِ
بهِيِّ الرملِ تحسبُهُ سُجوفاً　　مُطرّزةً بحبّاتِ العقيقِ
أطوفُ به فيغلبني خشوعي　　كأني طفتُ بالبيتِ العتيقِ

* * *

أيا حَرَمَ الظباءِ أثرتَ روحي　　بمشكاةٍ مِنَ الحسنِ الرقيقِ
يراكَ الأكمهونَ حِمًى مُباحاً　　يذكّرهم بأسواقِ الرقيقِ
ولو كُشِفَتْ غِشاوتُهم لقالوا　　صبايا الخُلدِ تَسبح في الرحيقِ !

* * *

رجعتُ الى الشواطئ بعد شهرٍ　　أشقُّ الى الملاحِ بها طريقي
فألفيتُ الخريفَ جنى عليها　　جِنايتَهُ على الدّوحِ الوريقِ
وعُدتُ مروَّعَ الأحلامِ أشكو　　— ولمّا أصحُ — صرعاتِ المُفيقِ

زكي مبارك

## في سفر

غابَ الشرورُ على السرورِ تجاوُباً　　كتمازجِ البسماتِ بالبسماتِ
دنيا الوصالِ ولا وصالَ سوى المنى　　وتعانقِ الخطراتِ والنظراتِ
سَفَرٌ يطول ، وانما في طوله　　قِصَرٌ من الايناسِ والحسناتِ
لو أن عيشي مِثلُ هذي سَفرةً　　لعددتُ مِن صُوَرِ النعيمِ حياتي

## عبرات

رُفعت إلى صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول
لمناسبة عيد جلوسه فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٣

مولاىَ عيدُك عيدُ مصرَ الباقى ... صرحاً مِن الإيمانِ ليس بفانِ
عيدٌ تجيشُ به الخواطرُ فى مَدًى ... كالبحرِ : بين توثُّبٍ وتَفانِ
حاولتُ أُخفى ما ارتضتْه خواطرى ... لكنْ تغلَّبَ باليقينِ بيانى
وتدفَّقَ الشعرُ الذى هو مُهجَتى ... فانسابَ مِنْ رُوحى ومِنْ إنسانى !

* * *

مولاىَ ! ما مدحُ الملوكِ سجيتى ... لكنَّ مدحىَ للعظيمِ البانى
ورأيتُ مصرَ تلفتتْ لكَ بعد ما ... عانتْ من الأخصامِ والأخدانِ
مُنيتْ بأحزابٍ تُعدُّ ، وكلُّها ... يومَ البطولةِ ليس فى الحُسْبانِ
لا تستفيد مِن الصُّروفِ كأنما ... تحيا على كرةٍ بلا دورانِ
وطنُ الخلودِ بكل ما يحوى الثرى ... تركتْهُ فى حُكمِ الجريحِ الفانى
يا ليتَ صائغةَ السيوفِ تذوَّقتْ ... مِن هذه الأحزابِ دونَ توانِ
أودتْ بحقِّ الجيلِ بين تناطحٍ ... وتحاكمتْ للهوِ والبهتانِ
والنيلُ محرَّمٌ بحجلةِ مُحسنٍ ... فى الوالدينَ أُسيءَ للاحسانِ
واذا الزعامةُ فى البلادِ مَهازلٌ ... مِنْ بَعْدِ ما كانتْ رُموزَ أمانى !

* * *

مولاىَ ! رأيُكَ ثم حُكمُكَ للحِمَى ... فى هذه الأزماتِ يلتقيانِ
ما شئتَ مُرْ مِنْ تضحياتٍ جمَّةٍ ... لجلالِ مصرَ يُضحِّ كلُّ جبانِ
إنَّ الشجاعةَ فى النفوسِ ، وإنما ... خذلَ الشجاعةَ خاذلو الأوطانِ
الشعبُ أنَّ بما يعانى ريفُه ... وكأنه قفرٌ بلا سكانِ

والعابثون الصائحون تنعموا … وكأن هذا الريف ليس يعانى
والزارعون المحسنون تمرغوا … فى الترب كالموتى بلا أكفان
حتى أتى العيد الجليل فأملوا … واذا حنانك أنت عمر ثان ! (١)

* * *

مولاى ! نصر الشعب غضبة عاهل … يسميه فوق مراتب الامكان
يحيى الموات بحذقه وبحزمه … وبروحه المتأجج المتفانى
يأبى سبيل الظلم ، لكن لا ينى … فى سحق كل مغرر أو جان
ولقد رفعت اليك وحى عقيدتى … فاذا بعيدك للمنى عيدان !

لهو القدر

كم يعبث القدر العتى ، وكم له … لهو من « الأبطال » و « الأبدال » (٢)
يدع الحقير يلوح أعظم فاتح … وسواه قام بدوره المتعالى
فترى البطولة أرخصت أو ضيعت … ما أشبه الأبدال بالأبطال !
يعطى المخاطر للفناء وغيره … تعزى اليه عجائب الأجيال
يا أرض ! أنبت الممات خديعة … فاذا الحياة تعد شبه محال
أين الجرىء الألمعى ! وأين من … يحيى موات الناس دون ضلال ؟
يعطى الضحية حين يحيا غيره … فى ذروة الإسعاد والإقبال
ويصفق المتفرجون وكلهم … ميت كتصفيق المكان الخالى !
فاذا المواهب كالعثير كريهة … واذا العليم مطية الجهال !

---

(١) رصدت الحكومة المصرية مليونا من الجنيهات باشارة جلالته لتخفيف ازمة الفلاحين واتخذت اجراءات خطيرة اخرى لخيرهم (٢) الابدال : من يقومون بتمثيل الادوار الخطرة فى السينما بدلا سواهم ، وان نسبت المخاطرة خدعة الى الآخرين الذين يفوزون زوراً باعجاب الجمهور بمخاطراتهم المزعومة ، حينا يقوم بها فى الواقع غيرهم اى اولئك الابدال.

## في العواصف

( الى الحبيب الغائب في الاسكندرية )

قد طال بُعدُكَ ياحبيبي ! لم يَعُدْ للصَّيفِ صائفْ !
أنا في بعادِكَ كالمُسخَّرِ للوساوسِ والمخاوفْ
لم يَبْقَ الاّ أن تُطِلَّ على المياهِ وأن تُشارِفْ
تتلو صحائفَها ، وكم حوَتْ الأَسَى تلكَ الصحائفْ
كم في اصطخابِ الموجِ مِنْ صَخَبِ المشاعرِ والعواطفْ
كم فيه غَرْقَى للأَماني أو ضحايا للعَوارِفْ
أنظُرْ ! تأمَّلْ ياحبيبي ! إنَّ رُوحي ثَمَّ طائفْ
يهفو اليكَ وليس يَعرف أين أنتَ ولستَ عارفْ !
أنا في بعادِكَ لستُ أدري مَنْ أُحِبُّ ومَنْ أُخالفْ
حتى الطبيعة خاصمتْني وهي مَلجأُ كلِّ خائفْ !
حتى مَ تنأى ياحبيبي والحنينُ لديكَ هاتفْ ؟
أنا كاليتيمِ : يتيم روحي بعد حُسنِكَ في العواصفْ !

## الحزن الوديع

تأمَّلتُها بفؤادي الحزينْ فألفيتُها مثلَ حظّي الغبينْ
تطوف عليها أماني السنينْ ولكنها في سُرورِ الحزينْ
سرورِ الوداعةِ المستهينْ

اذا ابتسمتْ فابتسامُ الرَّبيعْ بكى في سُرورٍ وحُزنٍ وديعْ
بكى والشتاءُ قتيلٌ صريعْ وقد مُزِجَتْ بالأغاني الدُّموعْ
فصار المشوَّقُ مثلَ المَرُوعْ

تأمَّلتُها وهي بنتُ النعيمْ كأنَّ النعيمَ قرينُ الجحيمْ

كأنَّ المتاعَ بقايا الهشيمْ   فتنظر عن لوعةٍ تستقيمْ
وهذا الوجود الوَدُود اللئيمْ
ألالحُكمِ نظرتُكِ الشاعرهْ ؟   ألالشعرِ بسمتُك الآسِرَهْ ؟
ألالحزنِ هذى المُنى القاهرهْ ؟   لقد زدتِ همِّىَ يا ساحرَهْ
وحَبَّبْتِ لى الحسرةَ الناضرَهْ !

## الموءود

بَنِى مصر أينَ النُّبْلُ فيكم وأنتمو   سلالةُ شعْبٍ أمَّهُ النُّبلُ والمجدُ ؟
لقد علَّمَ الدنيا الحضارةَ حينما   تَمشَّى بها ليلٌ من الجهلِ مُنْأدُّ (١)
أأصبحتُمو حتى تراثَ جُدودكمْ   تعافون !؟ بئسَ المجدُ هذا أوالسعدُ !
أرونى أرونى مِنْ مَتانةِ خُلقكم   بُروقاً اذا ما جلجلَ القاصفُ الرَّعْدُ
أرونى جمالاً للتسامحِ رائعاً   يَرُدُّ حقوقَ الشعب إن عثرَ الجدُّ
يقضقض أحداثَ الزَّمانِ ويعتلى   بكم كلما همَّ التنابذُ والحقدُ
بَنى مصر كونوا السيفَ للمجد مُصْلَتاً   فأنتم بهذا الموتِ موتكمو الغِمْدُ
حرامٌ حرامٌ أن تُوارَى عظامُه   بغفلتكم قبلاً وسقطتكم بَعْدُ
سئمنا الوصوليين فى كل مَضربٍ   وكلٌّ بخذلانِ المكارمِ يعتدُّ
كنوزٌ بوادى النيل أَوْلَى بمثلها   مِن الناس شعبٌ لا ينام ويرتدُّ
غيورٌ على أن يرفع الجمعُ فردَهُ   وأن يرفعَ الجمعَ العزيزَ به الفردُ
حريصٌ على دينِ الأخوَّةِ جوُّهُ   تنفَّسَ فيه الصدقُ جذلانَ والودُّ
والاَّ تخلوا مصرَ تحيا بأهلها   فلستم لها أهلاً وإنْ عظمَ العَدُّ
ولكنَّ أهليها لُحودٌ عزيزةٌ   ومِن كلِّ لحدٍ يُشرقُ النبلُ والمجدُ !

(١) ممتد .

## المهزلة

وَيْلِي من الدَّهرِ ! يُبكيني ويَبتسمُ ... ولا يَردُّ عوادي جَوْرِهِ السَّقَمُ
قد عدَّ شرَّ ذنوبي ما يَفيضُ به ... قلبي الى النَّاسِ مِنْ حُبٍّ ويزدحمُ
وَيْلي من الدَّهرِ! وَيْلي! مَنْ أقرُّ له ... هذا العُتُوَّ؟ وهل في الحُبِّ مُتَّهَمُ؟
أطلَّ دمعي وماءُ العين مضطرمٌ ... وهاجَ وجدي وسُخطُ القلبِ محتدمُ
أنا الذي في شكاتي يزأر الشَّمَمُ ... وفي بكائي ونادي يُهزَم الألمُ!
سَخِرتُ مِنْ بيئتي لمَّا برمتُ بها ... ونُحْتُ لكنْ نواحي كلُّه كَرَمُ!
لستُ الذي إنْ تَعالى في محبَّتِه ... فساءه الدَّهرُ عُمْراً ناله النَّدَمُ
لن يُنصَرَ الحقُّ الا في مصارحةٍ ... ولن تعيشَ على علاَّتها الأُمَمُ
أنا ابنُ مصرَ فما لي لا أقرّعها؟ ... هي الطفولةُ حاكَى حالَها الهَرَمُ!
هرمتِ يا مصرُ لا عن أعصُرٍ درجتْ ... لكنَّ قَفرَكِ فيهِ يسكن العَدَمُ
الخصبُ وارتْه أخلاقٌ مُدنَّسةٌ ... والشَّيْبُ أدناه ما دانتْ له الهِمَمُ
دانتْ وضاعتْ فلا المغبونُ مُنتصفٌ ... له بغَبْنٍ، ولا المأفونُ مُتَّهَمُ
إذا استوَى النَّاسُ في فضلٍ ومَنقصةٍ ... فقد تساوى البيانُ العَذْبُ والبَكَمُ!
وهازلٍ جعلَ الأحلامَ مَهزلةً ... يَلْهو فتَعْنو له الأخلاقُ والذِّمَمُ
أراد جُرحي وكم أسلفتُه مِنَنِي ... وكلُّ جُرْحٍ لمثلي سوف يلتئمُ:
فلم أذُدْ عن فؤادي طعنَ ضربتِه ... حتى يُطهِّرَ مِنْ ودِّ حَواهُ دَمُ!
إنَّا لفي زَمَنٍ فازَ اللئيمُ به ... وما لغيرِ رضاهُ مِسمَعٌ وفمُ!
لولا ضآلةُ مَنْ ضجُّوا ومَنْ صخبُوا ... ما عاث فينا سفيهٌ أو هوَى عَلَمُ
أعْزِزْ عليَّ بأن ألقى كرامتهم ... وَهْماً، وقد صغروا شأناً كما وَهَمُوا!
مَنْ لم يصونوا بأيديهم كرامتَهمْ ... فليسَ يجديهمو سَمْعٌ ولا صَمَمُ
هانَ الرجالُ، وسادَ الساخرون بهم ... لولا التهيُّبُ ما هانوا ولا انهزموا
وعشتُ في عزلتي الموفورَ في شرفي ... أبكي وأضحكُ والأحداثُ تلتطمُ!

( الينبوع ) هرقل وديانيرة ( مطبعة التعاون )

## هرقل وديانيرة

كان هرقـلُ مَضربَ المثلِ في البأس ، وكان كثيرَ العشق كثيرَ التقلُّب ، وكانت مليكة حبه أخيراً الفاتنة ديانيرة التى عشقها قبله أخلوس أحد آلهة الأنهار ، وكان أخلوس إلـهاً قوياً واسع الحيـلة ، فحاول التغلُّب على منافسه هرقـل إذ كان أخلوس يتشكل بصور شتَّى ليفاجىء هرقل منافسه ويصرعه وهو بعيـدٌ عن الحيطة والحـذر . فـكان هرقلُ يتغلَّب عليه دائماً بالرغم من مفاجآته ، وكانت آخر صورة له ظهوره فى مظهر ثور قويّ غلاّب ، ولـكن هرقل تمـكن من مغالبته وإحراز نصره الأخير عليه إذ انتزع أحدَ قرنيه فقدمه قرباناً الى ديانيرة ، وأقيمت بمناسبة ذلك حفلةُ عرسهما . وكثيراً ما كان هرقل ينسى بأسه وقوته ، فحدث فى حفلة العُرس أن غضب على أحد الخدم لسوء تصرّفه فضربه ضربةً أفضت الى موته بينما لم يكن يعنى سوى نهره ... وجاءت الآلهة تحاكم هرقل فحـكمت بنفيه ، ولـكن عزّاه أنه سيصطحب معه ديانيرة .

سار هرقل وديانيرة الى منفاهما وفى الطريق اعترضهما نهرٌ عظيمٌ ، وقـد بحثا عند شاطئه عن وسيلة لعبوره فلم يوفَّقا ، وأخيراً وَجدا إفينس ـ ذلك الجواد العجيب الإنسيّ الصورة الممتلىء حكمةً وعاطفةً ـ وقد أحبّ العزلة ، فواجهاه وسألاه المعاونة لاجتياز النهر فلبّى عن طيب خاطر وبدأ بنقل ديانيرة . ولـكنّ هرقل لحظ تباطؤه فقدَّر سرّ ذلك وهو شغف إفينس بديانيرة ، وعزّز ذلك صياحُها حينما اقتربا من الشاطىء الآخر ، فأسرع هرقل وسدَّد الى إفينس سهماً أصابه ، ولـكن قبل وفاته أدرك بها الشاطىء . وحينئذ صرَّح لها بأنه يموت شهيدَ حُبِّها ، ثم خضب رداءها بدمه وقال لها إن هرقـل كثيرَ الملال والتقلب وسيأتى يومٌ قريبٌ يعطى فؤادَه الى غيرها ، وحينئذ عليها أن تهدى اليه هذا الرداء الخضيب فتجتذب قلبه ثانية ، ثم مات . . .

وأدركها هرقلُ أخيراً فاذا به يجد إفينس ميتاً ، ورأى فى سلامتها حياة جديدة له ، ولـكنها لم ينعما طويلاً بحياتهما الغرامية إذ قـضى تقلّب هرقل بأن يهجر ديانيرة ويحبّ بدلها أيول الجميلة ، فأحزن ذلك ديانـيرة حزناً عظيماً ولـكنها تذكرت الرداء الخضيب فأرسلته الى هرقل وكان مع أيول حينئذ ، فضحكا من هـذه الهدية التى أرسلتها ديانيرة الغبية فى عُرفهما ، وألقى هرقل بالرداء على كتفه فسقط ميتاً . . !

ولما أتى ديانيره النعى الأليم بكت بدموع البريئة الأثيمة وهى فى أشدّ الندم والحيرة لا تدرى كيف مات هرقل وما مبلغ نصيبها ونصيب الرداء الخضيب فى موته وأىّ سرٍّ فى ذلك ، ولبثت تشتهى الموت منقذاً لها من حزنها العظيم ولبثت تسائل الآلهة ولكن الآلهة أبت أن تجيب . . .

* * *

(هرقلُ) وكمْ لهرقل العظيمْ — وقائعُ تُنْسِى فخارَ القديمْ
وقائعُ فى بأسهِ لا تُحدُّ — وفى عشقهِ دائماً لا تُعدُّ
(هرقلُ) على بأسهِ صار يَنسَى — مدَى بأسهِ ، وكذا البأسُ يُنسَى
فى ساعةِ الحظّ مِنْ عُرسهِ — وقد جُمِعَ الصفْوُ فى أُنسهِ
أصاب بضربتهِ خادمَهْ — جزاءَ تصاريفهِ الغاشمهْ
وما كان يَعْنِى سوى نَزوِهِ — فراحَ الشهيدَ الى قبرهِ

* * *

وجاءتْ تحاكمهُ الآلهَهْ — ولكنْ على أسفٍ والههْ
فكان له النَّفْىُ منها الجزاءْ — وفى النفى مَنْفَى كمعنى الفناءْ
ولكنْ أباحتْ له زوجتَهْ — رفيقاً ، فألفى بها رحمتَهْ

* * *

وكانتْ (ديانيرةُ) الغاليهْ — جمالاً تجسّمَ فى غانيهْ
تشوق مفاتنُها الآلههْ — بروعتها الحلوةِ النابههْ
فجُنَّ بها (أخِلوسُ) الجليلْ — وكان إلهاً لنهرٍ جميلْ
وحاولَ فى ألفِ لونٍ وحيلهْ — يخادعُها لتكونَ الخليلهْ
وكم مرةٍ راحَ يسعَى ليُرْدِى — (هرقلَ) فلم يزدجرْ عند حدٍّ
(هرقلُ) العزيزُ القوىُّ الحبيبْ — (هرقلُ) المذلّ القوى والقلوبْ
الى أن بدا مثلَ ثورٍ عنيدْ — يروِّع حتى (هرقل) الشديدْ
ولكن (هرقلُ) الجرىءُ القوىّ — تغلّبَ مثلَ الأبىِّ العتىّ

تَغلَّبَ مُنْتزِعاً قرنَهُ ... فأَوقــده أبداً فنَّــهُ
وكان له تحفةَ يومَ عُرْسِهِ ... ولكنما العُرْسُ أفضَى لبؤسِهِ
وإنْ كانَ قد غنم الفاتنهْ ... وصارتْ بها نفسُه آمنَهْ

* * *

إلى النَّفى قد أزمعَ العاشقانْ ... فسارَا بروحِ الشجاعِ الجبانْ
وللحبِّ معنى يبزُّ المعَانى ... وهل يشمل الحبُّ الآ التفانى ؟
فكلُّ عسيرٍ لديهِ يسيرْ ... وساوَى الخطيرُ لديهِ الحقيرْ
وجاءا بسيرِهما عند نهرِ ... كثيرِ المخاطرِ بالموتِ يَجْرِى
ولم يجِدَا قارباً للعبورْ ... وقد سخط الموجُ سخطَ الدُّهورْ
وبينـا هُما فى هُمومٍ ويأسٍ ... تراءَى جوادٌ شبيهٌ بإنسى
وما هو الآ الشريدُ الحكيمْ ... على عُزلةٍ هى سِرُّ النعيمْ
تخلَّى عن الناسِ مستوعبَا ... حياةَ التأمُّلِ مستعذِبَا
وكم فيهِ مِنْ حكمةٍ للألوهَهْ ... ومِن ضعفِ دُنيَا الانامِ السفيهَهْ
فجاءا اليه لكىْ يسألاهْ ... مُعاونةً فى عبورِ المياهْ
فرحَّبَ بالعونِ فى مقـدرَهْ ... وأظهرَ نخوتَه الخيِّرَهْ
وأعطى ( ديانيرةَ ) أوَّلا ... عنايتَـه لامحـاً مَأمـلا
ولكنْ ( هرقلُ ) رأى غيرَهُ ... بطيئاً ، فألهمَه سِرَّهُ
وعزَّزَ هـذا صيـاحُ الفتاهْ ... وقد أوشكتْ أن تجوزَ المياهْ
فأصْمَى ( هِرَقلُ ) بسهمٍ مصيبْ ... ( إفينس )ذاكَ الجوادَ العجيبْ
ولكنْ ( إفينسُ ) رغمَ الإصابَهْ ... تمكن مِنْ أن يؤدّى حسابَهْ
وقبلَ المماتِ هوى فى وفاءْ ... وخضَّبَ بالدم طرفَ الرداءْ
وقال لها : « أنا رمزُ الغرامْ ... أموتُ شهيداً أحيّى الحِمامْ
أموتُ وأعطيك سِرِّي العظيمْ ... بروحِ المحبِّ البخيلِ الكريمْ

إذا حان يومٌ وأعطى (هرقلْ) سواكِ فؤاداً له كم يحلّ
فأعطيه أنتِ الرداءَ الخضيبْ يعودُ إليكِ الوفيُّ الحبيبْ
فإنَّ دمى مِنْ صميمِ الغرامْ يعيش ولو ذاقَ جسمى الحمامْ !؟
ومات ضحيةَ هذا الهوى ومَنْ ذا الذى خافه وارعوَى ؟
ولمّا استطاع عُبورَ المياهْ (هرقلُ) رآها جديدَ الحياهْ !

* * *

وما مرَّ عهدٌ سعيدٌ طويلْ على نشوةٍ فى الغرامِ الظليلْ
فإنَّ جُموحَ (هرقل) الغريرْ مَضَى بالنعيمِ العزيزِ القصيرْ
وخلّفَها فى أسًى واغترابْ تنوح على قلبها والشبابْ
وحينئذٍ ذكرتْ كنزَها وقد لحتْ إثرَهُ عزَّها
فأهدتْ اليه الرداءَ الخضيبْ هديةَ قلبٍ يُناجى الحبيبْ
وكان (هرقلُ) طرُوباً يغنّى (أيولَ) الهوَى وأحبَّ التغنّى
وقد هزئا بالرداءِ الهديّهْ لعُرسهما مِن فتاةٍ غبيّهْ
فألقى (هرقلُ) به فوق كتْفهِ فكان الرداءُ كسهمٍ لحتفِهِ !

* * *

ولمّا أتاها النَّعِىُّ الأليمْ بكتْ بدموعِ البرىءِ الأثيمْ
بكتْه (ديانيرةُ) النادمهْ وناحتْ لآلهةٍ ظالمهْ
وحارتْ وثارتْ تودُّ المماتْ فليس سواه كريمُ الصفاتْ
وليس سواه طبيبٌ يُرامْ اذا خذلَ الدهرُ أهلَ الغرامْ
ولم تدرِ هل خُدِعَتْ أم أُصيبْ (هرقلُ) بموتٍ خفىٍّ غريبْ
وكم سألتْ فى الأسى والهةْ فصمَّتْ ولم تنبس الآلهةْ !

## خذ يا فؤادى !

خُذْ يا فُؤادى قبل أن يستيقظَ الدَّهرُ العنيدْ
خُذْ ما تيسَّر مِنْ نعيمٍ لا يُحلَّلُ للعبيدْ !
أنا لا أعيشُ بغير صفوِكَ يافؤادي فى الحياهْ
لولاكَ ما ساوَى الحجى شيئاً ولا مجْدٌ وجاهْ !
ما أظلمَ الدنيا اذا حُرِمَتْ مناجاةَ القُلوبْ
ما للحياةِ من المعانى غيرُ ما يَهبُ الحبيبْ !
بادِرْ الى عَطْفِ الحبيبِ ولا تَقلْ عَطْفٌ ضئيلْ
هو عندَ مَنْ أسَاةِ الحياةِ من التهابِ المستحيلْ !
بادرْ وبادرْ سوف يفنى العمرُ فى الألمِ الدفينْ
إن لم تشأ بعضَ السُّلوِّ فعشْ إذنْ عيشَ الحزينْ !

## الجراح المفتعلة

هـذى جراحُكَ يا فتى ... بيديْكَ تُفْتَعَلُ افتعالا !
فيمَ النواحُ ولست تمْ ... لكُ أن تحمِّلنا المحالا ؟
نطقتْ جراحُكَ بالهوا ... نِ وأعلنتْ عنكَ الخبالا
أسفى على هـذا الذكا ... ءِ يحول أكثرهُ ضلالا
أسفى عليـه وكم أرا ... هُ ينوء محموماً مُذالا
عانيتَ بالتهريجِ والتـ ... ـدجيلِ أعباءً ثقالا !

## النجوم الهادية

يا للجهودِ تضيعُ بين عَداءِ ... بتحالُفِ الأحبابِ والأعداءِ
وطنى ! بنوكَ النابهون همو العلى ... لكَ حين تسحقُهم بروحِ عداءِ

لو كنتَ تعرف قدرَهم لذخرتَهم … كنزاً ونلتَ ولاءَهم بولاء
لا قدرَ للأوطانِ إنْ لم تنتفعْ … برجالها العلماءِ والأدباء
همَمٌ تضيعُ ولا رجاءَ لها : وكم … أفنى حماةُ الشرقِ كلَّ رجاء
كم يتركون مَدى النبوغِ مبدّداً … كتبدُّدِ الإشعاعِ فى الصحراء !
ويُحارِبونَ المنشئين كأنما … المجدُ بالاتلافِ لا الانشاء !
وطنى ! إذا لم تستغلَّ موفّقاً … أهلَ الحياةِ فلستَ فى الأحياء
فوضى حياتُكَ : ما أرى معنى لها … الا معانى الجهلِ والجهلاء
دجلٌ ، وتضليلٌ ، وإفكٌ شائعٌ … ورخاءُ أوهامٍ لغير رخاء
وحُروبُ أحزابٍ تصيح وتنتهى … كتناوحِ الأطيافِ بالأصداء
بينما الأباةُ المبدعون تراجعوا … لم يُجدِهمْ فضلٌ وصدقُ إباء
ولو احتفلتَ بهم وشُدتَ نبوغَهم … كانوا جواهرَ تاجِكَ الوضّاء
لم ألقَ مثلكَ فى غِناهُ وفقرِهِ … يأبى غِناهُ بروحهِ العمياء !

## حياة الضجر

علامَ السرورُ وفيمَ النشيدُ … ومِلءُ الحياةِ بعصرِ الضجَرْ ؟!
حَياةٌ تغلغلَ فيها الهوانُ … فلا لامرىءٍ مِنْ أذاها مَفَرّ
وشعبٌ يُذلَّلُ دونَ السوَا … ئمِ حتى جهلناهُ بين البَشَرْ
حليفُ الترابِ ، ولكنه … يَرى حظَّه فى التُّرابِ اندثرْ
أجيرٌ يُسخّرهُ الأجنبيُّ … بلا عوضٍ ، وبه كم سَخِرْ
يُحارَبُ مِنْ كلِّ ما حقّهُ … كأنَّ بما حقّه قد عثرْ !
لمنْ هو يَسْعَى وما حظّه … بغير الرّغامِ وغيرِ الحُفَرْ ؟
ولم يُغْنَ الا بشتّى الهمومِ … وشتّى السّقامِ وشتّى العِبَرْ
مَآسيهِ لا تنتهى ، بينما … أمانيهِ أقسى له أو أمَرّ !

حبا غيره بالنعيم الجزيل ... وأبقى له ما اشتكى من ضرر
ومن عجب ينتمى قدره ... الى كلّ مجدٍ جليل الخطر
فمن علّم الشعب هذا الهوان ... ومن أصغر المجد حتى صغر ؟
أليس التناطح بين الرؤوس ؟ ... أليس التطاحن بين الزمر ؟
دعونا إذن من مديد الصغار ... وخلّوا إذن كلّ هذا الهذر !
دعوا كلّ هذا الهتاف الطويل ... فكم فيه مهزلة للقدر
أليس لكم عبرة فى الشقاق ؟ ... فما الظفر الا لمن يعتبر
فهبّوا الى وحدة لا تضام ... وهمّوا الى عزة تنتظر
ولو أنكم من عنيد الصخور ... لأذكى المصاب دفين الشرر !

## ثمن الحرية

سوف أعطى فوق ما يعطى الذى ... يتباهى بمساع ومنن
سوف أرضى شظف العيش كما ... سوف أرضى من تجنّى وغبن
سوف أرضى ما أعانى إن يكن ... فيه من حرية الشعب ثمن
لن ينال الشعب آمالا له ... فى حمى التغرير أو قيد الرسن
إنما الشعب حمى أفراده ... فاذا أفراده هانوا وهن

* * *

أيها الأحزاب أنتم داؤنا ... قد تفرقتم حيارى فى الزمن
فتركتم مصر لا تعرف من ... من بنيها يرتجى أو يؤتمن
لو وقفتم مثل سدّ رائع ... ثابت البنيان مرفوع القنن
خشع الدهر لكم من نبلكم ... وتخلّى عن غرور وضغن !

## الزهول

كم بى حنينٌ للتقشُّفِ بينما | يلهو ويعبثُ بالفؤادِ غرامُ
وأحنُّ للتربِ الذى هو غايتى | وكأنما هو منزلى البسّامُ!
وأنوحُ لكنْ لا لنفسى نوحُها | مهما شقيتُ وخانتْ الأيامُ
بل كلُّ نوحى للأنامِ ، فهمُّهم | همى ، وإنْ جحدوا هواىَ وهامُوا
وأنٌّ فى قلبى المصدَّعِ مثلما | تتصدَّعُ الأطيافُ والاحلامُ
ماكان لى جُرْمٌ سوى جُرْمِ العلى | لمواطنٍ فيها العزيزُ يُضامُ
حتى حسبتُ من الذنوبِ تقشُّفى | وكأنما حربُ الحياةِ سلامُ
وذكرتُ قولَ أبى علىٍّ (١) ذاهلاً | تتنابى الأحلامُ والآلامُ :
ولقد نهزتُ مع الغُوَاة بدلوهمْ | وأسمتُ سرحَ اللهوِ حيث أسامُوا
وبلغتُ ما بلغَ امرؤٌ بشبابهِ | فاذا عصارةُ كلِّ ذاك أثامُ !

## سجن الشرف

إنى أشمُّ وفاءَ الناسِ مُدَّخراً | لهم من الحُبِّ أضعافَ الذى عَرفُوا
وليس تُقنعنى دَعْوَى وإنْ لطفتْ | وليس يقهرنى بأسٌ ولا صَلفُ
ولا أُجرّب الاَّ مرةً ، فاذا | خُذِلَتْ صُنْتُ فؤاداً حُبُّه تَـلَفُ
فراسةُ الحبِّ تَجْرِى فى صميمِ دمى | وقد أُعاندُها حيناً وأعترفُ
لكنْ أعود ألومُ القلبَ فى شَغفى | بالناسِ حين عذابى ذلك الشَّغَفُ

***

يا مَنْ بكى أو تباكى بعد ما صدفتْ
نفسى ! رويدَكَ ! حسبي الصَّمْتُ والشرَفُ !

---

(١) هو ابو على الحسن بن هانىء الشهير بابى نواس .

دَعْنِى بِرَبِّكَ فى سجنٍ ألوذُ به
وارْتَعْ كما شِئْتَ ، ولينعمْ بك الحَرَفُ !

## آلام الريف

زَغْرَدْنَ بين تَدَافُعِ الآمالِ ... وضَحِكْنَ بين تضاحُكِ الآصالِ
أترى نسينَ مَدَى الشقاء وقد سَرَى ... مَسْرَى اللهيبِ على الهشيمِ البالى
أم أنَّ أحلامَ الشَّبابِ كفيلةٌ ... فتعيد للأضواءِ هُمّ ليالى ؟ !
ما بالُهنّ لدى الغديرِ حوانياً ... يُنشدنَ للماءِ النشيدَ الغالى
والماءُ يَضربُ فى حنانٍ دافقٍ ... أقدامَهُنَّ فما تراه يُبالى
يغسلنَ عابسةَ الملابسِ تارةً ... والشطُّ مَزْهُوٌّ بهنّ مُبالِ
ويَعدنَ يرشفنَ المياهَ كأنها ... صفوُ الحياةِ ونشوةُ الأجيالِ
ويَسِرْنَ بينَ تهلُّلٍ وتأمُّلٍ ... وكأنهنَّ من النباتِ غوالِ
فَتَيَاتُ مصرَ المُنْجِبَاتُ بطينها ... وبمائها المتبرِّجِ المتلالى
حاكينَ أرضَ النيلِ ملءَ وداعةٍ ... وسمائها فى نُورِها المتوالى
وجعلنَ مَلْبَسَهُنَّ فضفاضاً كما ... أَوْحَتْ طبيعةُ مصرَ بالآمالِ
وَطَنُ السماحةِ والجمالِ فجَوُّهُ ... متشبِّعٌ بالسِّلمِ والاقبالِ
ما بالُه أضحى مَجالَ تنابذٍ ؟ ! ... أكذا السَّلامُ يحولُ شبهَ قتالِ ؟ !
ما بالُ هذا الكنزِ يُصبحُ خصبهُ ... جَدْباً ، وهذا التبرُ مِثْلَ رمالِ ؟ !
أين الرجالُ المصلحون ؟ أأقفرتْ ... مصرٌ وأضحوا فى عدادِ خيالِ ؟ !
ما للزعامةِ ليس تَعرفُ مرةً ... صدقَ الزعامةِ أو فُرُوضَ رجالِ ؟
يتناحرون وما التناحرُ حكمةٌ ... انّ التناحرَ أصلُ كلِّ ضلالِ
أين التَّجرُّدُ ؟ أين أين تَخلُّقٌ ... بالنُّبلِ ؟ أين شجاعةُ الابطالِ ؟
سادَ الغريبُ وما دَرَوْا أو قد دَرَوْا ... لكنهم حُرِمُوا شعورَ جلالِ

ومَشوا على أشلائهم فى حُمقِهم   كالفاتحين مَشَوْا على الأوصالِ
والدهرُ يضحك والمجاعةُ منه   تبكى وتضحك فى أسًى وخبالِ
وفُتوحُ ذاك المجدِ تخجل مثلما   خجلتْ رؤوسٌ للزروع حيالى
وكأنْ زغردةَ الحسانِ مِنَ الأذى   صوتُ الجنونِ وصرخةُ الآجالِ
وكأنَّ هذا الريفَ مقبرةُ المنى   والموتُ بين مخاصمٍ ومُوالِ
وكأنما اختلط الوجودُ مع الرَّدى   وتزاحُمِ الآمالِ والأهوالِ !

## النعاج

قلْ للنعاجِ اذا لجَّ الثُّغاءُ   أنتنَّ والله أعدَى الناسِ للناسِ
يامَنْ أخصُّ بتأنيثٍ مذكّرَهم   قد حار فيكنّ تفكيري واحساسى !
يا آيةَ الضعفِ فى حُمقٍ وفى هذَرٍ   ما فى المذلةِ بعدَ الضعفِ من باسِ
مَنْ كان يقبل هذا الضيمَ من شبَحٍ   فانما هو معنى الضيمِ واليأسِ
عارٌ على أمةٍ أمثالُكنَّ لها   أو أنْ تكنَّ بها معدودَ أنفاسِ
دعوا المقاعدَ رعياً فى مناكبها   بين الحشائشِ لا ساداتِ جُلاّسِ
هذى المجالسُ للأخلاقِ عاليةً   ليست مَعارضَ أوشابٍ وأنجاسِ

## أنشودة الاناشيد

THE SONG OF SONGS

(مارلينُ) ![1] تلك مَناحَةُ الفنّانِ   ذَلَّ البرىءُ بها وعَزَّ الجانى
لا تُرجعى الأحداثَ عن ثورانِها   لن ترجعَ الاحداثُ عن ثورانِ !
هيهات نَنعمُ بالخديعةِ بينما   الغبنُ كلُّ الغبنِ للفنّانِ
لا تُوهمينا بالحياةِ جديدةً   فى جنَّةٍ خُلِقَتْ مِن النيرانِ
إنَّ الزمانَ لساخرٌ ومُعانِدٌ   وأنا الخبيرُ بما يكنُّ زمانى !

❁ ❁ ❁

(١) هى الممثلة الفتاة مارلين ديتريش بطلة رواية ( انشودة الاناشيد ) .

( مارلينُ ) ! أشبعتِ الطبيعة نضرةً بالفنِّ في فرَحٍ وفي أشجانِ
يرنو اليكِ الملهمونَ كأنما يرنون فيكِ الى نُهَى الديّانِ
هذي المعاني الدافقاتُ عواطفاً ليستْ مثالَ عواطفٍ ومعانِ
هي فوقَ ما نَهَبُ الحياةُ لأهلها مِنْ قوةِ الإلهامِ والايمانِ
بحرُ الألوهةِ فيه نَسْبَحُ عن هُدًى وبلا هُدًى بأشعةٍ وأغانِ
فيُصيبُ حظَّ الشطِّ غِرٌّ ماكرٌ ويَغيبُ في اليمِّ الفتى المتفاني
ويُظَنُّ في هذا الفناءِ نعيمهُ وهو الشريدُ وإنْ يُظنّ الهاني !
( وكأنّه سيفٌ هناكَ مُشطَّبٌ ألقتْه يومَ الرَّوعِ كفُّ جبانِ ) (١)

* * *

(مارلينُ ) ! مَنْ قال الحياةُ رحيمةٌ بالحبّ ، حين نعيشُ كالعبدانِ ؟!
نَهَبُ الحياةَ أعزَّ ما خلدتْ به ونُغَصُّ نحن بكلّ ما هو فانِ
مَثّلْتِ مَعنى الرِّيفِ حلواً ساذجاً كالزَّهْرِ فوق العُشْبِ في نيسانِ
ثم الحياةَ بخيرِها وبشرِّها مِنْ حيثُ بين الناسِ يلتقيانِ
فاذا الغِنَى واذا الثقافةُ والمنى لا شيء حين يُفرِّقُ الإلفانِ

* * *

(مارلينُ ) ! مَنْ هو بالجمالِ أحقُّ مِن واعيهِ في نحتٍ وفي ألوانِ ؟
أهلُ الخلودِ ، وكلُّهم متشرِّدٌ كالحقِّ بين مَعالمِ البهتانِ
لا كانت الأيدي التي لمسته إنْ لم تصطبغْ بعواطفٍ وبيانِ
حملتْ قرابينَ الجمالِ شعورَها فبكلِّ كفٍّ شُعلةٌ وأماني !
والدَّهرُ يَقطعُها فترجعُ في أسًى لا كالأسى ، وتنوءُ بالاحزانِ !

* * *

(مارلينُ) ! يَفْنى الكونُ قبْلَ قطيعةٍ بين الجمالِ ومُبْدِعِ الاتقانِ
ولئن تخيّلَ للفنونِ حياتَها في عُزلةٍ ، فبروحِها روحانِ

---

(١) البيت للشاعر الفحل ابن حمديس .

إنّ الجمالَ هو الفنونُ توحّدتْ     وتذوّقتْ بشُعاعِهِ الفنّانِ
فاذا البصيرُ يُصَدّ عنه مُوَلّهاً     واذا الضريرُ يُخَصُّ بالاحسانِ !

* * *

( مارلينُ ) ! غيرُ العدلِ فى الدنيا لنا     عُقْبَى فليس العَدْلُ للانسانِ
مهما أضاءتْ لن يكونَ مصيرُها     غيرَ الظلامِ لأنفُسٍ ومَغانِ
ولقد أثرتِ مَدامعى ومَباهجى     فاذا السُّرورُ مع الدموعِ رثانى !

## بعد الكفاح

هذى بقايا القُطْنِ ترقدُ فى الثرى     كجنودِ حربٍ بعدَ طُول كفاحِ
صَرْعى مُجندَلةٌ ولكنْ بعد ما     ضَحِكتْ بأجملِ نُورِها الوضّاحِ
حتى النّباتُ يرى الضحيةَ واجباً     ومُنًى فليس يَضِنُّ بالأرواحِ
ويَعيشُ بالبذلِ السخيّ ، وموتُه     عيشٌ ، وكم فى الموتِ مِنْ إفصاحِ
ويَنالُ منه الناسُ ثروةَ عيشِهم     وكأنما هى ثروةُ الأشباحِ !
جهلوا التجاربَ للسموِّ فما سَمَوْا     وغدا مُتاحُ الحظِّ غيرَ مُتاحِ
وتطلّبوا مَجْدَ الحياةِ ، وانما     مَجْدُ الحياةِ لمنقذٍ مَنّاحِ
يَفْنى ويُعطى غيرَه مِن رُوحِهِ     فتُبَثُّ فى الأرواحِ والأوضاحِ

## الشهوات

عُظِّمْتِ !.. أنتِ وأنتِ وحْدَكِ مَنْ لها     دَيْنُ الهزيمةِ فى بلادِ النيلِ !
مَنْ ذا سِواكِ يفتُّ فى أعضادِنا     ويخصُّ بالإصغارِ كلَّ جليلِ ؟
كَمْ مِنْ جُهودٍ ثم كَمْ مالٍ وكَمْ     فَضْلٍ أُضيعَ ضَياعَ مالِ بخيلِ (١)
ضاعتْ وضاعتْ كالهباءِ ، وكأنما     ذاكَ الذليلُ مُحارِباً لذليلِ
لو أنّ ما قد ضاعَ طوعَ خصومةٍ     صُنْناهُ كان تراثَ هذا الجيلِ

---

(١) لما يعقب ضياعه من الحسرة اللاذعة عنده .

## عدلي يكن

( رثاء الزعيم المصري الكبير وقد مات في باريس )

عُدْ يا ابنَ مصرَ الى التُّربِ الذي قدرَكْ … الى المغاني التي أودعتَها زهرَكْ
الى الاماني التي لقّنتَها سهرَكْ … الى المعالي التي أكسبتَها أثرَكْ
عُدْ يا زعيماً جحدْنا فضلَهُ زمناً … حتى غدَوْنا حيارَى في إسارِ شرَكْ
يا رُبَّ ميْتٍ كأنَّ الرشدَ مؤتلقٌ … مِنْ قبرِهِ فكأنَّ الرُّشدَ قد قبرَكْ !
ما في الحياةِ حياةٌ بين أخيلةٍ … حراكُها كسكونٍ والسكونُ حرَكْ
في موْطنٍ ما ترَى للواجباتِ به … الا عقوقَ لئيمٍ يشتهي ضررَكْ
أبكيكَ لكنْ بكائي كله حرَقٌ … على بلادٍ أضاعتْ ضلةً خطرَكْ
تمشي الحزازاتُ فيها جِدَّ ثائرةٍ … وأنتَ تقنعُ بالحبِّ الذي غمرَكْ
مَناهلُ اللطفِ والايمانِ رائعةً … وعيتَها فاذا للخُسْرِ مَنْ خسرَكْ
(عدْلي) وما اسْمُكَ الا رمزُ منقبةٍ … كأنما هِيَ الوحيِ الذي عمرَكْ
عُدْ يا ابنَ مصر الى حِضْنٍ أحقَّ به … وفاؤكَ السمحُ لا تهريجُ مَنْ غدرَكْ
كم مِنْ حيارَى ادّعَوا إنصافَها ءوهاا … منهُمْ وبالٌ عليها طالما قهرَكْ
رُوحٌ كروحِكَ لم تُخلَقْ لمعركةٍ … لكنْ على كلِّ سلمٍ ربُّها فطرَكْ
بذلتَها بذلَ منّاحٍ لأمّتِهِ … فعُدْ تنتظرْ مدى الحزنِ الذي انتظرَكْ
هذي روايةُ مصرَ كلُّها شجنٌ … الحيُّ يشقَى ويلقَى ميتُها كدرَكْ !

## فلسطين الثائرة

تقصَّفْ يراعي اواصمُتْ الآنَ يا فمي ! … لقد آنَ عهدُ الحرِّ يُكتَبُ بالدَّمِ !
علامَ صياحُ الناسِ حين كلامُهم … هباءٌ إذا الأسيافُ لم تتكلَّمِ ؟
وإنْ لمْ يدوِّ الحقُّ مِنْ كلِّ مدفعٍ … وإن لم يغنِّ الموتُ في كلِّ مأتمِ ؟
حرامٌ علينا أن ننادي بيقظةٍ … اذا كانت الأرواحُ أرواحَ نُوَّمِ !

* * *

وثائرةٍ في نخوة العُرْبِ آمنتْ ... بعزّتها بالرغم مِنْ كلِّ أعجمي
مَشَتْ للردى في جحفل مِنْ شيوخها ... وشبّانها في وَحدةٍ لم تُقَسَّمِ
تهزُّ حصون الظّلم في صيحةٍ دوّتْ ... وتكتسح العَسْفَ الذي راح يحتمي
وترجعُ كلْمَى في شموخٍ وكَسْرَةٍ ... فانّ انكسار الحُرِّ للنَّصر ينتمي
وتضمنُ للأجيالِ بالدَّمِ حقَّها ... فمنهُ سطورُ الحقِّ يقرؤها العمي
تهشُّ لممطورِ الرّصاصِ كأنّه ... سَخِيٌّ من الوسميِّ للرائدِ الظّمي
وهيهات تحيا أمّةٌ ما تعرّضتْ ... لوابلهِ ، فالموتُ في جُبْنِ مُنْعَمِ !

* * *

( فلسطينُ ) ! يا دارَ النبوّة ! هكذا ... تصيرُ جِنانُ الخُلْدِ دارَ جهنّمِ !
تخذتِ مِن النارِ المطهِّرةِ الحمَى ... حليفَكِ في يومِ البلاءِ المحتَّمِ
فعلّمتِنا معنَى الكرامةِ والعُلَى ... وكيف العُلَى رغمَ الشقاءِ المخيِّمِ
وكيف يُعدُّ الموتُ أكرمَ مُنقذٍ ... اذا المرءُ بالاحداثِ لم يتعلمِ !
وكيف العذارَى كالشبابِ وأهلهم ... بناءٌ لهذا الهيكلِ المتهدِّمِ
بأشلائهم صانوه مِنْ صدمةِ العِدَى ... وقد نعلوا لكنْ بغيرِ مُحَرَّمِ
وما ندموا الاّ على أنَّ مَنْ هوَوْا ... قليلٌ ، كأنَّ الحيَّ يحيا لمندمِ !
تهاوَوْا أمامَ الموتِ نَشْوَى بفرحةٍ ... كأنَّ لهم في الموتِ فرحةَ موسمِ
جُسومٌ وأرواحٌ تُضحَّى رخيصةً ... ولكنّها كالشُّهْبِ بالنُّورِ ترتمي
فتُوحِي وتَفْنَى ، والفناءُ بقاؤها ... وتُشْعِرُنا بالنُّبلِ والرُّوحِ والدّمِ !

## دنيال في جب الاسود

مَثَلُ المكيدةِ مِنْ حَسُودْ ... ( دَنْيالُ ) في جُبِّ الأُسُودْ
عبَدَ الالَهَ مُوَحِّداً ... لا عَنْ ثوابٍ أو وَعيدْ
بل عن عقيدةِ مُؤمنٍ ... يَكفيهِ ايمانٌ يَذُودْ (١)

---

(١) يحميه ويصونه .

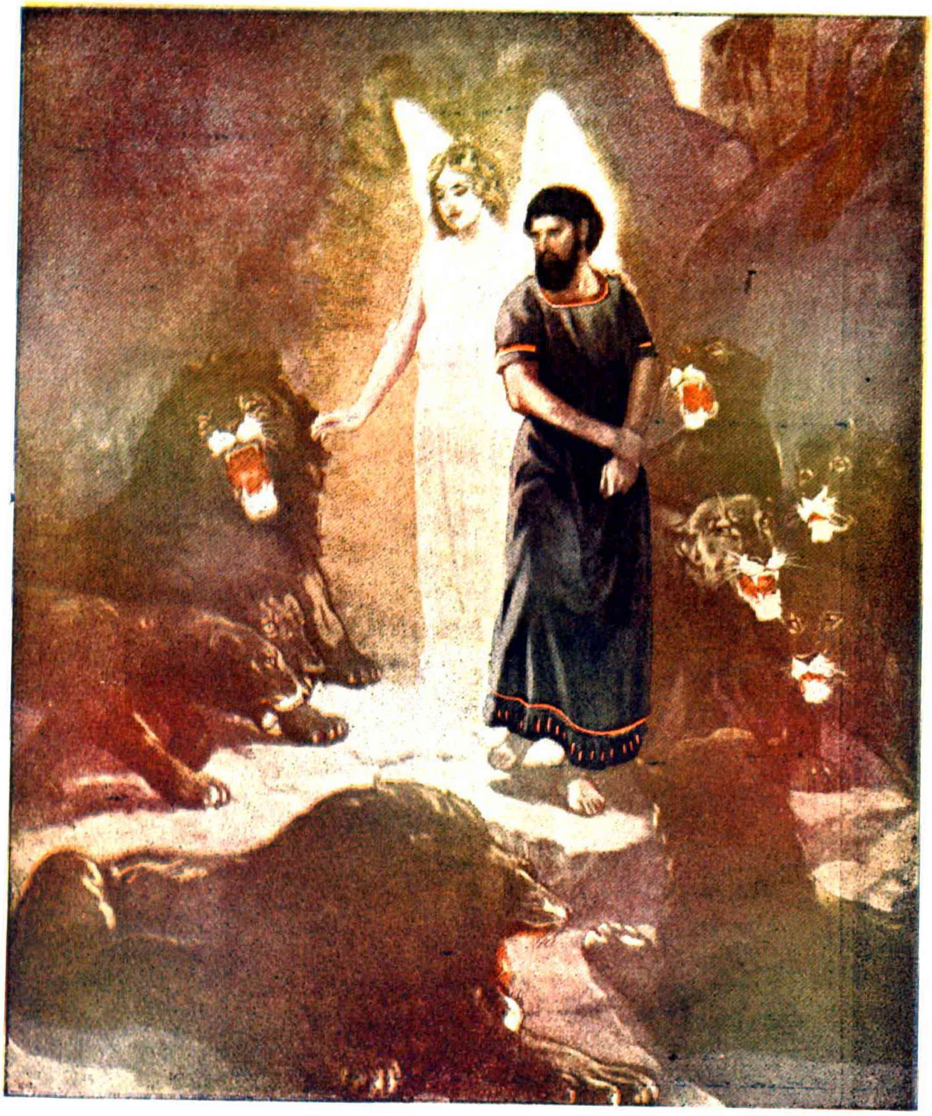

( الينبوع )　　دانيال فى جب الاسود　　(مطبعة التعاون)

وأبى له حسّادُهُ الاّ النكاية والجُحُودْ
جعلوا المليك مُحرّماً لسوى المليك دُعا المسُودْ
لكنّ (دنيالَ) النبيل أبى التحوّلَ بالعهُودْ
ما كان عهدُ الرّبّ الاّ عهدَهُ ، فله السُّجُودْ
ومضى على إخلاصه للربّ لا يخشى الشّهُودْ !

* * *

واذا الوُشاةُ تعلّقوا بعقابه عند الملكْ
لم يلقَ عذراً أو مفرّاً وهو يشعُرُ بالشّرَكْ
قضَوْا به للجُبّ والا ملكُ الاسيفُ كمَنْ هلكْ
يشجَى (لدنيالَ) الحبيب كما شجا[1] داجى الحلكْ
ودنا الصّباحُ فراحَ نحـ ـوَ الجُبّ في جزع الفلكْ
ودعا وفيه من التّوجّس والتّخوّف ما امتلكْ
فأجابهُ (دنيالُ) في اطـ ـمئنان مَنْ لم يرتبكْ
أنا في أمانٍ يا « ملِـ ـكُ » بفضلِ ربّي مَنْ ملكْ !

* * *

في الجُبّ رُوّعت الاسُو دُ وقد بدا مَلَكٌ لها
زأرتْ وكلٌّ فاغرٌ فاهاً ، تخافُ مآلها
رُدّتْ عن الملك العزيـ ـزِ كما رعتْ (دنيالها)
حرسَتْهُ في الليل البهيـ ـم تخالُهُ آجالها
حتى تلقّاهُ الملِيـ ـكُ وقد رأى إجلالها
في فرحةٍ ، وكأنما أعطى البلادَ نوالها
ولقد غدا إيمانُهُ إيمانها وجمالها

(١) حزن .

* * *

ورأى المليكُ جزاءَ مَنْ خدعوهُ نفسَ جزائهمْ
فلدى قرارِ الحُبِّ عندْ لُ مآلِهمْ وثوائهمْ
بعثوا اليه فما حمى (١) مكرٌ وثوبَ فنائهمْ
كم مُفسدينَ تورّطوا بغرورِهمْ وذكائهمْ
نالَ التّمادِي منهمو ما نالَ مِنْ أشلائهمْ
بذلوا الذي بذلوا لشرِّ النّـاسِ في غلوائهمْ
فإذا الأذى لخطورِهمْ وإذا الرّدى لرجائهمْ !

## نبل الخصومة

وما النبلُ ما تلقاه مِنْ ودِّ صاحبٍ ولكنّه نُبلٌ رعاه خصيمُ
اذا طغتْ الأحداثُ جارَ امتحانُها كريمٌ ، ولم يَصْمُدْ وزلَّ لئيمُ
فلا نُبْلَ في ودٍّ إذا حالَ لم يكنْ عزيزاً نبيلاً ، فالكريمُ كريمُ

## عائدة

( أهديت الى « عائدة الجديدة » الآنسة الفنانة فتحية شريف لمناسبة تمثيلها البارع لدور عائدة )

( راداميسُ ) قد عاد يا ( عائدَهْ ) فعُودِي الى رُوحِهِ البائدَهْ
الى أملِ الحُبِّ ملءَ الحياةِ فما غيرُهُ نعمةٌ سائدَهْ
أفيقي مِنَ السِّنَةِ المنتهي اليها هوى مُهجتي الشاردَهْ
أفيقي وحيِّي غرامَ الفُنونِ بطلعتكِ الحلوةِ الماجدَهْ
لِسُمْرتِها نشوةٌ في العُيونِ وأخرى بأفئدةٍ عابدَهْ

---

(١) منع

أفيقى وعُودِى كَعودِ الحيا   الى التُّربةِ الرثَّةِ الهامدَهْ
تَطَلَّعُ بَعدَ الحَيَا للحياةِ   وتَنشقُ مِنْ رُوحِكِ الخالدَهْ !

* * *

تعالَىْ الى مَسْرحٍ للحياةِ   برقصتِكِ السَّمْحَةِ الآمنَهْ
لقد نسخَ الدَّهرُ آىَ المماتِ   وعُدنا الى غيرِها فاتنَهْ
لئنْ لم تَنالى أمانىَّ أمسٍ   فلليومِ أخرى لها دائنَهْ
تعالَىْ ! تعالَىْ ! فدُنيا الفُنونِ   تُحيِّى مَفاتنَكِ الكامنَهْ
تعالَىْ الى عارفى قدْرِها   أُولى الشِّعْرِ فى الرهفةِ الصائنَهْ
يصونون رقصَكِ أشعارَهمْ   ولو نظروا نظرةَ ماجنَهْ
وما الفنُّ الاَّ حياةُ النُّهَى   وُثبِ بينَ عوارفِكِ الهاتنَهْ !

## ديونى

لقد زادَ عِبئِى مِنْ دُيونٍ كثيرةٍ   علىَّ فخلِّينِى أردُّ ديونى
ولستُ وإنْ حاولتُ أرضىَ سدادَها   وهيهاتَ مهما قد أطعتُ جنونى !
وكيف لمثلى أن يردَّ مَفاتناً   تناولتُها مِن ساحراتِ عُيونِ ؟!
دعينى إذنْ كالطفلِ ألهو محاولاً   سدادَ ديونٍ فوقَ كلِّ ديونِ
أقبِّلُ هذا الحسنَ مِن كلِّ مَشرعٍ   على نَهمٍ مِن روعةٍ وفنونِ
لعلِّى وإنْ قصَّرتُ أبلغ مُحْسناً   رِضاكِ بتقبيلى ووحىِ فُتونى !

## شيخ الصحافة

( رثاء الصديق الكاتب الطائر الصيت الاستاذ داوود بركات رئيس تحرير «الاهرام» )

ودَّعتَ يومَ رحلتَ أحزنَ دارِ   وتركتَ ذكركَ لوعةَ الاشعارِ
وَحْىُ البيانِ السَّمْحِ ، أين مُجاجُهُ   لا فيضَ عن الحِجى ولذعةِ نارى ؟

ذهبَتْ بشاشتُكَ الحبيبةُ مثلما ... ذهبَ الأصيلُ بنورهِ المتواري
وهبَ الغروبَ حنانَهُ وجمالَهُ ... ومضى يطوفُ بكلِّ طيفٍ ساري
حتى غمرْتَنا مِنْ تجاوبِ رُوحهِ ... في النورِ والأطيافِ والآثارِ
فاذا الصَّدَى ملءُ الصَّدَى واذا الشَّجا ... يُزجي الشَّجا في الضوءِ والاوتارِ
واذا المسامعُ والعيونُ كليلةٌ ... فالحزنُ في الاسماعِ والأبصارِ!

* * *

« شيخَ الصحافة » ! تلك أكرمُ رُتبةٍ ... قد زدتَها قَدْراً على أقدارِ
لو أنَّ لي النعتَ الأبرَّ برَبِّها ... آثرتُ أن تُدْعَى « أبا الأحرارِ »
هيهاتَ أنسَى ما وهبتَ تألُّقاً ... وتحرُّراً كالنُّورِ في النُّوَّارِ
سكنَ الاباةُ اليكَ في إعيائِهمْ ... وأتى الهُداةُ اليكَ في الأخطارِ
ولكم وَصَفْتَ مؤرِّخاً ومُحدِّثاً ... كالدَّهرِ بين بنيهِ غيرَ مُجارِي
تُلْقِي العظاتِ كأنَّما في وزنِها ... وجلالِها هي لفظةُ المقدارِ
ومِنَ القلوبِ النابضاتِ عوالِمٌ ... ومِنَ القلوبِ الباليات عَوارِي!

* * *

أدبَ الروائعِ أينَ أينَ زعيمهُ ... في مجلسِ الأعلامِ والأخيارِ؟
جُذِبوا اليه ، كأنجمٍ وضّاءةٍ ... جُذِبتْ حيالَ الكوكبِ السَّيّارِ
شاخَ الزمانُ وعشتَ أنتَ فتيَّهُ ... وكبا الشبابُ وأنتَ في المضمارِ
فتؤلِّفُ الشَّمْلَ الذي آثرتَهُ ... لحياةِ مِصرَ بعقلكَ الجبَّارِ
فكأنَّما الاهرامُ قد أوْحَتْ بما ... أوحيتَ من رُوحٍ ومن أسرارِ
وكأنَّ آلافَ السنين استودَعتْ ... أنهارَكَ المعبودَ مِنْ أنهارِ
فجرَتْ بروحِ الشرقِ في فيضانِها ... جَرْيَ الحياةِ على مديدِ صَحارِ
حتى انتبهنا عندَ فقدِكَ في أسًى ... فوقَ الأسى مِن صدمةِ الأقدارِ
وكأننا غرْقى المُصابِ ، فكلُّنا ... متخبِّطٌ في صاخبِ التيّارِ!

* * *

(داوودُ) ! ان أنَسى محبتـكَ التى عمرتْ وسوف تَجلُّ فى الاعمارِ
وحديثَكَ العذبَ الذى نفحـاتُه صلواتُ (داوودِ) على المزمارِ
أَحييْتَ وقد حفلتْ بمصر وأهلِهـا حَفْـلَ الأصيلِ بأهـلِه الأبرارِ
مِنَنٌ علىَّ ولستُ واحدَها فـكم أسديتَ مِنْ مِنَنٍ ومِنْ إيثارِ
حتى ثأرتَ مِن الزمانِ وأهـلِهِ بالنُّبلِ واستعذبتَ أخذَ الثارِ
وحييتَ كعبةَ كلِّ حُرٍّ مُصلحٍ وبقيتَ ملجأهُم مِنْ الفُجّارِ
فاليومَ تدمعُ للمروءةِ عينُـها واليومَ تمشِى فى فِجاجِ النارِ !

* * *

لا كُنتَ يايومَ المُصابِ تجنِّياً وشجىً على الآمالِ والاوطارِ
أدَريتَ أنكَ قد نَكبتَ مروّعاً أمَمَ العروبةِ فى الزعيمِ الدارِى ؟
تَرْبَدُّ آفاقٌ على حسراتِها والشُّهبُ تلمعُ خلفَها بشرارِ
وتكاد تَلمحُ للمهاتِ وإنْ جَنَى قِبَلَ الحياةِ شُعورَه بالعارِ
أعلمتَ أنّ البِرَّ يُفجَعُ بعده فى المُحْسنِ المتنكِّرِ المتوارِى ؟
صَلُّوا عليه ومِثلُه يَغنى غِنىً بالنُّبلِ عن صلواتِ هذى الدارِ !
ومَشَوْا مئاتٍ فى الخشوعِ . ونعشُه كالفاتحِ المحفوفِ بالأنصارِ
أغناه إكليلُ المآثِرِ وحدَها عن أن يُكلَّلَ نعشُه بالغارِ
سادَ السُّكونُ كأنّما ساروا به متحدِّثين اليهِ فى الاضمارِ
وتأمَّلوا دُنيا الغرورِ بحسرةٍ عَزَّتْ ، ووحشةِ أدمُعٍ أبكارِ
وكأنّما الدنيا خيالٌ مُزْعِجٌ يتجلَّدون ازاءَه بوقارِ
فإذا المودَّع فى الخُلودِ موسَّدٌ واذا المودِّعُ فى أسىً وصَغارِ
تحيا بمصرِ للمناحةِ وحدَها فكأنّما هو مدفنُ الأعصارِ !

## فنوله الحياة

جئنا الى الدُّنيا ضُيوفَ خِداعِها فاذا الضيافة كلُّها إرهاقُ

وترى بفندقها الحياةَ تناقضاً  في طيِّها الاثراءُ والاملاقُ
تجرى الحوادثُ بيننا بتناسُقٍ  وجميعُها متنافرٌ أفّاقُ
ندرى وما ندرى علاقةَ بعضها  بالبعض بل قد يُطرق الخلاّقُ!
حتى كأنّا فى تخيُّلِ حالمٍ  بالصفو والدَّمُ فى يدَيْهِ يُراقُ
دُنيا الخداعِ فلا حقيقةَ عندها  وقوامُها الأوهامُ لا الأرزاقُ!

## الشارع الخلفى

(آيرين)[1] فيكِ عواطفى وحياتى  فيكِ الحياةُ تفوقُ كلَّ حياةِ
مُثّلتِ دنيا الحبِّ خانَ حظوظَها  قَدَرٌ مُؤاتٍ وهو غيرُ مؤاتى
قَدَرٌ يعُدُّ من الخطيئةِ كلَّ ما  أوحاه بالأحكامِ والعاداتِ
كم نحن نصفح عن مَدَى إجرامهِ  ولديهِ نشقى نحن بالهفواتِ
يُشقِى الأنامَ اذا أضاعوا لحظةً  وهو المضيِّعُ أنفسَ اللحظاتِ
قَدَرٌ أبى لكِ ما اشتهيتِ من المُنى  وهو الغباءُ أو الجنونُ العاتى
لحييتِ أشرفَ ما حييتِ على الضَّنى  والوهمِ والحسراتِ والعثراتِ
أعطيتِ عُمرَكِ للغرامِ وفيّةً  وقضيتِ عُمرَكِ فى جحيمِ عُداة
وحييتِ عنوانَ الضحيةِ عُذِّبَتْ  واستعذبتْ أشجانَها النضراتِ
ترعين مَنْ أحببتِهِ وحبوتهِ  بالحسنِ والأحلامِ واللذّاتِ
والدهرُ يأبى أن تعيشا عيشةً  سلمتْ مِن التجريحِ والحسراتِ
لخلقتِ مِنْ أحزانهِ فرحاً كما  أبدعتِ مِنْ نيرانهِ جنّاتِ
حتى اذا القدرُ الغشومُ أصابه  ورأى الوفاةَ دعاكِ قبلَ وفاةِ
فسمعتِهِ همساً بسمعِ مِسَرَّةٍ[2]  وأجبتِهِ بالدمعِ والصيحاتِ
وحييتِ ترجين المماتَ وقد دنا  فذهبتِ ظافرةً بغُنمِ مماتِ!

---

(١) هى الممثلة المبدعة ( ايرين دون ) بطلة الفلم الانسانى (الشارع الخلفى) .  (٢) المسرة : التليفون

## الحسناء والهيكل العظمى

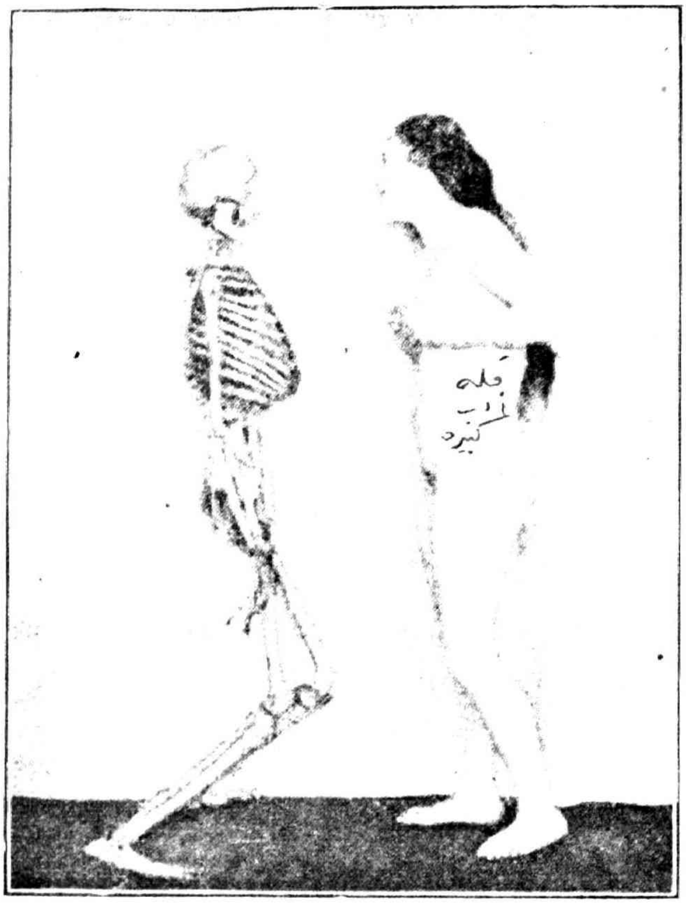

رأت حُسْنَها الأخّاذ للحبِّ عالماً     وهل عالَمٌ بالحسنِ والحبِّ ضائعُ ؟
رأتهُ حياةً ينبضُ الخُلْدُ مِلأَها     وتَنْبُعُ منها للحياةِ الروائعُ
مَعانٍ يُبينُ الحسنُ عنها ، وكلُّها     مَعانٍ تناءَتْ عن مَداها المنابعُ
هى المُبْهَمُ المجهولُ مهما يَبِنْ لنا     فصيحاً يُحَيِّي سِحْرَهُ ونُطالِعُ
فصارت تناجى حُسنها كلّما بدَتْ     مَعانيهِ لم تُفْسِدْ سناها الطبائعُ
تُناجيهِ فى المِرآةِ حيناً وتارةً     تُناجيهِ فى الكونِ الذى هو تابعُ
وما خدعَتْ مِرآتَها أو جمالَها     فليس لِمَرْأى الحسنِ فى الكونِ خادعُ

* * *

وقد يجمع الضدين في الفن جامعٌ     كما يجمعُ الخصمين في العيشِ جامعُ
وإلا فكيف الهيكلُ الميتُ الذي     قرينٌ لِحُسْنٍ كلُّ ما فيهِ ساجعُ
دنتْ منه في مثلِ الخشوعِ كما بدا     وفيهِ حنانٌ للملاحةِ خاشعُ
تسائلُهُ : هل غايةُ الحسنِ غايةٌ     لديهِ ، أم الحسنُ المقدّس شائعُ
وهل تقتدي في صورةٍ كعظامِهِ     ويَذْهَبُ ما تحنو عليه الأضالعُ ؟
الى أيّ حظٍّ ينتهي في جلالِهِ     وهل هو مِنْ قبلِ المنيةِ ضائعُ ؟
وراقها في بَسْمَةٍ مِنْ صُموتِهِ     وكم مِنْ صموتٍ ساحرُ النطقِ رائعُ
وَحيّرَها مِنْ راحةٍ لفنائِهِ     ومِنْ عِزّةٍ حين المعزّزُ جازعُ
كأنّ به للفيلسوفِ بصيرةً     وفيه تناهتْ ما تكنّ الشرائعُ
تمرُّ بهِ الأحداثُ وهو مراقبٌ     حكيمٌ ، وتمشي بالحظوظِ الفجائعُ
وقد وقفا صِنوَيْنِ ، حين كلاهما     حياةٌ ومَوتٌ ضيّقُ الحصرِ شاسعُ
وحارا وحارا في الوجودِ وما بهِ     إذْ العِلْمُ مثلَ الجهلِ لهفانُ وادعُ
هو العَيْشُ في الدُّنيا سكونٌ بثورةٍ     وكم مِنْ سَلامٍ داعبتْهُ المصارعُ
وكم مِنْ جَمالٍ يملأُ العينَ رَوْعَةً     وفيه مجالٌ للمنيةِ صادعُ
وهل كان في الدنيا سوى الموتِ عِزّةٌ     تُصانِعُهُ الدّنيا وليس يُصانعُ ؟!

* * *

فلمّا أطالتْ لهفةً بعدَ لهفةٍ     تُسائِلُهُ حيناً وحيناً تُسامعُ
مَشَتْ في أسًى كالهيكلِ الرثّ ساقهُ     على البحر غَمْراً موجُهُ المتدافعُ !

## عقاب الغدر

نزّهتُ نفسي عن إساءةِ غادرٍ     باعَ الصداقة باسم كل صَغارِ
وأخذتُ أرقبُ كلّ ما أوحتْ به     نزواتُه بالعارِ بعدَ العارِ
فإذا المآسي والمهازلُ جُمّعتْ     في طيشهِ المتفنّنِ الغدارِ

مَلْهَى الحياةِ وهل لها مَلْهىً سوى ... ما ساةَ من أبنائها الأحرارِ ؟
لم ألقَ غيرَ النأيِ مُنصفَ حكمتي ... إنْ عُدَّ ضيقي الودُّ أو إيثاري
كم مِنْ مَطاعنَ لي تُكال كأنها ... شرَفٌ يُكلِّلُ هامتي بالغارِ !

## قوميتي

أبناءَ قومي إني لا أمالقكم ... ليسَ التملُّقُ مِن طبعي ولا دأبي
أنفقتمْ العُمرَ أخصاماً كأنَّ مَدَى ... هذى الخصومةِ مَلهاةٌ لأحزابِ
أمَّا علمتمْ بأنَّ الحقَّ مضطهدٌ ... وإن يكنْ أهلُه أرباب أربابِ
لم يُعرَفْ الحقُّ يأتي مِنحةً أبداً ... بل يُؤخذ الحقُّ دوماً أخذَ غلّابِ

* * *

أحيا وأفنى أناجيكم وأنصحُكمْ ... ولو رُجمتُ بأشيائي وأحبابي
لن تبلغوا حقَّكم الا بوحدتكمْ ... لا أن تبيتوا ضحايا كلِّ ارهابِ
ولن يكون بخيرٍ مَنْ يُفرِّقُكمْ ... الا وأنتم كأنعامٍ وأسلابِ
خيرٌ لمثلي أن تؤذى كرامتُه ... بالصدقِ عن مَدْحِ أفّاقٍ وكذابِ
وأنْ أعيشَ كجنديٍّ على شرفي ... مِن أن أعيشَ بخزيٍ عيشَ أقطابِ

## الخيانة العظمى

(لفتةٌ الى صاحب العرش)

مولايَ ! وحِّدْ بالزعامةِ أمةً ... تَلْقَى مِن الأحزابِ كلَّ هوانِ
صغروا وخانوا عهدَهم لبلادِهمْ ... بخيانةِ الإخوانِ للاخوانِ
لم يتركوا شَغَباً ولا حِقدا ولا ... سوءاً ولا ضغناً مِن الاضغانِ
ومِنَ العجائبِ أنهم لو مُحِّصوا ... كانوا رجالَ النُّبلِ والعرفانِ !
فبأيِّ حِلمٍ أو لأيةِ ملةٍ ... يتقاتلون تقاتلَ الحيوانِ ؟
ولأيِّ حالٍ يستمرُّ كفاحُنا ... بعد الذي نلقاه مِن خذلانِ ؟
لم يَبقَ غيرُ العرشِ ملجأ همِّنا ... ومثابةَ الآمالِ والايمانِ

## غُنمي وردّي

كَم مِنْ مَطاعِنَ في تُرَفٍ فاشتهى — أن لا تزولَ ، فلن أكونَ غبينَا
كفلتْ ظهورَ ذوي الدناءةِ بعد ما — كانوا يدسّون الأذاةَ فُنونَا
أهلاً بهذا الغدر يُكشفُ سِترُهُ — فأرى بعينيَّ الخسيسَ الدُّونَا
وقد اشتريتُ كرامتي بشرورهم — حتى أعيشَ مُنزّهاً ومَصُونَا
لو أدركَ السفهاءُ غُنمي بعد ما — جانبتُهم عدّوا الأذاةَ جُنونَا
إني المدينُ لهم بجنونهم — وسأعيش ما حملوا عليَّ مَدِينَا !

## القلب المنفجر

( إلى الممثلة الشهيرة السيدة زينب صدقي )

سمعتُ شكاتَكِ يا غانيهْ — وضحكتَكِ الحلوةَ العانيهْ
فهل كنتِ الا فؤادي الكليم — تَفجّرَ بالأدمعِ القانيهْ ؟
أعيدي عليَّ حديثَ الشجونِ — وقُصّي مصارعَها الباقيهْ
وزيدي تأجّجَ ناري التي — أعيشُ بها شُعلةً فانيهْ
فما النارُ الا لأهلِ الفنونِ — ولو سكنوا الجنةَ العاليهْ
أعيدي أعيدي الهوى والعذابَ — عليَّ فأحياهما ثانيهْ
أُطهّرُ نفسي بما أسبغاهُ — عليكِ مِنَ اللهفةِ الساميهْ

* * *

ضحكتِ فما كنتِ إلا السماء — تُقهقهُ عن ثورةٍ خافيهْ
تجلّتْ بألوانِ وحيِ الربيعِ — ولكنها في أسًى باكيهْ
وجادتْ بسحرِ الجمالِ الطروبِ — ومِنْ خلفهِ حسرةٌ جانيهْ

وكم مِنْ وُرُودٍ برغمِ الأسى تَسُرُّ بمهجتها الداميه
وليس لها غيرَ دوحِ الفنونِ عزاءٌ ، ولكنها قاسيه [1]

## يا للغباء !

يا للغباءِ ! أصار مِثلى يستحى مِنْ شتمهِ وأنا العزيزُ بذاتى ؟
أهلاً دُعاةَ السُّوءِ ! ليس يَضيرنى إلاّ افتقادَ شجاعتى وأناتى
قولوا كما شاء الجحودُ وأسرفوا حتى تَبينَ [2] عن الجُحودِ حياتى
هيهات أندمُ ، فالعقوقُ وإن قسا نِعمَ الصديقُ ، فكم يُبينُ [3] عِداتى
فيمَ الندامةُ إن شُتِمتُ دناءةً وجزاءَ ما أسديتُ مِنْ حسناتِ ؟
النحلُ يُعطى الشهدَ جُوداً سائغاً ولكم يكافئُه الورَى بأذاةِ
ويَظلُّ يدأبُ فى وفاءٍ بالغٍ لرسالةِ الأحياءِ والأمواتِ
يَشقى ويَشقى مانحاً ، فاذا أبى عسفَ الطُّغاةِ شكوهُ أىَّ شكاةِ
فسدتْ مقاييسُ الزمانِ فلم يعدْ إلاَّ التخبُّطُ فى المحيطِ العاتى !

## بعض العزاء

حَمْداً لكَ اللهمَّ ! لم أرَ مرةً شرّاً سِوَى ممنْ وَفيتُ اليهِ
خيرٌ عنانى مِنْ خيانةِ غادرٍ مِنْ أن يُقالَ فتًى جَنيتُ عليهِ
بَعضُ العزاءِ — ومُرُّهُ حُلوُ الجنَى — أنْ لا أقاتلَ مَنْ طُعِنتُ لديهِ
آثرتُ أن أفنَى شهيدَ مبادئى ودَمى الوفىُّ يُراقُ بينَ يديهِ !

## تجنى الرياء

يا مَنْ تَجنَّوْا على قلبى وما رَحِموا هيَّا تجنَّوْا فانّى زاهدٌ فيكمْ
بَكيتُ لو أننى أرضَى مودّتَكمْ لكنّها مِنْ رياءٍ فى مَبانيكمْ

---

(١) اى دوح الفنون (٢) تبعد (٣) يظهر

كفتْ سنينٌ مَنحتُ الودَّ أخلصَه ... لكم ، فضاعَ ودادى فى تجنّيكم
لا تذكروا ذلك الماضى فقد دُفنتْ ... زهورُه بقبورٍ مِنْ مآسيكم
لا خيرَ فى الودّ لا يحيا على زمنٍ ... ولا بوَصْلٍ تناهى فى تنائيكم
ولا بقُرْبٍ جديدٍ جدّ مصطنَعٍ ... وذاك وجهُ المُرائى فى مرائيكم !

## موت الغيور

( رثاء الطيارين المصريين فؤاد عبدالحميد حجاج وشهدى دوس
وقد سقطا ميتين فى أرض فرنسية فى طريق عودتهما الى
مصر فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣ )

كذا فليطِرْ للموتِ مَنْ ماتَ واستغنَى ... عن المجدِ فى دُنيا تضيقُ بها مَغْنَى
كذا فليكنْ هزلُ الحياةِ وجِدُّها ... فنفتقدُ الروحَ الذى نظّمَ الكونا
كذا فليضمّ الموتُ أحلامَ أمّةٍ ... فتُرغمُه ردّاً وتُثقلهُ دَيْنا
طلبنا الهواءَ السّمْحَ عند اختناقِنا ... فلما بلغناهُ لقينا به الغبنا
فيا فرحةً قد أعقبتْ شرَّ حسرةٍ ... وقد تعقبُ الافراحُ فى وثبِها الحزنا
أكانَ عزيزاً أنْ يُؤجِّلَ روْعُنا ... الى أن ينالَ الطايرُ فى وكرِهِ الأمْنا ؟
شهيدان قد راحا ضحيّةَ جُرأةٍ ... ولكنّما قد جرّدا الموتَ مِنْ مَعْنى
لئن فاتنا تكليلُ رأسيهما عُلَى ... فقد بلغا فوقَ الذى نحْنُ نجْتلنا
وقد سقطا فى حُبّ مصر بشُعلةٍ ... وفى شُعلةٍ عاشا ، فعاشا بها مَثْنى
شبابٌ لهم إلهامُ شعْبٍ مكبَّلٍ ... وقد أقسموا يَفنون عَزْماً ولا يَفْنى
فإن فقَدَ السِّرْبُ الفخورُ كليهما ... فما عرفَ الفقدَ الذى رادفَ البينا
وقد بعثَ الموتُ الحياةَ بأمةٍ ... وكم قد رأينا الموتَ بالخلقِ مفتنّا
فهبّوا على الآلامِ هبّةَ مؤمنٍ ... بما يُنصفُ الاوطانَ والذكرَ والفنّا
سبيلُ الضحايا وحده نهجُ أمةٍ ... تشُقّ الدُّجى كى تبلغَ المأربَ الأسنَى

ونَهْجُ الأَمانى فى سُكونٍ وغفلةٍ هو المدفنُ الأَوْفَى لمن يرتضى الدفنا

* * *

برغمِ الشبابِ الحرِّ يا رمزَ رُوحهِ تمازُكما فى نكبةٍ رمزُها أهْننا

تحوطكما أنفاسُنا وحنانُنا اذا القدرُ العانى تأَبَّى وما حَننا

فلم نخرقا الا وأنفاسُنا لظًى وقد نلتما التخليدَ أوحزْتما عَدْنا

ولم تُطعَنا مِنْ خدعةِ الحظ ميتةً فنحن الأُلى ذُقْنا المنيةَ والطَّعنا !

## عيش الالوهة

مَن لى بأن تدعَ الحياةُ تغلُّلى فى كلِّ ألوانِ الجمالِ أمامى

حتى أعيشَ بلُبِّهِ وصميمهِ عيشَ الالوهةِ فى مَدَى الالهامِ

لا تُرْجِعُونى للحياةِ بيقظةٍ هى كالمماتِ قتيلةُ الأيَّامِ

بل فاتركُونى فى سعادةِ حالمٍ ذاقَ النعيمَ الحُلوَ فى الأحلامِ

ينسابُ فى رُوحِ الطبيعةِ روحُهُ فكأنما هى روحُه المتسامى

وكأنما الأشجارُ مِنْ خِلانِهِ وتجاوبُ الاصداءِ وَقْعُ كلامى

وكأنما النِّيلُ الحبيبُ خواطرى تجرى أمامَ تلهُّفى المترامى

ومِنَ الحُقُولِ مَسارحٌ لعواطفى وبكلِّ نبْتٍ لهفتى وأوامى

ومِنَ الاشعَّةِ حاملاتٌ رسائلى لهواىَ : أو مِنْ حاملاتِ غرامى

يتجاذبُ الكونُ الفسيحُ تهافُتى بين الظلامِ ونورِهِ البسَّامِ

وكأنَّنى أنْسِيتُ نفسى عندهُ وصَعَدْتُ فوقَ مشارفٍ وغمامِ

فغدَوْتُ مِنْ أجزائِهِ ولمحتُ فى أندائِهِ ، وعرفتُ فيه سلامى

فاذا رجعتُ الى الحياةِ وأهلِها فلقد رجعتُ الى أذَى الظلامِ !

## وحدتي

وَحدتي ! ودَّعتُ أطيافي وقد غابَ وَداعي
أنا كالصَّخرِ ولكنْ ميِّتٌ دونَ نقاعِ
أطفأتْ أحلامِيَ الأيَّامُ إطفاءَ الشُّعاعِ
لم تعدْ لي ذكرياتٌ لحبٍّ أو شُجاعِ
كلُّ ما حولي خَواءٌ فهو زادي ومَتاعي
سئمتْ نفسي غُرورَ العيشِ والحُبِّ المُضاعِ

* * *

أيها الصُّوفيُّ في لهوٍ وفي دينٍ مُطاعِ
أنا مَنْ يَهديكَ للنعمةِ لو تَرضَى اتِّباعي
قد بلوتُ الحلوَ والمرَّ وألوانَ الطِباعِ
فاذا العُزلةُ عن كلِّ طموحٍ وطَماعِ
واذا الغفلةُ عن دنيا جنونٍ وصِراعِ
واذا الايمانُ بالوَحدةِ والموتِ المشاعِ
هي ذخرٌ من حياةٍ وسُمُوٍّ وابتداعِ
رُبَّ ميت دونَ نفعٍ هو بأسٌ في قِناعِ
كُنتُ فيه حياةُ الموتِ في مِثلِ القلاعِ
لا يُبالي ، وهو في مَثْوَاهُ في مَثوَى الزِّماعِ
يجذبُ الأحياءَ والأحياءُ حيرَى في نزاعِ !

* * *

وَحدتي إنْ كنتِ موتاً فوقَ سَنٍّ واشتراعِ
فلقد جدَّدتِ عُمري بعد عُمري المستطاعِ
إنّ أقسى الموتِ في صُحبةِ أحبابي الجياعِ !

## نشيد النيروز

عَيِّدِي يا غُصُونْ    وافْــــرَحِي مِثْلَنا
قد حواكِ السكونْ    في جلالِ الغِنَى !
يا عَوَالي النَّخيلْ    في شُمُوخِ الطهارَةْ    والثَّبَاتِ والحياةِ
لكِ عِيدٌ نبيلْ    هو عيدُ الحضارَةْ    عيدُ ماضٍ عيدُ آتٍ !
راح عامٌ كريمْ    وأتى غيـــرُهُ
هو مَجْدٌ مُقيمْ    بيننــا سِرُّهُ !
مَجْدُ مصر القديمْ    وهو كَنْزٌ ثمينْ    للحيــاةِ المُعَادَةْ
كم له في النَّسيمْ    مِنْ هَوًى أو حنينْ    وهو يُحْيِي بلادَهْ !
راحَ عامٌ كريمْ    وأتى غيـــرُهُ
هو مَجْدٌ مُقيمْ    بيننــا سِرُّهُ !
أقبلَ النَّيروزْ    وهو بُشْرَى الجديدْ    هاتفــاً بالربيعِ
هو عِيدٌ عزيزْ    هو عيدُ السَّعيدْ    كالمليكِ الوديعِ !
راحَ عامٌ كريمْ    وأتى غيـــرُهُ
هو مَجْدٌ مُقيمْ    بيننــا سِرُّهُ !
فَلْنُهَنِّ النَّخيلْ    بابتهاجِ القرونْ    في احتفاءٍ واعتلاءِ
كلُّ مَعْنًى نبيلْ    رَمْزُهُ أن يهونْ    بين أهلٍ أُمَناءِ !
عَيِّدي يا غُصونْ    وافْرَحي مثلنــا
قد حَواكِ السكونْ    في جَلالِ الغنى !

## النار والجنة

أنا نارٌ وأنتِ جَنَّةُ رُوحي    خلَقَ الحُبُّ بيننا المستحيلا
أَطفئيني إذا أردتِ ، فحُلمي    أنْ تحولَ الحياةُ طيفاً جميلا

جنةٌ أنتِ قد وعتْ مِنْ لهيبي ... شعلاً زادها في تقبيلا
كلما ضمّنا وصالٌ نسينا ... حُرْقتي حُبّنا وعِفْنا الدليلا
أتلاشى لديكِ حلماً نبيلاً ... وتعودين لي رجاءً نبيلا

* * *

أنا نارٌ وأنتِ جنةُ روحي ... خلقَ الحبُّ بيننا المستحيلا !

## ألحان الحياة

أزهاري الحيرى تناجي الحياةْ ... كما أناجي في صلاتي الإلهْ
هل أنتِ في شوْقي وفي لوْعتي ... أمْ أنتِ قلبي وحدَه في هواهْ ؟
تُصْغين إذ أصغي الى فاتني ... كأنما العُودُ بشيرُ الحياةْ
حسّاسةٌ أنتِ وما صوتُه ... الا غِنى الحسِّ وأحلى لُغاهْ
غُذّيتِ بالصوْتِ ومِنْ قبْلِه ... غُذّيتِ بالحسنِ غِذاءَ الدُّهاةْ
واللحنُ كالاكسيرِ في وقْعِهِ ... قد يحفظُ الزهرَ ويُنْمي صِباهْ
صداهُ في الزهرِ نماءٌ له ... في حينِ للشمِّ شذاهُ صداهْ
كأنما العُودُ رسولُ الهوى ... إنْ باحَ، واللحنُ حنانُ الشفاهْ
النورُ ربّاكِ بتحنانِهِ ... والأرضُ والجوُّ بما أودعاهُ
والحسنُ بالحبِّ وألحانِهِ ... أحياكِ للحبِّ معاني مُناهْ
كأنما دمعُ الندى دمعُهُ ... وحُمْرةُ اللونِ مرائي لظاهْ
إنْ تبسمي كنتِ له بسمةً ... وإنْ بكيتِ كان هذا بُكاهْ !

## أنشودة الهاجر

أيا حبيبي كفى بعادُكْ ... كفى صيامي على هواكْ !
وهل فؤادٌ له فؤادُكْ ... سوى فؤادي الذي افتداكْ ؟

أنا شهيدُ الهوى البريءْ ... فى شعلةِ الحبِّ مُنتهاىْ
فإنما حُسْنُكَ الوضىءْ ... المُشعِلُ النارَ فى حشاىْ
كم أشربُ الخمرَ مِنْ عيونِكْ ... ومِنْ جنى خدِّكَ الوسيمْ
فإنها مُشتهى فنونِكْ ... ومنتهى الخلدِ والجحيمْ
واجتنى ! ثغرَكَ المحلَّى ... فأجتنى الحبَّ والجمالْ
هجرتَنى الآنَ واستحلا ... لىَ الفناءَ الذى استطالْ
ما بينَ شوقى ولوعتى ... وفى جنونى مِن البعادْ
أستودعُ الآنَ مهجتى ... وكيف أحيا بلا فؤادْ ؟ !

## سيف دامقليس

أينصبُ سيفَ دامقليس عمداً ... أسيرٌ فوقَهُ سيفٌ تراءى ؟ !
لمنْ هذى السُّيوفُ وكلُّ سيفٍ ... يُهدِّدُنا ويُشبعنا عداءَ ؟
أهذا ما يُزيِّنُهُ التآخى ؟ ! ... إذنْ بئسَ الذى مدحَ الإخاءَ ؟
خدعتمْ بعضُكم بعضاً بحربٍ ... منوَّعةٍ وتنتظمُ الفناءَ !
اذا كانتْ سلاماً أو سكوناً ... فبعضُ السلمِ نغَّصنا رياءَ !
ومَنْ ضحَّى أخاه لكى يعلَّى ... وما يعلو ، فما يدرى الحياءَ !
ولكنْ كلُّ ما يدرى التَّدنِّى ... وقد فقدَ الأخوَّةَ والرجاءَ !

## كأسى الظمأ

أنتِ قدسيَّةُ الشبابْ ... فى الاغانى وفى القبلْ
قد عرفنا بِكِ العذابْ ... وعرفنا بكِ الأملْ
طائرٌ بل فراشةٌ ... عمرُها ما لهُ حسابْ
هي نورٌ وشعلةٌ ... تتهادَى مع الشبابْ

حُلُمٌ طافَ حولَنا ... نسجَتْهُ يدُ الربيعْ
مَنْ تراءى له اعتنى ... مِنْ حُبورٍ ومِنْ دُمُوعْ
عَبَقُ الحُسنِ والهوى ... ذِكْرُكِ المُزهرُ النَّدِي
ذُقْتُ مِنْ نارِه الظما ... بينما الكأسُ في يدي
مِنْ فُنونٍ ومن فُتونْ ... أشربُ الوهمَ والجنونْ
كلُّهُ سائغٌ حَنُونْ ... مِنْ نَدَى هذه العيونْ!

## موسيقى العدم

أنا ماضٍ في سبيلِ الموتِ، زادِي ... ما شجَا وَهْمِي وحِسِّي مِنْ نَغَمْ
يَمْلأُ الجوَّ حنانٌ غيرُ بادِي ... يَمْلأُ الرُّوحَ بموسيقى العَدَمْ
ذلك اللَّحْنُ أنا أسمعُهُ ... حينما غيري غريبٌ عنه ساهِي
هو يحدُوني كما أتبعُهُ ... في شِفاءٍ مِنْ عذابي المتناهِي
أيُّها العازفُ فوقَ السُّحْبِ لي ... طائراً أو راكباً متْنَ السَّحابِ
سَئِمَتْ نفْسي فليستْ تجْتلِي ... غيرَ ما تُوحِي لأطيافِ الضَّبابِ
كم سلامٍ، كم نعيمٍ، كم حياةْ ... كم غِنًى في كلِّ ما يُزجيهِ لحنُكْ
أنَّةُ النَّايِ كتقبيلِ الشفاهْ ... وبكاءُ العودِ قد واساهُ فنُّكْ
أيُّ موتٍ ذاكَ تحْدُوني إليهِ ... مثلما يحْدُو هوى الطفلِ أخاهْ
هاتفاً حيناً عليَّ وعليهِ ... فإذا الموتُ طريقٌ للنَّجاهْ!

## ملك العصاة

( الى زعيم الثورة الدرزية سلطان باشا الاطرش )

مَلِكَ العُصاةِ مُشرَّداً وطريدا ... صَيَّرْتَ ذكرَكَ في المناحةِ عيدا
ما ضرَّ قدرَكَ أن تعيشَ بوحدةٍ ... فمن الزعامةِ أن تعيشَ وحيدا
اليومَ أشربُ نخْبَ ذِكْرِكَ بينما ... ألقاكَ أقربَ مَنْ يُخالُ بعيدا!

مَنْ لي بمثلكَ في بلادي بعدَ ما ... أضحى وفاءُ الأقربين بعيدا !
الفارسُ المغوارُ يضمدُ جُرحَهُ ... بيديهِ مرتقباً سواه جديدا !
ويشقُّ في جيشِ العدوِّ طريقَه ... ويعودُ مخضوبَ اليدينِ سعيدا
ويُعلّمُ الأبطالَ صدقَ بطولةٍ ... والحربُ تعزفُ للمهيبِ نشيدا
يمشي على الأهوالِ مشيةَ فاتحٍ ... رجمتْه ساخطةً لظًى وحديدا
لم يدّرعْ الا الإباءَ ، وما بكى ... يوماً فقيداً لن يموتَ فقيدا
جعلَ الضحيةَ نفسَه لا غيرَه ... فاذا المنيةُ تتّقيهِ عنيدا
وإذا به بطلُ المعاركِ كلّها ... متغلّباً أو عاجزاً وطريدا !
خُلُقُ الكماةِ الفاتحين بصوتِهم ... والخُلُقُ يخلقُ وحدَه الصنديدا

* * *

عِشْ يا أبا الأحرارِ في حُرّيةٍ ... الدُّنى مجّدَ شأوَها تمجيدا
حَرداً بلا زادٍ ، ولا مالٍ ، ولا ... جُنْدٍ سوى مجدٍ يُشعُّ تأبيدا
عِشْ مثلَ آمالِ الحياةِ تحجّبتْ ... لتعودَ صُبْحاً للحياةِ أكيدا
تحيا على أحلامِها في ظُلمةٍ ... حتى تلوحَ أشعّةً وقصيدا !

مصور البحر

( رثاء الفنان هارُلْد فاراوى الذى تملّكه الهمُّ لبيعه مضطراً صُوَرَه الفنيـة التى رسم فيها البحرَ ، ثم استردَّ عزاءه لمّا علم بغرق الباخرة ألباتروس التى كانت تقلُّها ، ثم نال منه الحزنُ العميقُ غايتَه لمّا علم بأن البحر لفظ الصندوقَ الحاوى تلك الصُّوَر دون أن تُمسَّ بأذى ، فتخيل أن البحر لم يُقدّر فنّه الكشّاف لأسراره وانَّ « النور الأسمى » ازدراه . . . فانتحر يأساً وحُزناً )

* * *

ماذا نقمتَ مِنَ الوُجُودِ الفاني ... يا مُعجزاً للفنِّ والفنّانِ ؟

يا خاطفَ السرِّ العميقِ برسمهِ    للبحرِ في تصويرِهِ الفتّانِ
لم أحفلِ الأ؟ بالقليلِ أظلّه    فاذا بهِ والبحرِ يلتقيانِ
صُوَرٌ باحساسِ الخلودِ تألّقتْ    وبها لألوانِ الفنونِ معانى
الموجُ فيها خافقٌ متوثّبٌ    حَىٌّ ، وخلفَ الموجِ موجٌ ثانِ
رُوحانِ مِنْ رسمٍ يلوحُ وآخرٍ    خافٍ وغيرِهما اليه رَوانِ
فكأنَّ هذا الرسمَ دُنْيا ما لها    حَدٌّ مِنَ التّبيانِ والإحسانِ
غلبَتْ شعورَ الملهَمينَ وعبّرتْ    عَنْ كلِّ إحساسٍ بكلِّ لسانِ
فنحسُّ بالصفوِ الرُّخاءِ (١) حيالنا    آناً ، وبالإعصارِ والثورانِ
والأفقُ مبتسمٌ يفيضُ بشاشةً    حيناً ، وحيناً ساخطُ النيرانِ
والموجُ مِن أجنادِه متدافعٌ    للحربِ بين لظًى وبين طِعانِ
وسواه يغلبُه العناقُ كأنّهُ    خِلّانِ في التوديعِ يعتنقانِ
ونَرى رذاذَ الماءِ يلمسُ بالرُّؤى    والعينِ لم تَمْدُدْ اليه يدانِ
ونكادُ نلمحُ فوقَه أو تحته    مِن راقصاتِ البحرِ سربَ غوانى
الآخذاتِ من المياهِ خيوطَها    والجارياتِ بها على الشُّطآنِ
والضاحكاتِ اللاعباتِ أمامنا    وكأنّها في اليأسِ وهمُ أمانى
خُلِقَتْ بروحِ البحرِ فهي جريئةٌ    هزأتْ بتيهِ المدلجِ (٢) الحيرانِ
ودَعَتْ وصاحتْ والمياهُ حيالها    ما بين صخبٍ تارةً وأغانى
صُوَرُ الحياة كأنها صُوَرُ الرّدَى    تبدو كمزجِ مخافةٍ وأمانِ
ونُطِلُّ في المعنى العظيمِ بكنهِها    فنعودُ بالإمتاعِ والحرمانِ

* * *

أمصوّرَ البحرِ الخضمِّ كأنّه    حَبسَ الشعاعَ برسمِهِ النّوراني

---

(١) الرخاء الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً. (٢) المدلج (لغة) : السار بالليل، وهنا بمعنى الضال.

والفاتحَ الغازي مَكامنَ سرّه ... بالحبّ والالهام والايمانِ
والخاطفَ العبراتِ مِنْ قطراتهِ ... والكاشفَ الآياتِ فى الألوانْ
والمستقلَّ بروحهِ وبجوّهِ ... ببصيرةٍ عزّتْ على الأقرانِ
والعاشقَ الجولاتِ فى أنحائه ... وكأنّه فى روحه متفانِ
فتحُ الفنون شجاعةٌ علويّةٌ ... فوقَ ادّراع شجاعة الفرسانِ
والبحرُ ينقشُه كمِيٌّ رائدٌ ... كالبحرِ يركبُه العظيمُ الشان
ميدانُ كلِّ بسالةٍ عذريةٍ ... والفتحُ لم يُخلق لعجزِ جبانِ
أغليتَ صُنعك فوق كلِّ مثمنٍ ... بالمالِ أو بنفائسِ التيجانِ
وعددته ذُخر الحياة كأنما ... أودعت فيه رسالة الرحمنِ
وأبيت إغواءَ الزّمان لبيعه ... وحسبتَهُ كنزاً لكلِّ زمانِ
حتى اذا اضطرتْك ما حكمت به ... دُنياك منْ بيعٍ ومنْ حرمانِ
ذُوّقتَ معنى الفقر بعد قناعةٍ ... وعرفت كيف خصاصةُ الانسانِ
وحقرتَ هذا المال فى يدك التى ... طرحتْه طرحَ اليمّ للادرانِ
وسهدت فى حزنٍ على حزنٍ على ... حزنٍ ، فصرت فريسة الاحزانِ
حتى علمت بفقد فنك ذاهباً ... للبحر كالأخوين يصطحبانِ
ففرحتَ فرحة من أغيث ولاؤه ... من بعد ما عاناه من كفرانِ
وفرضتَ أنّ البحر أغرق مركباً ... حملت نفائسه بلا استئذانِ
هى ملكُ جنّياته لا مِلكُ منْ ... عاداه فى الانسان أو فى الجانِ
أخذت من الوطن العميق وعوْدُها ... حتّىّ الى الأعماق والاوطانِ
غاصتْ اليها مثلما أحرزتها ... بالغوص بين الدُّرّ والمرجانِ

* * *

البحرُ ثابَ فردَّ بَعْدُ وَفاؤُه ... هذى الوديعة فى أعزّ صيانِ
لحزنتَ أقْسَى الحُزْنِ ، ما لعزائهِ ... سببٌ ، كحزنِ الثاكلِ اللهفانِ

وعَـدَدْتَ ردَّ البحرِ ما استودعتَهُ ... بُوالِـكَ أشجى الرُّزءِ والخُسرانِ

وكأنمـا هو ساخرٌ بأعزِّ ما ... أبدعت أو ألهمت من اتقانِ

قد كنت تحسبهُ الغيور فصان ما ... أعلنتَهُ بتهافتِ الغـيرانِ

قبسٌ من الديَّان عاد لأصلهِ ... فالبحرُ كان مثابة الديَّانِ

والآن هذا اليمُّ يلفظهُ بلا ... عُذرٍ كأنَّ اليمَّ منه يُعانى

فرأيت فى هذا الهوان ولم تُطق ... للفنِّ عيشاً فى عذاب هوانِ

وأبيت الاَّ أن تموت ، وهكذا ... بالموت يثأرُ ناقمٌ ومُعانى

* * *

قالوا : جُنونُ الفنِّ ! قلتُ أجلَّنا ... خطراً وذا المجنونُ يستويانِ

ذاقَ المصاب بفقده أحبابهُ ... فالبُعْـدُ أوانٌ من الفُـقدانِ

ورأى الطبيعة سُخرياتٍ كلَّها ... فى حين أعطاها أعزَّ مكانِ

وكأنها سكنتْ وما خفقتْ له ... وفؤادُهُ يشق من الخفقانِ

فأراح مُهجته وحيرتهُ ، وهل ... غيرُ الفناء إراحةُ الحيرانِ ؟

الآنَ أستوحى المياهَ أنينَها ... وأبثُّ لوعتَهـا شجىَّ بيـانى

أنا شاعرُ الموج الذى هو غامرٌ ... هـذى الحياةَ وهادمٌ انسانى

فاذا رثيتُكَ فالرثاءُ لمهجتى ... وإذا بكيتُكَ فالحنانُ بكانى

ضاقتْ بكَ الدُّنيا وضقتُ برحبها ... فاذا نُسِيتَ فلستَ فى نسيانى

وأنا أرى دمَكَ الزكىَّ بحرقةٍ ... للأفقِ فى هـذا الغروبِ القانى

وأرى زفيرك فى العواصفِ كلّها ... هبَّتْ على البحرِ العـزيز الجانى

وأرى حنانك فى توثُّبِ موْجهِ ... أبداً ومِـلءَ تجاوُبى وحنانى

ستعيشُ ما عاشت خواطرُ شاعرٍ ... أو عازفٍ أو ناقشٍ فنَّانِ

إنْ كانَ للأمواتِ أوَّلَ هادمٍ ... فالفنُّ للاحياءِ أولُ بانى

( الينبوع ) موسى في اليمّ ( مطبعة التعاون )

## موسى فى اليمّ

أنقذته من شاطئ اليمّ ، واليمّ حريصٌ عليه حِرْصَ الأبوّة
بنتُ فرعونَ فى رعايةِ خلاّقٍ يُراعى بالحُبّ رُوحَ النبوّة
أنقذته فى سَلّةٍ وضعته فى حِماها وفى حِمى العُشْبِ أمُّه
إنّ عدلَ الأقدارِ أن يمنحَ المظلومَ عدلاً بل مُنتهى العدلِ خَصْمُه
كلّلَ اللوتسُ النقىُّ جبيناً مثلما كلّلَ القميصُ قواما
رمزاً بالبياضِ للطُّهْرِ ، والطهرُ عريقٌ بنفسها إلهاما
وبدا الجوُّ فى حنانٍ غريبٍ بين نُورٍ وصبغةٍ وابتسامِ
وبدا العُشْبُ فى اخضرارٍ حَبيبٍ كانتعاشِ الرجاءِ عند السلامِ
وتلوحُ النخيلُ منفرداتٍ فى مِثالِ الهياكلِ المنثورهْ
وكذاكَ الأتباعُ حاكوا التماثيلَ خشوعاً وروعةً مستورهْ
وتراءى النيلُ الوفىُّ بلألاءٍ رشيقٍ وساكنُ الشطّ ساجى
فهو فرحانُ بالوليدِ ولكنْ ذلك الشطُّ مُنذِرٌ لا يُداجى
فرحةٌ ثمّ فى ارتيابٍ وخوفٍ وضياءٍ بظلمةٍ فى ثباتِ
هكذا جانبَ المنيةَ ( موسى ) وهو طفلٌ مشرّدٌ فى المهاتِ
لَعِبَتْ دَوْرَها المقاديرُ حتى خلقتْ حولَهُ مِنَ الرَّوْعِ أمْنا
إنّ لهوَ المقاديرِ والحظّ فنّانٌ جرىءٌ ، وكم حبا الشعرَ فنّا !

## النساء الغلمان

أَسَفِى على هذا الجمالِ مُزَيّفاً أ كذا الحِسانُ تُعَدُّ فى الغِلمانِ ؟
أين الأنوثةُ ؟ أينَ أينَ دلالُها وحنانُها بحديثها الفتّانِ ؟
لا كان قَصُّ الشَّعْرِ إنْ ضحّى لنا حُلْوَ الشُّعُورِ وعطفَكِ الرُّوحانى
أعرفتِ يا مَنْ جِنْسُها شرفٌ لها مجداً ولستِ له الأصيلَ الباقى ؟

لم ألقَ فى دُنيا العظائمِ حادثاً ... لم تَرْعَهُ لكِ بالخشوعِ يدانِ
وكأنما كنزُ الحياةِ وسِرُّها ... فى حُسْنِكِ المطبوعِ والفنّانِ
فاذا عَبِثتِ به عبثتِ بحظّنا ... وبغايةِ الفنّانِ من احسانِ
واذا رَعيتِ جلالَهُ وكمالَهُ ... خلّدتِ سُلطاناً على سُلطانِ

## الشرر

هنيئاً لكم بجنانِ الحياةِ ... وأهلاً بنيرانها تستعِرْ !
سأحيا بها وَهَجاً من ضياءٍ ... وأفنى بها رُجُماً من شَرَرْ
وأشربُ من كأسِ هذا اللهيبِ ... وأضحكُ مِنْ ضحكةٍ للقَدَرْ !
وما النّارُ الاّ شرابُ الحياةِ ... فأرضعتُ الدهرَ حتى ابتدرْ
أعيشُ كما تسبحُ النيِّراتُ ... بهذا الأثيرِ بعيدَ الأثرْ
أجوبُ الوجودَ ولى مُهجةٌ ... تُعادى الأمانَ وتهوى الخطرْ
تَئنُّ ولكنْ أنينَ اللهيبِ ... اذا هو أوشكَ أن ينفجرْ !
وأعتنقُ الحبَّ دينَ الحياةِ ... ودينَ المماتِ الذى لا يَذَرْ
يرفُّ علىَّ بأمواجهِ ... رفيفَ النسائمِ فوقَ الزَّهَرْ
ويُشبِعُ لى لهفةً لا تنامُ ... وإشباعُها نَهَمٌ ما استقرّ
فأمرحُ بين اللّظى والشعاعِ ... كما يَمرحُ الموتُ ملءَ الشررْ !

## فروسية المرأة

غبَنوكِ حتى لم يَعُدْ لكِ بينهم ... شأنٌ سوى شأنِ المتاعِ الفانى
وكأنما لم تخلق أحلامُهم ... وسعادةَ الانسانِ بالانسانِ
ورضيتِ غبنَكِ فى خضوعكِ تارةً ... أو فى التوسّلِ بالشذوذِ الجانى
فتدفّقى يا نبعَ آمالِ الورى ... بحنانكِ المُزْرى بكلِّ حنانِ

وتجمّلي بإبائكِ العاتي الذي ... يَفْتَرُّ عن فنٍّ وعن إيمانِ
ودعي لشاعركِ الوفيّ غرامَه ... بجمالكِ الرُّوحيّ والجثماني
حتى يرتّلَ للخلودِ بيانَهُ ... وروائعَ الفنّانِ للفنّانِ
ويُصانَ حسنُكِ عن غباوةِ عالَمٍ ... لاهٍ عن الحسنِ العظيمِ الباني
ويُنارَ في تقديسهِ آياتِهِ ... فيتوبَ عن عبثٍ وعن كفرانِ

* * *

مَنْ ذا يجلك ثم يُحسَبُ وصفُه ... لكِ غيرَ تقديسٍ وغيرَ تفانِ؟
ولكم يصيحُ العُمْيُ باسمكِ بينما ... هم ينعمون بظلمةِ العميانِ
نعتوا الإباحيَّ الأثيمَ تفنُّني ... في الوصفِ عن صدقٍ وعن احسانِ
والصدقُ لونٌ مِن عبادةِ مهجتي ... وعبادتي شتّى مِن الألوانِ

## الحلمة الحائرة

راحَ يَسْعَى طالباً مِنْ كلِّ شيءْ ... قبسَ الحكمةِ أو بأسَ العتيّْ
راحَ يسعى دائباً في فرحةٍ ... وهو كالمعتزّ في نصرِ الكميّْ
جاهداً حتى اذا أوفى على ... غايةِ الحكمةِ والجدِ الأبيّْ
صار لا يغبط الاّ جاهلاً ... أو غبياً يفهم الكونَ الغبيّْ!

## الأوراق الميتة

تزعزعَ روضي يوم حان ربيعُهُ ... ولكنْ مِن الأوراق ما سقطتْ رغما
وما كلُّ نبتٍ مُورقٌ عند ريِّه ... ويا رُبَّ نبتٍ كاد بالماء أن يظما
كذلك بعضُ الناس حين تصونُهُمْ ... وتنفحهُمْ ودّاً وتُشبعهم عِلْما
كأنْ خُلِقُوا للجدبِ في كلِّ حالةٍ ... فإنْ نُقِلوا للخصبِ زادوا به لُؤْما
وما أنا مَنْ يأسى على فقدِ جُهدِه ... فمِن عثراتِ الفهمِ نستكملُ الفهما

تكشّفَ روضى عن غصون مريضةٍ ... وهل كان يرضاها سوى البصرِ الأعمى؟
لقد سُقطتْ أوراقُها مِنْ سقامِها ... كما يقعُ المرْضَى فرائسَ للحمَّى
فطهَّرتُ روْضى من كريهِ أبوّةٍ ... وأعلمتُ نفسى أن تكونَ لها أمَّا
وما كلُّ سُقْمٍ ذاهبٌ منْ رعايةٍ ... فان سقيم العطف قد يُورثُ السُّقما
ألا فليغنَّ الشامتون فانى ... أعيش بدنيا لن تبادلهم ذمَّا
حوتْ مُثُلَ العليا لنفسٍ أبيّةٍ ... فمن خانها لاقى الدنيـة والوهما
ومَن شاء أن يهوِى الى التربِ لم يكن ... بأهلٍ لن يلقَى لمحمدةٍ طعْما
وفى الناس مَن يحيا نضيراً على المدى ... وآخرُ ترعاه فتستشعرُ اليُتما
ومَنْ قال إنّ النفس والجسمَ واحدٌ ... ففى وهمهِ لم يفقهْ النفسَ والجسما

## المرسم

يا مَرسمَ الألوانِ والأضواء ... هلاّ ادّكرتَ خصاصةَ الشُّعراءِ!
أرْصدْتَ للنَّهمِ المصوِّرِ بينما ... نحن الأحقُّ بأنفسٍ ومَرائى
الشِّعرُ أحوجُ للمثالِ معزِّزاً ... مَعناه أو مَبْناهُ فى الأحياء
عيناىَ فى ظمأٍ اليكَ ومُهجتى ... ظمآنةٌ كتخيُّلى ورجائى
مَنْ لى بساعاتِ الخشوع طويلةً ... تُقْضى لديك مع الجميلِ النائى
فأعودُ أنقشُ باليراعةِ مؤمناً ... بالسحرِ والاعجازِ والايحاءِ ؟
هذى الأشعةُ والظلالُ جميعُها ... صُوَرُ الفنونِ تدثَّرتْ برداء
والشاعرُ الكشّافُ ينفذُ خلفَها ... فيرى الجمالَ بروحهِ الوضّاءِ
لا خيرَ فى شعرٍ اذا هو لم يكنْ ... مِنْ هذه الألوانِ والأضواءِ !
أرنو الى الحسنِ الأصيلِ كأنى ... أستوعبُ الدنيا بعين الرائى
فاذا حُرِمْتُ فأيُّ دنيا مثله ... للشعرِ فى الأطياف والأصداءِ ؟

* * *

يا مَرسَمَ الالوانِ والأضواءِ ... هلاّ ادّكرتَ خصاصةَ الشعراءِ ؟

## حلم الفراشة

تطيرُ الى الزَّهْرِ في خِفَّةٍ    لتمتصَّ منه الرحيقَ الشهيّ
وما تتمنى سوى زهرةٍ    تبادلُها لونَها القرمزيّ
تحومُ عليها وتنشقُ منها    جميلَ الشذَى . فالشذى نفسُها
وتأبى التحوّلَ في النورِ عنها    فاحساسُ زهرتِها حِسُّها
كأنّا بزهرتِها أصبحتْ    فراشتَنا الحلوةَ العاثرةْ
وتلك الفراشة حين انتشتْ    على النورِ زهرتَها الطائرةْ
تبادلتَا ما لكلتيهما    مِن الحظِّ والصورة الفاتنهْ
فصانَ التبادُلُ نفسيهما    وعاشا به عيشةً آمنهْ !

* * *

كذلك تحلمُ في طهرِها    فراشتُنا الحُرَّةُ الباسمهْ
فدعْها تغازلُ في وَهمِها    خيالاتِ ساعاتِها الحالمهْ !

## في السماء

كم دُعاءٍ وبكاءٍ ورجاءْ    بعضُها بالبعضِ في الجوِّ اصطدمْ
قد تناهتْ في أثيِّ الكهرباءْ    وتلاشتْ في وجُودٍ كالعدَمْ !

* * *

مجمعُ الأضدادِ ، كم مَعنًى بهِ    مُضحِكٌ والحزنُ المُشجي أخوهْ
كلُّ معنًى تائهٌ في سِربهِ    كلُّ معنى ليس يدري مَنْ ذووهْ !

* * *

تعجزُ الاربابُ عن حَلٍّ لها    فهي ألغازٌ بنُعمى ونِقَمْ
أيُّ ربٍّ لو يُلبّي سُؤلَها    يُنصف الأحياءَ أو يَنفي الالمْ ؟

* * *

هي فوضى من أعاجيب الحياة ... بين أنفاس ضعاف ثائرة

أبرياء الناس فيها والجناة ... جمعتهم داعيات الآخرة

* * *

أي قاض باسم عدل يستطيع ... حكمه في رغبة الخلق السواء ؟

أي عدل إن مشى بين الجميع ... يعرف الجاني ويدري الأبرياء ؟

* * *

هذه أنفاسنا قد حملت ... ما حوت أجواء هاتيك السماء

كم نفوس حكمت أو ذللت ... وزعت أنفاسها ملء الهواء !

* * *

هكذا الماضي بما فيه لنا ... ذكريات وغذاء وهواء

انما الماضي ومستقبلنا ... أخوا الحاضر أو كالرفقاء !

## ذباب الصيف

هجم الذباب كأنما ثأر له ... هذا الهجوم بغضبة متطايرة

ما باله مثل الهموم تتابعت ... أو كالرشاش من الجيوش الكاسرة

نفنيه ، لكن لا يزال وفوده ... فكأنما يحيا ببعث الآخرة !

## العناكب

حاكت مصائدها وما غفلت بها ... لكنها عرفت ضلالة صيدها

سكنت الى حيل الدهاء بنسجها ... فاذا الضحية خودعت في زهدها

كم من رجاحة مبصر في ضعفه ... غلبت نزاقة أكمه من جندها

الدهر أستاذ الدهاء فمن يعش ... غِرّاً بدنياه تميته كمعدها

## المتمنية

لمن تسوقين منكِ أمنيةً ؟     أدنَى أمانيكِ بات أقصاها !
لم يَقبلْ الدهرُ ذُلَّ غانيةٍ     الاَّ وقد عاف حُلوَ مَرآها
لا خيرَ فى مُقبِلٍ وقد فضحتْ     دُنياكِ عن منتهى نواياها
لا تُخْدَعِى بالرجاء واقتصدِى     فقلبُ دُنياكِ مِنْ ضحاياها !
ماتت ومُتنا نحنُ مِيتَتَها     فمن عجيبٍ رجاءُ مَوتاها !

## الثمن المرفوع

وذى غَدرٍ يودُّ خداعَ حِلمى     وبَعْدَ الغَدْرِ يدعونى صديقا !
فقلتُ له : خَسِئتَ ! أبعدَ شتمى     وإيذائى تضللنى الطريقا ؟ !
دفعتُ جميعَه ثمناً لبُعدى     عن الغدرِ الذى طعنَ الرفيقا
فكيف تُريدنى مِن بعدِ دفعى     أطيقُكَ أو أجدِّدُه مطيقا ؟ !

## طفلتى الشاعرة

أُولِعَتْ طفلتى ( هُدَى ) بالمعانى     فى جميع المُشاهَدات الحسانِ
فهى تُعْنَى بما حَوتْهُ الشِّفاهُ     كيف صاغ الجمالَ منها الالَهُ ؟
وهى تُعنى بالموج حُلواً صغيرًا     كصغارِ الأطفال حاكوا الهديرًا
وهى تُعنى بالزَّهرِ والعطرِ فيه     أين قد خبَّأتْهُ أيدى ذويهِ ؟
والنجومِ التى تُطِلُّ حيارَى     كيف تبدو وكيف تخفَى مرارًا ؟
والهلالِ الذى مع الليل ينمو     أتراعيه فى حِمَى الليلِ أمٌّ ؟
والنَّدَى والضَّبابِ من أىِّ نارٍ     طوَّقا الأرض هكذا بالبخارِ ؟
أتعبتْ ذهنَها الصغيرَ بكدٍّ     وأبوها بالفكرِ أتعسُ عَبْدِ
قلتُ : يا طفلتى وُقيتِ الخيالا     فهو يبنى ويهدمُ الآمالا
قد بحثنا الوجودَ لفظاً ومعنى     ورجعنا والكلُّ باكٍ مُعنَّى
وبلغنا بالشعرِ أرقَى السماء     ثمَّ عُدْنا بذلةِ الكبرياء !

## المنبر العادل

( رُفعت الى جلالة الملك فؤاد الأول لمناسبة عودته
الى عاصمة ملكه فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣ )

ضَجَّتْ لرحمتك البلادُ وأعولَتْ : أين العظيمُ المستبدُّ العادلُ ؟
أين ابنُ اسماعيل ؟ أين أبو النهى والحزمِ : مَنْ نعنو له ونقاتلُ ؟
مَنْ ذا سواك وهذه أَحْزابُها طاشتْ ، وكلٌّ فى المهازل غافلُ ؟
لم يبقَ غيرُ التاج مَوْئلَ خوْفِها وحماكَ لا يرجو سِواه الوائلُ
غَرِقتْ ببحرِ الحادثاتِ وحاولتْ تجدُ النجاةَ ، فأين أين الساحلُ ؟

* * *

مولاىَ ! تقصفُ بالمدافع فرحةٌ وتَهشُّ بالبِشرِ الوفىِّ منازلُ
والناسُ تهتفُ فى رجوعكَ سالماً ويُظِلُّهمْ أملٌ وحُبٌّ شاملُ
فاسمحْ لشعرى أن يردّدَ فرحةً أخرى يردّدها المروعُ الذاهلُ
فُتَيلَتْ[1] كموتى الرّيفِ لم يعبأ بهم أحدٌ ، ولم يخشَ القضاةَ القاتلُ
هو ذلك الفقرُ العميمُ ، ومثله ترعاه فى كنفِ الولاةِ مهازلُ
لو أنّ أهلَ الحكم هَبُّوا هبةً ليصانَ ما دِيسَ الكدودُ العائلُ
لكنهم قنعوا بما عهدوا فما عبأوا كأنّ الحادثاتِ مَهازلُ
لولا رعايتُك الأبيةُ لم يَقُمْ فى مصر صَرْحٌ مُشرِفٌ متطاولُ

* * *

أزجى الى العرشِ السنىِّ تَحلَّتى وأبثُّ عن قومى الذى أنا حاملُ
وأزفُّ تهنئةَ البلاد وإنْ تكنْ فى الموتِ يخفقُ تُرْبُها ويسائلُ
فرحتْ بعودتِك الوفىِّ لحبِّها والنَّدْبَ إنْ فَقِدَ الوفىُّ الباسلُ

---

(١) أى الفرحة

والعبقرىّ بكلّ جدبٍ نفحةٌ　　لذكائه ، وبكلّ خطبٍ صائلُ
خُذْ أنتَ بين يديك كلَّ زمامها　　ما كان غيرُكَ فى العظائم جائلُ
شُورى الحياة غدتْ شرورَ حياتنا　　والكلُّ فيها العاجزُ المتخاذلُ
ونرى الوزاراتِ الحصونَ كأنها　　للعابثين المفسدين معاقلُ
قد ذقتُ منها الاوعتين ، وربما　　يمتنُّ بالعبث المسيء الجاهلُ
هذى بيوتُ الداء يَفقرُ شعبنا　　منها ، ويهتبلُ (١) الغنىُّ الخاملُ
وتزينها الراياتُ لكنْ تحتها　　يلهو ويسحقنا ويجنى الباطلُ !

* * *

مولاىَ هذى مصرُ يُؤكل أهلُها　　بعضاً لبعضٍ ، والعُتُوُّ الكافلُ
ولديكَ أنتَ وما لغيركَ عدلُها　　فاصدعْ فأنتَ المستبدُّ العادلُ

## فى الأصفاد

أعود اليكم أنتمو أهلَ موطنى　　أهيبُ لعلّى أستثير جوابا
على أىِّ مجدٍ فُرقةٌ بعد فُرقةٍ　　أم المجد أن نلقى البلاد خرابا ؟!
يئستُ ولكنى على اليأس آملٌ　　وإنْ نلتُ منكم لعنةً وعذابا
أترضون هذا الذلَّ دستورَ عيشكم　　وتحيون للوهم العميم غِضابا
وقد بيع هذا التربُ غبناً وضلةً　　ولم تعدلوا فى الحالتين ترابا ؟!
اذا عُدَّتْ الأصفادُ زينةَ أهلها　　فلا بدعَ إن عدُّوا المهانَ غِلابا !

* * *

سخطتُ وهل لى غير ابناء موطنى　　لحبى وسخطى مُعقَلاً ومجابا ؟!
سخطتُ وهذا بائسٌ إثرَ بائسٍ　　تمرّغَ فى هذا الترابِ وغابا !

---

(١) يغتنم

لقد ملك الدنيا العريضةَ أمسهم … فما بالهم حالوا لَـقًى ويبابا ؟
أعنفهم تعنيفَ مَنْ روحُه لهم … ومن ذاق ما ذاقوا أذًى وعقابا
أرى الدهرَ يُملي كلَّ وعظٍ وحكمةٍ … عليهم فيأبون الصوابَ صوابا
ويحيون في أمنِ الجبانِ بذلةٍ … ولو عقلوا خاضوا المهاتَ عُبابا
هو السِّلمُ في نار المدافع والقنا … هو العيشَ أن نأبى الحياةَ كذابا
وأن نرغم الأعداء إرغامَ مؤمنٍ … يُغيث رقاباً أو يطير رقابا
وأن نملك الأرضَ التي نحن أهلُها … ونخلق من هذا السحاب قبابا
وإلا فما أخزى الحياةَ مهينةً … وأعقلنا أن لا نعيش كلابا
وأن نجعل النيرانَ سقياً لغرسها … ونبعث من هذا المصاب مصابا !

## رقصة على بركان

أجلْ ! هذه رقصةٌ للجنونِ … على حافةِ اللهبِ المستثارْ
سئمتم دعائي ، سئمتم حنيني … فماذا انتفعتم بغيرِ الدمارْ ؟!
اذا كنتُ أقسو عليكم فاني … أغارُ عليكم فداءً بنفسي
وكم مِنْ مُجاملةٍ محضُ جُبْنٍ … ويأسٍ ، ولمتُ لِجُبْنٍ ويأسِ
تركتم مواطنَكم للهلاكِ … وبركانُه قاذفٌ بالحُمَمْ
وصرتم الى رأسِهِ في عراكٍ … كأنَّ البطولةَ محضُ العَدَمْ !
وأين البطولةُ غيرُ الفداءِ … بأرواحكمْ لبناء الوطنْ ؟
فأمّا النزاعُ لغير انتهاءٍ … فعارٌ ، وعارٌ دوامُ الفتنْ
أترضون موتَ الحسام العنيفِ … ورقصتكم فوق هذا اللهبْ
وتأبون صدقَ الاخاء الشريفِ … لموطنكم وهو يَلقى العطبْ ؟!

## عباد الشمس

يا زَهْرُ عِشْ للنُّورِ والشمسِ
أنا ما حييتُ فِداهُما نفسى

شمسى وشمسُكَ ما لِنُورِهما
الاّ أمانى الرُّوحِ والحِسِّ

بَدَّدتُ ما بدَّدْتَ مِنْ شجَنٍ
وطرحتُ ما ألقيتَ من يأسِ

إنّا كِلانا للفناءِ ، فما
نُغنِي الذى يَبْكى على أمسِ !

* * *

ترنو اليها دائماً فرحاً
وتبوحُ بالخطراتِ فى همْسِ

ما أنتَ أوَّلَ مَنْ تتبَّعها
بالرُّوحِ فى أحلامِ مُلتمسِ

كم أمةٍ عبدَتْ مشارقَها
فاذا بها نَهْبٌ لدى الغلسِ

تهفو وتضحكُ أنتَ فى شغفٍ
والدهرُ فى تصميمِ مفترسِ

وأخوكَ قلبي فى تَطلعهِ
كتطلع المسجونِ من حبسِ

لا شيءَ الاّ الموتَ غايتُه
ويعيشُ مثلكَ عابدَ الشمسِ !

## الباكية

أبكيتُها فى لَهْفَةٍ والدُّمى
ترْنو اليها فى أسًى ساهمهْ

أبكيتُها لا عن مَدَى قسوةٍ
لكنَّها عن مُهجتى الرّاحمهْ

لم أُبكها الاّ وفى ظنها
أنى الأبُ القاسى وأنى الخصيمْ

ففارقتنى وهى فى همِّها
تستصحبُ النَّومَ بطرفٍ أليمْ

فبلّلتْ خدّاً كما بلَّلتْ
بالدَّمعِ خدَّ الدُّميةِ النائمهْ

يا ليتها قد أبصرتْ عبرتى
إذْ شِمْتُها فى نومها باسمهْ

كأنما البَسْمةُ من سُخْرِها
وهذه الدّميةُ لى عاذلهْ

ما هذه اللوعةُ من طفلتى
والبسمةُ السَّمْحَةُ والقاتلهْ ! !

## لطفية النادى

( تحية اول طائرة مصرية فى يوم فوزها )

يا يومُ أنت قرينُ أعيادِ  وسَناكَ خلفَ جمالِكَ البادِى
ما كلُّ يومٍ يُستَعزُّ به  ولرُبَّ يومٍ رمزُ عُبّادِ
قد كدتُ أيأسُ من بنى وطنى  فنقمتَ مِنْ يأسى وإلحادى
وأريتنى لفتاتِهِ مثلاً  يُحيِي الرجاءَ ويُلهِمُ الشادى
إنْ يَنْسَ فتيانُ الحِمَى زمناً  رُوحَ الفداءِ فروحُها الفادِى

* * *

أهلاً برائدةِ الهواءِ لنا !  أهلاً بها ( لطفية النادى ) !
سَبَقَتْ الى مَجْدٍ تُسجّلُهُ  والمجدُ مخلوقٌ لرُوّادِ
ذهبَتْ بكلِّ قيودِ غفلتنا  وسَمَتْ بِنُبْلِ شعورِها الهادى
طارتْ وعينُ النّسرِ فى خجلٍ  وكأنها طارت لآبادِ
وعيونُنا أسرى تُتابعُها  وترى الدقائقَ طولَ آمادِ
غزَتْ الهواءَ كغزوِ غفلتنا  وسَمَتْ على مَعْهُودِ أسدادِ
وتجولُ فى ميدانِهِ فرَحاً  فرحَ العزيزِ بفخرِ أشهادِ
والشمسُ تُرسِلُ مِنْ أشعّتِها  جَيْشَيْنِ مِنْ خافٍ ومِنْ بادِ
حرساً لها ولنا تطلُّعُها  فكأنها حِيطَتْ بأجنادِ
وكأنها رمزٌ لأُمّتِها  فى حُلمِها وضراعةُ الوادى

* * *

يا بنتَ مصر أرى بطولتَها  مثّلتِها ألقاً لمرتادِ
عدَتْكِ آثارٌ لها شمختْ  كالوحى مِن دعواتِ أجدادِ

لطفية النادى

لبثوا قروناً في مقابرهم يترقّبون نهوضَ أحفادِ
ناموا فما نامتْ رسالتُهم وكأنها طارتْ بميعادِ
فاذا هتفنا اليومَ من فرحٍ فهتافُنا من أمسنا الصادي !

## الوفاء الذبيح

( الى الصاحب الغادر )

مدحْتُ ما مدحْتُ لكنْ هيهات أن أنظمَ الهجاءَ
يسرُّني ما مدحتُ يوماً لا ذمُّ خِلي اذا أساءَ
سأحفظُ الذكرياتِ شدْواً يُزيّنُ الشعرَ والغِناءَ
وكلما لم أجدْ وفاءً أو كلما زدتَني عداءَ
رجعتُ أستنشقُ الأماني في مدحيَ المُزدهي ولاءَ
وعشْتُ في الذكرياتِ أبكي وليتني أرتوي بُكاءً !

* * *

قد بعتني غادراً ولكنْ ما نِلتَ مِنْ بيعتي ثراءَ
بل زدتَ فقراً وأيُّ فقرٍ فأنتَ مَنْ بدَّدَ الاخاءَ
رضيتُ واللهِ أنْ تُفدَّى لو كنتَ مَنْ ينشدُ الفداءَ
لا الختلَ إذْ تزدهي جُحوداً بالودِّ أو تزدهي رياءَ
وكلُّ ذنبٍ يهونُ لكنْ لا ذنبُ مَنْ يذْبحُ الوفاءَ
ومَن يُجازي بكلِّ كيدٍ مَنْ يشتهي الناسَ أصدقاءَ !

* * *

تواضُعي ذُقتَهُ طويلاً فهاكهُ الآنَ كبرياءَ !

( الينبوع )　　عذراء بختن　　( مطبعة التعاون )

## عذراء بختن

The Maiden of Bekhten

ذاك (رمسيسُ) والوُفودُ حواليْهِ بأشهى الحُلِيّ والعِبْدانِ
والأغانى تسيلُ فى لهفِ العيدانِ حيناً وفى حنينِ الغوانى
زِنَّ منه اليمينَ فى جلسةِ الفنِّ كما زانَ مطمحَ الفنّانِ
وعيونُ الاتباعِ فى شرفِ المُلكِ تباهوْا بين الهدايا الحِسانِ
وضخامُ المراوحِ الجمّةِ الوشى تزفُّ النسيمَ قبلَ الأوانِ
ونقوشُ البهوِ البهيّةُ ألوانٌ تحاكى الربيعَ فى الطيلسانِ
والهدايا تختالُ مِنْ كلِّ رُكنٍ يتسامى وكلِّ رُكنٍ يُدانى
والمليكُ العزيزُ ينظرُها شَزْراً وإنْ حمِّلَتْ فنونَ المعانى
ما يُبالى بها وإنْ أكبرتْها تحفٌ للجمالِ مِلءَ الزّمانِ
حِينَ حكامُه تفانَوْا بما أهْدَوْا وجازُوا به حُدُودَ التّفانى
ثم لاحتْ (عذراءُ بختنَ) فى الشفِّ فكانت حُوريّةَ المهرجانِ
هى أشهَى ما يستطيعُ أبوها مِنْ هدايا تبُزُّ سِحرَ البيانِ
فتخلّى رمسيسُ عن عرشِهِ الفخمِ اليها والعرشُ فى الزهوِ رانِ
جذبتْهُ الى صِباها وكانتْ آيةَ المُلْكِ والمُنَى فى ثوانِ!
جَلَّ مجدُ الجمالِ، فالمجدُ فى الدنيا فناءٌ ومجدُه غيرُ فانِ
ورموزُ الأربابِ شتّى ولكنْ هو رمزُ الموحّدِ الديّانِ!

## الدهر الساخر

سمعنا صياحَ الدّهرِ فى الرّعْدِ ساخراً بأبنائِه والدّهرُ يُوغِلُ فى السُّخرِ
لقد جعلَ الزنديقَ فى الناسِ مُؤْمِناً كما جعلَ الايمانَ لوناً من الكفرِ
وبدّلَ مِنْ مقياسِ كلِّ حقيقةٍ وتوّجَ إحسانَ البريّةِ بالغدرِ

وما فاهَ الا ّ الخؤون بحكمةٍ ويا ما أقلَّ الوعظَ والصدقَ للدَّهر [١]:
« لئنْ كانت الدنيـا أفادتكَ ثروةً فأصبحتَ منها بعدَ عُسْرٍ أخا يُسْرِ
لقد كشفَ الاثراءُ منك خلائقاً من اللؤمِ كانت تحت ثوبٍ من الفقرِ »

## بائع الأحلام

جمَّعْتُ أحلامى ورُحتُ منادياً : هـل مُشْتَرٍ يهفو الى أحلامى ؟
فتضاحكتْ حولى الطبيعةُ حُلوةً كالأمِّ عاطفةً على إلهامى
أنا بائعُ الأحلامِ شتَّى ، كلُّها عَجَبٌ مِنَ الأضواءِ والأنغامِ
لم أجْنِها يوماً بفضلِ مُعَلِّمٍ الا ّ الأسى وهوًى فؤادى الدامى
لَعِبُ الخيالِ ، وكم بها مِنْ مَظهرٍ يستجمعُ السّامى وغيرَ السّامى
فيها المُثَلَّمُ والجريحُ ، كما بها ما اختالَ مِنْ حالٍ ومِنْ بسَّامِ
وأنا الصغيرُ الطفلُ فى فرَحٍ بها وكسيرُها كسليمِها لغرامى
والأمُّ تضحكُ مِنْ غرورى تارةً وهنيهةً تأسى على أوهامى
لم ألقَ فى الدنيـا جيلاً يقتنى ويُبـاعُ غيرَ روائعِ الأحلامِ !

## قطى المتصوفة

لقـد تقشَّفتُ عُمرى فما خسرتُ كثيرَا
فهل تصوَّفتِ مثلى وقد هجرتِ القصورَا ؟
رضيتِ خبزاً كسيراً ونلتِ قلباً كسيرَا !

---

(١) البيتان التاليان للمعتمد بن عباد وجهها الى صنيعه الاديب صالح بن صالح وقد تنكر للمعتمد بعد أن ظفر بمعاونته تنكراً قبيحاً صار مضرب المثل فى الجحود.

## ليلة فى الصيف

A Summer Night

آمَنَّ بالبدرِ المُطلِّ حَنانَهُ ... حتى ينامَ على بساطِ الماءِ
خلعْنَ أرديةً كأنَّ بقاءَها ... كُفرٌ بما للحُسْنِ مِنْ آلاءِ
وجلسْنَ والنَّومُ المخادعُ ساحرٌ ... أحلامَهنَّ بروحِهِ المشّاءِ

ليلة فى الصيف — للمصور البرت مور

فلبثْنَ بين تَناعُسٍ لا ينتهى ... والنَّومُ فى شغفٍ وفى استحياءِ
والدِّفءُ فى الجوِّ الحنون كأنَّه ... أَملُ الحياةِ يُبَثُّ فى الأحياءِ
وَكشفْنَ لليلِ الصديقِ نماذجاً ... للشِّعرِ فهو مُعَلِّمُ الشُّعَراءِ
مِنْ كلِّ جِسْمٍ نُورُهُ وظِلالُهُ ... مَجْلَى الفُنونِ بنفحةِ عَذْراءِ
نَتَسَمَّعُ الأنغامَ ملءَ سُكونهِ ... ونعدُّ رُؤياهُ مِنَ الصَّهباءِ
ونَرَى به فصلَ الرَّبيعِ وإنْ يكنْ ... فى الصيف فتاناً لحُلْمِ الرائى
واذا الطَّبيعةُ فى سُكونٍ شاملٍ ... والحبُّ فيه يثورُ كالأنواءِ !

## السعادة المجنّحة

أتحسبُها تقرُّ لديكَ خِلاًّ ؟ ‏   فهل أنسيتَ أهواءَ الغواني ؟
فداعِبْها اذا ما شئتَ طيفاً ‏   يَمرُّ كما تمرُّ بكَ المعاني
اذا حاولتَ تخطفُها تلاشتْ ‏   تلاشي الوَهْمِ في دُنيا العيانِ
أبَتْ عيشَ الاسارِ فباعدتنا ‏   ونحن بأسرِنا أبداً نُعاني
تراها كالضياء بكلِّ لونٍ ‏   ونمسكها فتفقدها اليدانِ
كأنَّ السحرَ يملؤها حياةً ‏   ولكنْ كلُّها بالسحرِ فانِ
تطيرُ اذا تتبّعها حبيبٌ ‏   وتهبطُ حيثُ لا يُرجى التداني
ولم تتركْ محلاًّ لم تَزُرْهُ ‏   على صُوَرٍ مُنوَّعةٍ حسانِ
وكلٌّ يشتكي وصْلاً وهجْراً ‏   وقد باتا بها يتساويانِ
وكم جادتْ وكم بخلتْ ولكنْ ‏   لها سوقٌ تَرُوجُ من الأماني
نبيع حياتَنا لننالَ منها ‏   خيالاً يستحيل الى دخانِ
فتخدعنا وتقهرنا وتمضي ‏   بأجنحةِ القساوةِ والحنانِ !

## الجاسوس

حاربَتْني الحياةُ حتى دعتْني ‏   أنْ أعافَ الرِّضى وآبى السلاما
ذُقتُ منها العذابَ والمُرَّ ألوا ‏   ناً فدعْني أُذيقُها الانتقاما !
لستُ بعدَ الذي تجرّعتُ منها ‏   أشتهي عطفَها وأرضى هواها
سوف أمضي مُنقّباً عن مداها ‏   ثم أُفشي عيوبَها وأذاها
أنا بالفنِّ دائبُ الكشفِ عنها ‏   فهو نعمَ الجاسوسُ نِعْمَ الحليفُ
أنا أحيا بالفنِّ فهو غِذائي ‏   وانتقامي ، فما الحياةُ الرغيفُ !

## أُخت أُفروديت

( لمحة من فرين Phryne — أروع مثال أبدعته الحياة )

فى قـديم الزَّمانِ عاشتْ على جَمْعِ البراعيمِ مِنْ نَضيرِ الحُقُولِ
شبهَ فلاَّحـةٍ يُصاحبُها الفَـقْـرُ وإن أسْعِدَتْ بحُسْنٍ نبيلِ

ثم زارتْ فى ( إلوسِيسَ [1] ) حُلَى البحر بعيدٍ للحُسْـنِ زاهٍ مؤاتِ

(١) Eleusis مدينة اغريقية بحرية اشتهرت بمعبدها .

فتجلّت في نشوةٍ ومِراحٍ مِن حنانِ الصّبا ووثبِ الحياةِ
وجرت للمياهِ في غيرِ حِرصٍ والغواني مداعباتٌ اباةِ

فنزعن الإزارَ عنها ولكن صانَها البحرُ عفةً وحياءَ
ذاك يومٌ (فِرينُ) قد سجّلتهُ في حياةِ الفُنون والفنّان
ألهمت فيه عبقريّاً وفنّاً (لأبلّيس) [1] سيّدِ الألوان
قد رآها ذاك المصوّرُ إعجازاً وآيَ الطبيعةِ الفتّانهْ
فأبى أن يفوتهُ بعضُ جدواها ومِن حُسنِها رأى إحسانَهْ

---

(1) Apelles هو المصور الاغريقي العظيم وقد استوحى من فرين صورة (افروديت خارجة من البحر).

ودَنا والجموعُ ترقُبُها حَيرى وقد أوشكتْ تموتُ المياها
داعياً وهى من جلالته تصغى وترعاه رهبةً وانتباها
واذا منتهى أمانى ( أبليسَ ) اتخاذُ النموذجِ الحىّ ربَّهْ
راسماً وحيه مفاتن دنياهُ ، مُذيبا له كما شاء قلبَهْ
واذا ( أفروديتَ ) تاركةَ البحرِ تجلّتْ عنها بريشة الخلودِ
صورةً تنبضُ الحياةُ بها نبضاً وتُوحى لنا بمعنى الوجودِ
كم أديبٍ وشاعرٍ فيلسوفٍ وعظيمٍ مُصَوِّرٍ معدودِ
صار لا يرتجى سوى الوحيِ منها ويَراها مآلَ حُلْمِ السعيدِ
فاذا بالفنونِ أسْرى لديْها واذا سِحْرُها حياةُ الفنونِ
وتملّى ( بِرَكْسِتِيليسُ ) فيها ما يراه الفنّانُ أشهى الجُنونِ
شامَ فيها (فينوسَ)واختارَ أن يودِعَ هذى الألوهةَ الصخرَ نحتَهْ
يَقْطَعُ الصَّخْرَ فى ذُهولٍ عجيبٍ بينما ينسخُ التفنّنُ موتَهْ !
هكذا أصبحت ( فِرِينُ ) مثالاً للجمالِ المقدَّسِ التيّاهِ
كلُّ فنٍ يرى بها ربَّه العالى ، فمنها استمدَّ روحَ الالهِ
بلغتْ غايةَ النفوذِ وصارتْ فى الغِنى قوّةً وأىَّ مليكَهْ
حسدتْها دُنيا الجمال ولكنْ لم تَهَبْ مرةً أذى أو شريكَهْ
بل أفاضتْ على روائع يونانَ بهاءً مِنْ سحرِها العلوىّ
كم جمالٍ فى صورةٍ وقريضٍ هو بعضٌ مِن وَحيِها الأبدىّ
غير أنّ الدُّنيا الحقيرةَ شاءتْ أن يجازى الجمالُ شرَّ اساءهْ
فادّعتْ ما ادّعتْ عليها لتلقى موتَها وهى شمسُها الوضّاءهْ !

* * *

وتولّى الدفاعَ ( هيبَرِيدِيسُ ) [1] ولكنْ رأى النجاةَ محالاً

---

(١) Hyperides مدره كبير وزميل ديموستينيس الذى حضر مع كثيرين من الأعلام محاكمة فرين .

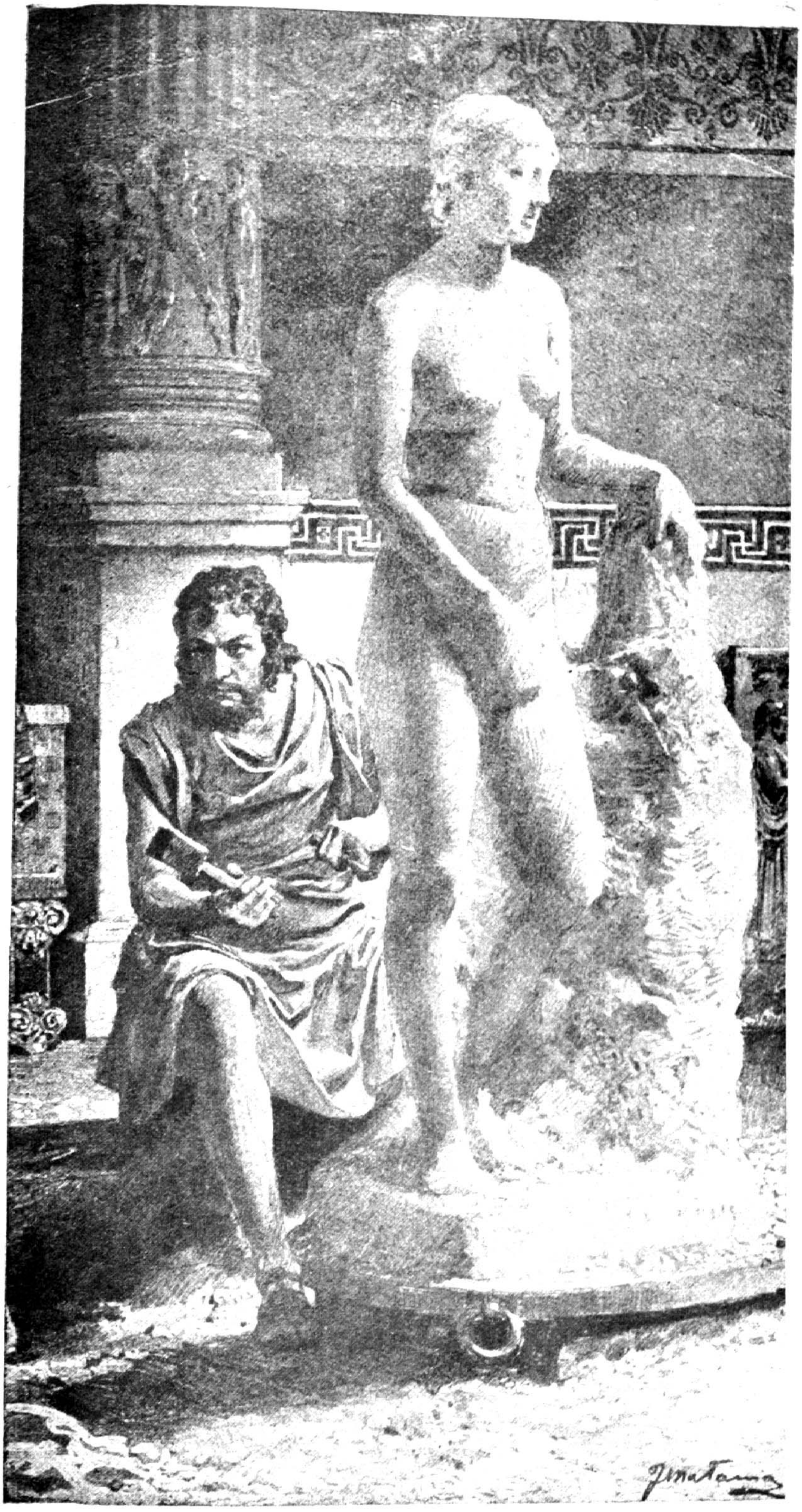

بركستيليس العظيم فى منحته يبدع تمثال فرين

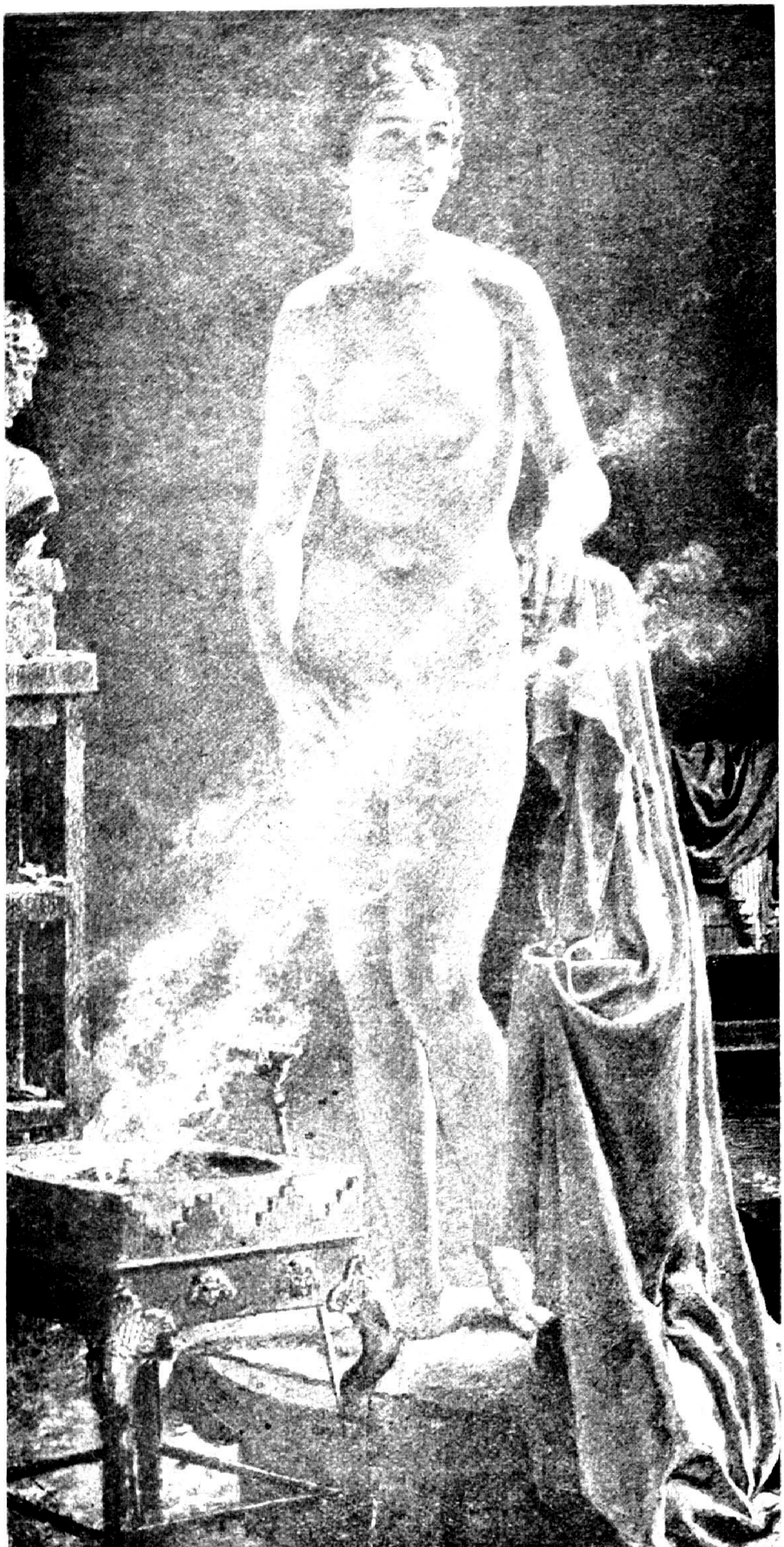

لم يُفِدْهَا دفاعُه الرائعُ الدَّاوِي ولم يُنقذْ الذكاءُ الجمالا
وبدا اليأسُ شاملاً ، فتمادَى نازعاً عن جمالها الحيِّ سترَهْ
صائحاً : أيهـا القضاةُ ! اليـكمْ قُدْرَةً غَلَبَتْ على كلِّ قُدْرَهْ !
هـذه لمحةُ الألوهـةِ جاءت فى ( فرين ) العزيزةِ المحبوبَهْ
ألهمتْ كلَّ شاعرٍ وزعيمٍ فى الفنونِ المآثرَ الموهوبَهْ !
هى فوقَ القانون فى كل شىءٍ فهى رمزُ الحضارةِ الفنَّانَهْ
ولها الحقُّ أن تُصانَ وتُحْمَى قَبَساً من ألوهةٍ فتَّانَهْ !
هى مَرْأَى الاعجازِ تَبْعَثُهُ الاربابُ للناسِ كى يَشيموا الالوهَهْ
هى فخرُ الحياةِ فى هذه الدنيا نسينا بها الهمومَ السفيهَهْ !

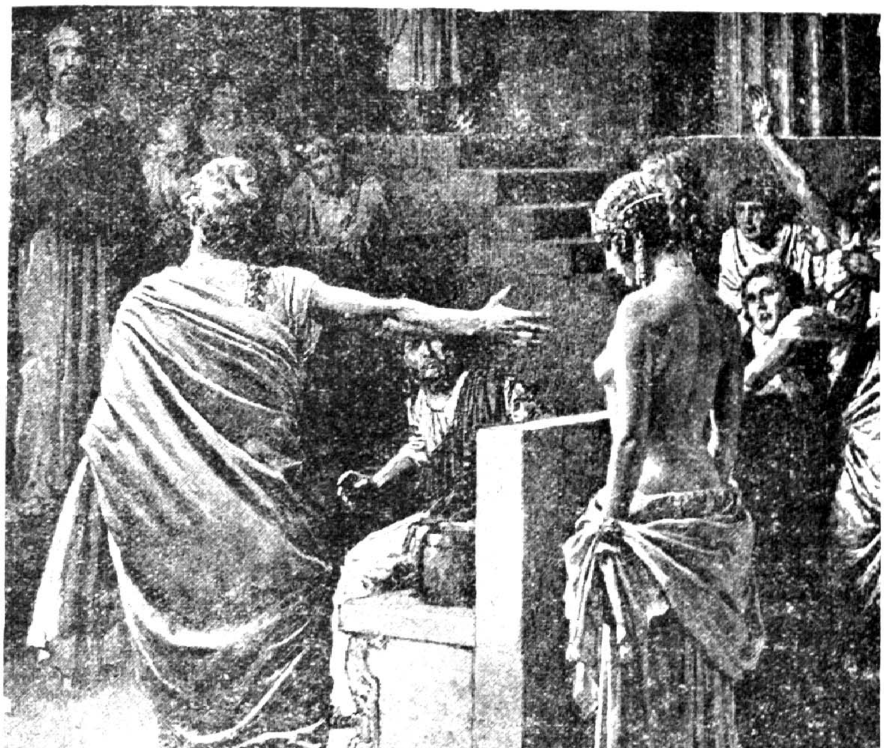

هيبريديس : ان جسماً كذلك الجسم لا يقتل بل يحتويه للفن معبد !

إنَّ جسماً كذلك الجسمِ لا يُقْتَلُ بل يحتويهِ للفنِّ معبَدْ !

أيُّ قاضٍ ضميرهُ يحمل الوزرَ اذا ما قضى بموتٍ وأيَّدْ ؟!

* * *

فاذا بالقضاةِ قد بَرَّؤُوها ودَوِيُّ الشعْبِ المحيِّي كريمُ

فمضتْ في الأسى لتشكرَ (فِينُوسَ) كما يشكرُ الحميمَ الحميمُ

فرين داخلة الى المعبد لتشكر فينوس

## ساعة الابدية

تركنا خلفنا الضوضاء تطغى ... ويبسطها على الأحياء حمق
وجئنا (النيل) نقرؤه هوانا ... وتشرحه على الأفنان ورق
كأن (النيل) معبدنا المفدى ... وفى أعماقه للحب عمق
جرى يجرى به أبد سحيق ... من الأحلام ليس لهن أفق
خواطر من فؤاد الدهر سالت ... وفى لألائها أمل وشوق
تملتينا الجمال يرف فيها ... فليس جماله مما يعق
اذا حق الخشوع على جماد ... أليس على الحياة إذن يحق؟
تملينا بهذأته نعيماً ... له فى هذه النسمات نسق
وقبلنا العواطف فى شفاه ... كأنا شبه أفراخ تزق
وكنا وحدنا لكن شعرنا ... بدنيا للملاحة تستدق
تحف بنا وتمنحنا رضاها ... من الوهم المحبب وهى صدق
ونحسب وحدها فى العمر عمراً ... فليس لنا سواها يستحق
تشق لها من الظلماء حصناً ... عتياً، فى الصبابة لا يشق
ويحمينا النخيل فما نبالى ... أيحجب خلفه برق وصعق
وتهتف حولنا الأطياف سكرى ... وليس لهن حين لهن نطق
ويخفينا الغرام فلا ترانا ... وإن ملأ الهواء منى وعشق!

## الالحان السجينة

تلك القمارى والكروان صادحة ... كأنها أنبياء الحب للناس
هى الحياة بأفراح ترددها ... لليائسين فتجلو ظلمة الياس
هيا استمعها ودع طيراً كلفت به ... رهن المحابس فى أموات ألحان

لحنُ الطليقِ ترى رُوحَ الحياة بهِ    تطيرُ ما بين أفنانٍ وأفنانِ
يا صاحبي أكلُّ ما في العيشِ مِنْ أثرٍ    حالٍ تراه عدوّاً للتقاليدِ
ما في الطبيعةِ إلاّ كلُّ مُحْسِنَةٍ    فاغنمْ حياتَكَ من هذي الأناشيدِ
اذْهَبْ إليها ودَعْ أمراً تضيقُ به    ذَرعاً وحرِّرْ أسيرَ الطيرِ يا صاحِ !
لن يغنمَ الفنُّ صدّاحاً يقيّدهُ    بل يبعثُ القيدُ أتراحاً لأتراحِ !

## الزائر الخائف

أهلاً بزائرنا الجديدِ ( الهُدهدِ ) الخاشي أماني !
ماذا ؟ أتخشى ياعزيزَ الحُسْنِ فنّاناً يُعاني ؟
أبداً يُتابعُ كلَّ حُسْنٍ كمزاءٍ لِهَـوَاهْ
ويَصونُه أضعافَ ما صانته غاياتُ الحياهْ
أُنظرْ ! تأمَّلْ ما تنالُ دواجنى مِن صُحبتى
فأنا الأسيرُ لها وإنْ عُدَّتْ أسيرةَ رغبتى !
النحلُ مالكةُ الهواء سعيدةٌ بحديقتى
وحبيسةُ الغالى الدجاجِ أليفتى وصديقتى
وأرانبُ الصوفِ الجميلِ تألّقَتْ نظراتُها
الحُبُّ يجمعُنا ولم تَذرِ الهمومَ حياتُها
بَيْنا الحمامُ يطيرُ فى فَوْجٍ كأحلامِ الربيعْ
لم يَخْشَ مِنْ شَغَفى فعادَ اليَّ فى نَسَقٍ بديعْ
فإذا أردتَ فرحباً بك ضيفَنا وصديقَنا
وإذا أبيتَ فليتَنا ندري رضاءَك ... ليتَنا !

## الفرّيس

( اهداها الشاعر الى صديقه الفنان شعبان زكي )

يا صديقى أنتَ كالقدّيسِ فى هذى الحياةِ
أنتَ حَيٌّ بين أمواتٍ أساءوا للمماتِ !

شعبان زكى — بريشته

ثاوياً فى عُزلةٍ كالصخرِ فى بحرِ الطُّغاةِ
تقبسُ النورَ من الظلمةِ بل من ظُلُماتِ
ترسمُ الاصباغ شِعراً قد تعالى عن رُواةِ
لغةً يفهمها الأحياءُ مِنْ دُونِ اللغاتِ
أينَ هُمْ يا فَنُّ ؟ أينَ الناسُ ؟ فى أيِّ الجهاتِ ؟

لا أرى الآن نجوماً هامساتٍ باسماتِ
علّها الأحياءُ فى الدنيا وأهلُ النظراتِ
هنّ لن يخذلْنَ فنّاناً على الأرض المواتِ
سابحاتٍ فى محيطِ الدهرِ فى ماضٍ وآتِ
باحثاتٍ عن فقيدِ الفنّ بين النيّراتِ
عازفاتٍ فى مجارى الكون لحنَ الكائناتِ
عِشْ وترجمْ أنتَ مِنْ أسرارها أغلى الصفاتِ
فى نُقوشٍ كلّها آياتُ فنٍّ أو صلاةِ
تَبعثُ الالحانَ فى النفس بلمح الخطَراتِ
كلّها صدحٌ وصمتٌ هو كالصدحِ مُؤاتى
فنصتْ أطيافَ أضواءٍ على لحنٍ شتاتِ
لَهِجتْ بالصفْو حيناً ثم حيناً بالشكاةِ
يتمشّى الحبُّ فيها بالمعانى الخالداتِ
أىُّ وَحْيٍ غير وحى الحبِّ يَبْقَى للحياةِ ؟
لا أرى إلاّ نُوراً ضائعاً بين الهواةِ
مَجْمَعُ الألحانِ ، لكنْ أينَ أفواهُ الشُّداةِ ؟

* * *

يا صديقى ! ذلك الإلهامُ فيضُ النشَوَاتِ
يتوالى فى ازدحامٍ بالمعانى الرائعاتِ
عبقريُّ الوحىِ يهوَى عبقريَّ اللمحاتِ
أوَحِيدٌ أنتَ يا مَنْ نالَ هذى المُلْهِمَاتِ ؟!
مِنْ دُهُورٍ تعرضُ الكونَ ببعضِ اللحظاتِ
مِنْ نعيمٍ سَرْمَديٍّ فى ثوانٍ فلقاتِ
كلّها طوْعٌ لما تهوَى بأشهى السَّكَرَاتِ

كلها ماد الى الفناء تغني كل ذات
وكأن الخلق وهم دونه حتى بذواتي !
فتقبل حبها الغالي ومحمود الهبات
هي في الأحلام سكرى وهي سكرى اليقظات
راويات سيرة الدهر وآيات العظات
هي أقصى من محال وهي أدنى الراويات
ثائرات خاضعات ، خاضعات ثائرات
كلنا الجاهل ما تعني ، سوى الفن ... فهات !
هات ما تبدع في محض خشوع وتقاة
من مراء ومعان وصفات وسمات
كلها من عالم خاف وطوع اللمسات
تتجلى فتراها بنهى للفن عات
ثم تحييها ضروبا من حياة شائقات
أنت يا فنان شعب خاسر في الغمرات
إن تناس الناس لم تخسر سوى عطف الجناة
كم ضحايا لفنون وضحايا لأذاة
فلتعش للفن قربانا وعش أسمى أداة
واذا الناس تناسوا فتقبل قبلاتي !

**المتعبد**

هداة الليل أنت صومعة الحب فروح تهفو وقلب يرف
ظلمات هي الضياء لنفس بسمو الايمان تسمو وتصفو
نام أهل الغرام بعد سهاد وأنا ساهد به أستخف
سكروا بالهوى ولكن سكري بمعان عن الاله تشف

خمرتى ذلك التأملُ فى الليلِ فأعلو فى حين غيرى يَسِفُّ
قد تذوّقتُ كلَّ راحٍ وعندى أنَّ راحَ التعبّدِ الحُرِّ صِرْفُ
نظراتى الى الوجود عِباداتٌ لربّى وصمتهُ السَّمْحُ عطفُ
لى عيونٌ مِن صفوِ نفسى تناجيه فما يُسعفُ التصوّفَ طرفُ
وأنا ذلك الضعيفُ ولكنْ فى حِماهُ لايعرفُ النفسَ ضعفُ
لُغتى مِن حَنانِ هذى المبانى والمعانى (١) وما لها بَعدُ حرْفُ
لغةٌ للصموتِ وهو بليغٌ ، رُبَّ صمْتٍ له بيانٌ ووصفُ
إننى سابحٌ وكونى محيطٌ وممَاتى أمنٌ وأمنىَ حتْفُ
وحياتى لولا مُناجاةُ خلاّقى فناءٌ ، فإنّ نبعى يجفُّ

## خمر الحياة

لم أذُقْها الاَّ قليلاً ولكنْ أنا دوماً كالشّاربِ المُتَحسّى
أَعلمتْنى الحياةَ شِعراً وأَحْكى وَقْعَها الحُرَّ فى جوانبِ نفسى
لا تَظُنَّ الظُّنونَ بى فشفيعى خاطرٌ طائفٌ على كلِّ حِسّ
كم عرفتُ العميقَ مِنْ سَكرةِ الخمْرِ ان فى حين تملأُ الخمرُ كأسى (٢)
أكتفى بالدُّنُوِّ منها وأرنو لِلَظاها كعابدٍ نارَ شمس
لا تَلُمْنى فلستَ تعرفُ دينى هو أسمى مِنْ كلِّ طُهرٍ ورِجْسِ
هو مَعنًى يَجلُّ عن كلِّ وَصْفٍ وهو صِدْقٌ يَجلُّ عن كلِّ حَدْس
هو نفسُ الألوهةِ المتفانى فى مَداها مَدَى رجائى وأنسى
مِنْ ضياءِ الآلهِ قد خُلِقَتْ نَفْسى ومِنْ ظُلمةِ الورى جاء يأسى
وأرى اللهَ فى الحياةِ فدعنى عابداً غافراً لأبناءِ جنسى

(١) الـكائنات ونجاويها (٢) انظر قصيدة «العودة» — ص ٣٠

إنّ هذا « الينبوع » لله قربا ... نٌ فهمسى له إلى الربّ همسى
كم طهورٍ من نظرة الرّجس رجسٌ ... وسواه بالطُّهر للطُّهرِ يُمسى
فأنا عابدُ الألوهة في كُلِّ مجالٍ ، وللألوهةِ نفسى !

## ليالي الرمل

قد سألنا الآمالَ عنها ولكنْ ... ما تزالُ الآمالُ عطشى سغابا
عُلّلتْ بالغرامِ فيها فشابتْ ... في ارتقابٍ وما برحنَ كعابا
خُلّلَ السّحرُ حينما حُرِّمَ الشّعـ ... ـرُ متاعاً نحسُّه وانتهابا
في ليالٍ كأنّنا أفقرُ النا ... سِ جميعاً ونُشبِهُ الأربابا
وكأنّ الغريبَ عنها غريبٌ ... عن غِناها يرى الضياءَ الضبابا
كم عرفنا الجمالَ طيفاً عجيباً ... وشربنا الهوى خيالاً عُجابا
ثم عُدنا وما ملكنا سوى البثِّ ... كأنّا بها فقدنا الشبابا
ونظمنا له الأناشيدَ لَهْفَى ... في خريفٍ يَقْضِي الليالي انتحابا !

## صورة

لَدَى مُرُورِ لأوْلَادِي ... أَبُثُّ الحُبَّ منفردَا
صَلاَةُ اللّيلِ مِنْ قَلبي ... وقد نامُوا كما سَهِدَا
على نظراتِ مفتونٍ ... تقبّلهم فماً ويدَا
تُتابعُ خَلْوَ أنفاسٍ ... وتُحصيها لَهُمْ عدَدَا
وأركعُ شِبْهَ مُبتهلٍ ... ولم أكُ داعياً أحدَا
كأنى الليلَ عابدُهم ... لخالى حالُ مَنْ عَبَدَا
أرَى الإيمانَ يَغْمرُنى ... فلستُ بعسرفٍ أبدَا
ولكنّى أبٌ حانٍ ... أحبَّ اللهَ والولَدَا
وقد جمعَا بنظرتهِ ... وفي أحلامِها خَلَدَا !

## مدام رولان

( كانت مدام رولان قدوة فرنسا المتأهبة لثورة الاخاء والمساواة والحرية ، وكانت تكره التمادي في العنف لفطرتها الشاعرة الرقيقة ، وقد تألف برعايتها ورعاية زوجها حزب الجيروند ، ولكن المتطرفين ـ اليعقوبيين ـ أساءوا الظن بهؤلاء الأحرار الذين احتضنوا الثورة فنكلوا بهم ، وقد فرّ بين من فروا السيد رولان وسُجنت زوجته شهوراً وعوملت أسوأ معاملة ثم أعدمت في النهاية . . . ويؤثر عنها أنها لمّا صعدت درجات المقصلة أظهرت منتهى الشجاعة ، وكانت تودّ قبل اعدامها أن تدوّن خواطرها فأبوا عليها ذلك ، وحينئذ التفتت الى تمثال الحرية في ميدان الاعدام وقالت بأعلى صوتها جملتها الخالدة : « أيتها الحرية ! كم من جرائم تُرتكب باسمك ! » وحفظ التاريخ لمدام رولان أنها أنبل امرأة عرفتها فرنسا الحديثة ) .

* * *

ألاَ في سبيلِ العدلِ تلك المَظالِمُ — فقد عزّ مظلومٌ كما هانَ ظالمُ
خلدتِ بدنيا الحقّ والحقُّ خالدٌ — ومُتّ بدنيا البطشِ والبطشُ راغمُ
لئن خانكِ القومُ الذين خلقتِهم — بروحكِ فالحيُّ المسامحُ غارمُ
وما هذه الدنيا بدارِ عدالةٍ — ولو أنّ روحَ العدلِ حيّ ودائمُ
حضنتِ لهم أسمى المبادىء حُرّةً — فلما نمتْ عادت عليكِ المغارمُ
فيا عجباً ! هل يحصدُ الغدرَ منقذٌ ؟ — ويا أسفاً ! هل يُطعَمُ الموتَ راحمُ ؟
وهل تَسكنُ السجنَ التي لم يكن لها — سوى الطهرِ مأوًى لم تنله الجرائمُ
وهل تَعرفُ النطعَ التي مِنْ سَنائها — تبسّمَ محزونٌ وأُسعِدَ حالمُ
حياةٌ هي الفنُّ الجميلُ لقومها — ففي كلّ مَمْشًى للجمالِ تُساهِمُ
تناهتْ الى أسمى الشجاعةِ وارتقتْ — الى منتهى ما جازه قطُّ سالِمُ
ويدفعُها الوحيُ الذي ما درَتْ به — جُموعٌ ولم تُفصِحْ لُغاهُ التراجمُ
هو القَبَسُ الأعْلَى الذي مِنْ شُعاعِهِ — أضاءتْ على دُنيا الصَّغارِ العظائمُ
على هذه الارضِ التي صار أهلُها — مُلوكاً ولكنّ النفوسَ بهائمُ

مدام رولان صاعدة درجات المقصلة

يُعاقَبُ فيهم بالاساءة مُحْسِنٌ ويُنْعَتُ بالنعتِ المقدَّسِ غاشمُ
وتَحْيَا الماسي في تواريخِ مَجْدِهِمْ كأنَّ مَعاني المَجْدِ تلك الجماجمُ !

* * *

أتاركةَ الذِّكْرِ المعطَّرِ بيننا وذِكْرُكِ لم يَبْلُغْهُ جانٍ وناقمُ
حييتِ على الأرضِ الخؤونةِ مرَّةً ونُبلكِ للذكرِ المخلَّدِ عاصمُ
صَدَقْتِ ! فللحرِّيةِ الناسُ أجرمُوا وكم باسْمِها مَدَّ السلاسلَ جارمُ
صَعَدتِ الى الموتِ العزيزِ قريرةً كما يَبلغُ النَّبعَ المُشَوَّقَ صائمُ
وقد عانقَ الآبادَ صَوتُكِ داوياً ولم تَسمعْ الآبادَ تلك الغماغمُ (١)

(١) الغماغم : اصوات المحاربين . يريد الشاعر ان صوتها للحرية والسلام هو وحده الذى خلد .

## الهارلويه

لن يقدر الناس موهوباً بحرّهم          الا اذا خنقوا من روحه الحي
كم من ذكاءٍ مضاعٍ بين من عبثوا          والكل باك ولكن شبه مبكي
الواهب الفرد يشقى وهو متهم          والعابثون بجاهٍ غير مطوي
تشكو وتبكي جموع وهي غافلة          عن جرمها حين تخفي كل علوي
والفرق ما بين موهوب وغامطه          كالفرق ما بين إنسي وصخري
هيهات يفلح قوم كل مأربهم          هدم الرجال وتشييد الأماني
يبكون في العجز حين العجز سخرهم          لما أحلوه في أسمى الكراسي
ويرجون عظيماً لا يخادعهم          حتى يموت ذليلاً موت منسي
وكلهم هاتف باك على صور          من المهازل تشجي والاغاني

## مسلة المطرية

يتيمة الدهر في بؤس وفي خرس          ألم تكوني منار الوحي والقبس ؟!
لا تجزعي ودعي الاحداث غاشمة          لأنت في غنية دوماً عن الحرس
لم يدر قدرك أحفاد كم افتخروا          بالأمس والأمس يشكو بطش مفترس
يا رمز تبجيل (هوراس) لمن خلقت          هذه الاشعة في الدنيا لمقتبس ؟
عافوك ما بين أدران يئن لها          هذا الثرى كأنين الضوء والغلس
كانت تحج لك الأحلام في فرح          واليوم ترجع في آلام مبتئس
سكنت في قرية بالذكر عاطرة          والحسن ناضرة كالخود في عرس
فكيف تمسين بعد المجد آفلة          وكيف تبقين بعد الطهر في دنس
أمشي اليك وما أدري على تلف          أمشي على الماء أم أمشي على اليبس !
والعير يأبى اباء أن يعاونني          على المضيق وتأبى عزة الفرس

والوحلُ حولكِ صخّابٌ اذا نُسِيَت أقدامُنا فيه أو فى مائه النَّجِسِ
والغرسُ عندك كالفرحانِ ظاهرُهُ وكله فى شجىً من دهره الشَّرِسِ
ومِنْ بَنيهِ وكلٌّ صائحٌ مَرِحٌ يستلهمُ الأمسَ مَجْداً غيرَ مُندرِسِ
حتى اذا لاحَ ذاكَ الأمسُ يرمقهُ ويَضربُ السمعَ بالايحاءِ والجَرَسِ
أغفى وأشبعَهُ الخذلانَ فى عَمَهِ وفاتَه بين مغبونٍ ومُختَلِسِ

## الشروق الهائب

صَعدتُ الى مَرْقَبي المستعِزّ وللفجرِ إعياؤُهُ الغاضبُ
تَلكَّأ حيناً فلمّا مَضَى مَضَى واللّهيبُ له تابعُ
فَمُدَّتْ له فى مَجالِ الشُّرُوقِ خنادقُ يَرهَبُها الناظرُ
وراحت تحاذرها الجارياتُ مِن السُّحْبِ والرّيحُ والطائرُ
ومِنْ عَجَبٍ كلُّ هذا السكونِ ولِلحَرْبِ مَشهدُها الرّائعُ
وقد أبطأتْ فى شروقٍ (ذكاءُ) كأنَّ الشروقَ هو الهائبُ!

## الورود الحمراء

يا وُروداً بحرقةٍ واحمرارِ نحن سيّان فى الهوى والنارِ
يُطفِىءُ الليلُ شُعلةً لكِ مثلى وكلانا بحزنهِ المتواري
آهِ مِنْ خدعةِ الظلامِ وما يُخـ ـفى مِنَ النّارِ والهوَى الجبّارِ!
عُمرُنا بالنهارِ حتى اذا ما راحَ مُتنا بميتةٍ للنّهارِ
فعرفناكِ بالشّذَى فى الضَّحايا وعرَفتِ اللهيبَ فى أشعاري
وعَددْنا كالرُّسْلِ فى عالمِ الحُبِّ وكالحُبِّ فى غِناءِ القَماري
أنا أحنو عليكِ صنواً لنفسي وشِعاراً، يا للجوى مِنْ شِعارِ!

## ادى كنتور

( الممثل الفنائي المضحك الشهير )

يا مُضحك الدُّنيا وأبرعَ ساحرٍ — أتعيشُ عُمْرَكَ فى خيالِ الشاعرِ ؟!
نلقاكَ للأنغامِ أحذقَ صائدٍ — ونراكَ للأحلامِ أجرأَ طائرِ
وكأنَّ رُوحَ الكونِ رُوحُك دائماً — بخيالِكَ المتوثِّبِ المتطايرِ
تُصغِي الى ألحانِهِ وفُتونِهِ — وتَصوغُها بروائعٍ لمشاعرِ
الهزلُ فيها الجدُّ حين حياتُنا — كالكرنفالِ على غرورٍ دائرِ
إن أحسنَتْ سلبَتْ فليس لحظِّنا — حظٌّ الغنيِّ ولا الفقيرِ العابرِ
ما ساعةٌ تُقْضَى لديكَ بفرحةٍ — الاّ مُحالٌ مِن نعيمٍ ساحرِ

فى جنةِ الوهمِ الحبيبِ وانها — لأجَلُّ معنًى مِنْ وجودٍ ساخرِ
ونراكَ كالطفلِ الكبيرِ وكلّنا — يلهو وراءكَ كالصغيرِ الكابرِ
دُنيا الجنونِ وانها دُنيا المنى — والحبِّ بين مَباسمٍ ومَزاهرِ
الرقصُ بعضُ لغاتِها ، واللحنُ من — أدواتِها ، بين الجمالِ الثائرِ
نمشي على الأحلامِ والاضواءِ ، لا — نمشي على همٍّ وحظٍّ عاثرِ

ونرى الربيعَ خيالَنا في كل ما ... يوحيه طيفُك آسراً للناظرِ
ننسى وجودَ الناس حتى ذاتنا ... ونعبُّ من نبع الفنونِ الطاهرِ
فاضتْ لنا ألوانُه ومزيجُها ... عبقٌ من الكَكْتيلِ بين أزاهرِ
وكأنما الدهرُ العنيدُ حليفُنا ... يرنو ويشرب كالعتيِّ الفاجرِ
فينال منّا الصفحَ ساعةَ أُنسِهِ ... معنا ونمنحه صفاءَ الغافرِ
قد كان يجرى تائهاً حتى إذا ... أبدعتَ عاد من الضلالِ الحائرِ
فنرى الحياةَ تجمّعتْ في يقظةٍ ... كالحُلمِ مالكةً جميعَ الخاطرِ
وكأنما الكونُ العظيمُ بأسرِهِ ... قد صار منْسيّاً بذهنِ الذاكرِ
وغدتْ أمانيُّ الحياةِ رهينةً ... للعبقريةِ في مداك الباهرِ!

## بين ذنوبي

عاتبتِني فشكرتُ عتبكِ حينما ... آلمتِني بعتابكِ المحبوبِ
أنا في جحيمٍ لا انطفاءَ لنارهِ ... أيُعدُّ موتي فيه بين ذنوبي؟!
لم ألقَ إلاّ عزلتي في حُرقتي ... تُوحي العزاءَ اذا استطالَ عذابي
النارُ تضحكُ في اللّهيبِ وها أنا ... كالنارِ أضحكُ فاللهيبُ شرابي
آثرتُ وحْدي أن احمّلَ عبءَ ما ... أسلفتُ للدنيا منَ الاحسانِ
والآنَ في غُصَصٍ أجرّعُ حسرةً ... في حسرةٍ منْ كلِّ غرٍّ جانِ
في سالفِ الأحلامِ لم أبخلْ بها ... أبداً على مَنْ ناشدوا أحلامي
والآنَ ما لي غيرُ آلامٍ لَها ... عُمْري تخلّيني على آلامي
ما كلُّ عتبٍ لي يُكالُ سوى شجىً ... وأذًى ولو خلقتْهُ روحُ ودادِ
مَنْ ذا يلومُ على الجريحِ سُكوتَهُ ... وعلى الحزينِ عُزوفَه بحِدادِ؟
الصمتُ أكرمُ لي وأوفى نعمةً ... مِنْ كلِّ شكوى أو تكلّفِ انسِ
وأنا الشكورُ لمن يُعزُّ محبتي ... ومنَ المحبّةِ أن تُحرّرَ نفسي

## لصوص الخلود

تَعَالَىْ لنخطفَ هذى الدقائقَ مِنْ فجرِ هذا الصَّبَاحِ الوسيمْ
ونُخلِدَها قُبَلاً للحياةِ وكنزاً لهـذا الزَّمانِ العـديمْ !
تَعَالَىْ الى ساهماتِ النخيلِ يُداعِبُهَا النُّورُ فى وَجْدِهَا
لِنَنْهبَ لذةَ ما أَضْمَرَتهُ مِنَ الذكرياتِ على بُعْدِها !
تعالَىْ تعالَىْ فللصُّبحِ لحنٌ حواه النَّدَى وشذَى لن يَعُودْ
تَعَالَىْ لنسرقَ منه الهوى ففيه الوجودُ وفيـه الخُلُودْ !
تَعَالَىْ فـكم أخذَ الدَّهرُ منّا حظوظاً ولم يَبْقَ حتى الشَّفَقْ
وكم قُتِلَتْ فُرَصٌ للنعيمِ وحتى الخيالُ لهنَّ احـترَقْ !
وعِشْنا نسائلُ عنها الغديرَ وتلكَ الزُّروعَ وذاكَ الحَصَى
وقلبَ الوُجودِ الذى نَبْضُهُ ينالُ الثَّرى ويَنالُ السَّمَا !
فلم نلقَ الاَّ السكوتَ العميقَ، فبعضُ الصِّيَاحِ شبيهُ السكوتْ
وما الحيُّ الاَّ حياةُ المعانى فـكلٌّ الذى قد عداها يَمُوتْ !
ولم نَرَ الاَّ خُلودَ الهوى تُسَجِّلُهُ قُبَلٌ خالدَهْ
مِنَ الـكونِ آناً ومن رُوحِهِ لديكِ على اللهفةِ العابدَهْ !
وتُحفَظُ فى الفنِّ محسوسةً وإن قُرِئَتْ فى نظيمِ السُّطُورْ
وتَنبضُ بالشعرِ نبضَ الحياةِ ونبضَ الجمالِ برغمِ الدهورْ !

## البعوضة والبيغاء

البيغاءُ ترى البعوضةَ ذرّةً ... فى الوهمِ لا خَطَرٌ يُخافُ لديْها
وهى التى أفنت جيوشاً فى الوغى ... والسِّلمِ سلّطها الإلَـهُ عليْها !
يا هـذه ! إنَّ البعوضةَ ذاتها ... شخصيةٌ فى نقمةٍ وهلاكِ
ماذا لديكِ سوى غُرورٍ كاذبٍ ... وغباوةٍ لممثّلٍ أو حاكى ؟!

## خصومى

وليس خُصومى مَنْ أرادوا إساءَتى ... ولكنْ خصومى رِفقتى وصحابى
هُمُو مكّنوا الأشرارَ منّى بصفحهم ... وقد خُدِعُوا مِنْ بَسمةٍ وشرابِ
أُعِزُّنى رجالاً يفقهون عقيدتى ... ويَسعون لا خوفاً ولا لثوابِ
وبعدُ فسائلْ : أىّ حصنٍ ممرَّدٍ ... نجا إنْ طَغَى مِنْ غَضبتى وعقابى؟!
لئن شَمتَ الأعداءُ بى فى غرورهمْ ... فما بَلغُوا منى كَوهمِ صحابى !

## أنشودة الفناء

الشّمسُ تَخطفُ بالأشعةِ كلَّ ما ... فى الليل هُيِّئَ للصباح من النَّدَى
وخَطفَتْ أحلامى وما عوَّضْتِنى ... الاَّ التَّحَرُّقَ بالأشعةِ والصَّدَى
حَسَدُوا حَيَاتى وهى بين ظلالِهَا ... وضيائها وتَنوُّعِ الألوانِ
صُبِغَتْ كأوراقِ الخريفِ بهيَّةً ... وجَميعُها صُوَرٌ من الأحزانِ
ولرُبَّما ضحكتْ وغَنَّتْ وانتشتْ ... فى الرِّيحِ طائرةً أمامَ فنائِهَا
وأنا كذلكَ ضاحكاً ومغنياً ... والنفسُ مُدركةٌ مصيرَ غِنائِهَا !

## فى مرقص النجوم

فِتَنَ السَّمَاءِ أراكِ مِلْءَ مَسائى ... كمَراقصِ العُشَّاقِ فى الصَّحراءِ
صدَحتْ بموسيقى الخلودِ فهل ترى ... صدحتْ بتلكَ الأنجمِ الزهراءِ؟!
أَصْغِى اليها وهى سِحرٌ شامِلٌ ... للكونِ مِنْ ملكوتها الوضَّاءِ
وأنا بها فَرِحٌ كفرحةِ طفلتى ... بكُرَاتِها دُحْرِجْنَ فوقَ الماءِ
أو فرحةِ الأزهارِ رَشَّ عبيرَها ... عَبَثٌ من النافورةِ الحسناءِ
أو فرحةِ الأطيارِ قبلَ شتائِهَا ... فى شُكرِهَا بهوى الربيعِ النَّائى
رُوحُ الطبيعةِ كمْ يُحَسُّ ولا يُرَى ... ويَبُوحُ للعشّاقِ والشُّعرَاءِ !

مصر العازفة

( تصدير كتاب « سيد درويش » للأديبين السكندريين على محمد البحراوى وأحمد على عوض )

تَقَبَّلْ ! ذلك الأدبُ المُصَفَّى ... يُزَفُّ اليكَ والفنُّ اللبابُ
وأصْغِ الى الصَّدَى فى الشعرِ يُحْكَى ... وفى النقدِ الوفىِّ ويُسْتَطابُ
أديبا الثغرِ قد كفلاه مَعْنَى ... مِنَ القُربانِ زكَّاهُ الشبابُ
بقايا مِنْ شُعاعِكَ فى غِناءٍ ... وفى أدبٍ اذا انطفأ الشهابُ
لقد عرفاكَ فى عيشٍ ومَوْتٍ ... وقد جافاكَ بينهما الصّحابُ

* * *

عَزَفْتَ وأنتَ ( مِصْرُ ) بكلِّ لونٍ ... عَرَضْتَ ، ونَبْعُكَ البَحْرُ العُبابُ
ولولا خُدعةُ الأقدارِ كانت ... حياتُكَ كلّها أمَلٌ يُجابُ
ولكنْ جئتَ بالألحانِ سحراً ... وضلّ الغافلون فما أصابُوا
فصانتك ( الطبيعةُ ) فى اعتزازٍ ... وكم حرسَ الكنوزَ لها الترابُ

* * *

لِيَشْكُ العُقْمَ مَنْ يهوى شكاةً ... فقد غُفِرَتْ وقد كُشِفَ الحجابُ
وهذى العبقريةُ فيكَ تَحْكِى ... ولن يُطفِى بنا الظمَأَ الشرابُ
وكيف ونحن نرمقُ كلَّ أفقٍ ... وَمَرْأَى سائلِين ولا جوابُ
ولا نجد المغنّى السمحَ يشدو ... مَعانيَها فيرفعها السَّحابُ

* * *

مَغَانى ( النّيلِ ) بعدَكَ عاطلاتٌ ... فانّ مُلوكَهُ الأربابَ غابُوا
ولكنْ سرُّهُمْ قد ضاع حتى ... كأنَّ الفنَّ ليس له إيابُ
فمن يَحْكى الشروقَ وكلَّ لونٍ ... رَوَتْهُ لَهُ المنازلُ والقبابُ ؟
ومَنْ يَحْكى الغروبَ على لهيبٍ ... تُقبِّلُهُ المياهُ وقد يُذابُ ؟

وأنغامَ الحيـاةِ بعصرٍ لمَّا مضى القُمْرِيُّ واعتزَّ الغُرابُ !
وأصداءَ المعابدِ وهي تَرْوِي مِنَ التاريخِ ما تركَ الحِسابُ !
قرونٌ في الرمالِ وفي المبـاني وفي الامواهِ يجمعها العِتابُ
تلوحُ كأنَّها خُرْسٌ ولـكنْ أغانيها يُساورُها العَـذابُ
ذهبتَ فمـا مَضَى للفنِّ حُزْنٌ وبعْضُ الحُزْنِ ليس له ذهابُ
وهـذي الذكرياتُ اليـكَ تُهْدَى كما يُهْـدَى لملهمهِ الـكتابُ !

## الحياة الذاتية

سنسمو برغْمِ الفقرِ مادام عَيْشُنَـا مِنَ النفْسِ لا مِنْ غيرها يتسامى
وليستْ حَيَـاةٌ غيرَ ما في قُـلوبنا فانْ عُدِمَتْ باتَ الضّياءُ ظلامَا
ستفْنى أَعاصيرُ الحيـاةِ ببؤسِها ويَبْـقى غِنـاها في النفوسِ سَلاَمَا
وإنَّ حيـاةً عمْرُها رهنُ ثروةٍ وفقرٍ لَموتٌ في التَّسـتُّرِ دامَا
وما الشَّعْبُ الاّ مِن صَميمِ يقينهِ فإنْ غابَ أمْسَى كالمضَـلَّلِ هامَا
الى أن يُجـازَى حَتفَهُ أو خسارَهُ ذليـلاً ، وإلاّ همَّ ثم تَسَـامَى

## ليالي رمضان

خرستْ بالنهار ألسنةُ الحُبِّ وغَنَّتْ بالليـلِ لحنـاً شجيّـا
واستحالَ النّهارُ ليلاً وديعـاً وتراءَى الظـلامُ نوراً بهيّـا
والأفاويحُ مِن طعـامٍ شهيٍّ هي ملءُ الآنافِ عنـد المساءِ
أفلحتْ حينما تَعثَّرَ داعٍ في اجتذابِ الأحبابِ والاصدقاءِ
ويموتُ النهارُ في فرحةِ الناسِ وقد صوَّبوا اليهِ المَدافعْ (١)
ولـكلٍّ ثأرٌ لديهِ ويأبَى صائمٌ في نجاتهِ أيَّ شافعْ !

---

(١) من المتبع الآن اعلان الافطار باطلاق المدافع في العواصم الاسلامية .

وترَاءَى المؤذِّنُ الرائعُ الصوتِ حبيبا وساحراً بالأذانِ
كغريبٍ مِنْ عالَمِ الوَهْمِ حَيَّانا بروحٍ يتيمةِ الألحانِ
وكأنّ الدنيا أصاخت اليه وهى فى حيرةٍ لما يعنيهِ
شَقِيَتْ كالغدير فى مُتعب السيرِ وقد ناحَ فوق صخرٍ كريهِ
وهو يمضى مؤذناً فى حُبورِ ويغطى الافراحَ والآلاما
وتعودُ الدُّنيا فتلقاهُ مغنى يَهَبُ الحُبَّ والغنى والسلاما
وتُقَضّى الساعاتُ فى الليل ألواناً مِن الانسِ والمُنى والشبابِ
فكأنّ الدنيا تُعَيِّدُ فيها مِنْ عَناءٍ وتَشْتَفى مِنْ عذابِ !

## وحوى ! وحوى !

وَحوِى ! وَحوِى ! صاحَ الأطفالْ
وجَرَوْا خبَباً بين الآمالْ
والنّورُ بدا كالأحلامِ
والسَّهمُ لهمْ جِدٌّ حرامِ
غَنّوا فرحاً والليلُ قريرْ
فى صدحتهمْ إلهامٌ بشيرْ
رمضانُ بهم زاهٍ وسعيدْ
فبكافُوهمْ مِنْ حَلْوَى العيدْ
فى طلعتهمْ والدهرُ بخيلْ
نِعَمٌ سلفتْ بين التقبيلْ
فأرَى فيها أسرى المحبوبْ
وأحبّيها صيحاتِ قلوبْ !

* * *

يا أبنـــــاى !　　　يا أبنـــائى !
رُسُـــــلٌ أنتمْ　　　للسَّـــــــرّاء !

**الأشعة الصادحة**

( الشمس )

أشرقى ! أشرقى ! فدتْكِ اللَّيالى !　　　واغسلِينا طُهراً من الأحزانِ
جُنْدِلَ الحارسُ الذى سُمِّىَ اللي　　　لُ فأهلاً صديقةَ الانسانِ !
تلك أضواؤكِ الحبيبةُ لاحتْ　　　صادحاتٍ فى حُسنِها بالأمانى
صَدَحاتٌ ترنّ فى أعمقِ النف　　　سِ وليست ترنّ فى الآذانِ
فاذا الطيرُ شاعراً يتغنَّى　　　فهو كالرَّجْعِ وهو كالترجانِ
واذا الزَّهرُ عاطراً يتمنَّى　　　فهو مَعْنًى خَافِتِهِ فى البيانِ
كلُّ ما أعلنَ الصَّباحُ نشيدٌ　　　مُسْتَمَدٌّ مِنْ لَحْنِكِ النُّورانى
هَتَفَاتٌ تُرَى بكلِّ حياةٍ　　　وحَنَانٌ يُرَى بكلِّ مَكانِ
يَتَجَلَّى بها التَّفاؤلُ للمف　　　هومِ بالعيشِ فى حياةِ المعانى
وكأنَّ الوُجودَ حين تَلُوحي　　　نَ صلاةٌ فى رُوحِهِ الفتّانِ
كلُّ ما فِيهِ مُشْرِقُ النفسِ حتى　　　غُيِّبَ الموتُ فى حياةِ التَّفانى
ريشةُ الفنّ فى ضيائكِ تُحْيِي　　　نا وتُحْيِي الجمادَ بالألوانِ
فى خُيوطٍ منغومةِ الوَحْىِ تَخْتَا　　　لُ من الوَقْعِ فى نُهَى الفنّانِ
أنتِ أنتِ الحياةُ فى كُنْهِها الصّا　　　فى وليست فى الجِرْمِ أو فى الزّمانِ
خلدتْ فى القرون، لكنْ نراها　　　بنتُ طرفٍ رأى وبنتُ ثوانِ
وهى سحرُ الألوهةِ الغامرُ الخل　　　قِ ومُدْنِيهمُو الى الديّانِ !

* * *

أشرقى ! أشرقى ! فدتكِ الليالى !　　　واغسلينا طُهراً من الأحزانِ !

رسل الرجاء

( تحية النسور المصريين فى عودتهم الى العاصمة من انجلترا
يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٣ )

أقبلَ السِّربُ فأهلاً بالرَّجاءْ يتَهادَي بين أطيافِ السماءْ
قد بذلنا مِنْ ضحايانا له ما بذلنا من جُهودٍ ودماءْ
فاستثارَ اليومَ مِنْ عِزَّتنا واستعادَ اليومَ ماضى الكبرياءْ
وأتانا بعَزاءٍ ما لَهُ فى المعالى مِنْ نَظيرٍ فى العَزاءْ
هذه العزَّةُ لا شيءَ سوى رُوحِها يُحْيي نُفُوسَ الشهداءْ
عرفوها روحَ مصر المعتلى هضباتِ الجوِّ أو سَيْلَ الضياءْ
فاتحاً للنيلِ أنهارَ العُلى انما العلياءُ فى فتحِ الفضاءْ
فهتفنا والضحايا قبلنا فى هتافٍ مِن قبورٍ وسماءْ
وكأنّ الشمسَ لمَّا أشرقتْ ثم غابت فى تَهانٍ ورثاءْ
هو يومٌ جامعٌ أحلامَنا بين آمالٍ وآلامٍ سَواءْ

* * *

اهتفى يا مصرُ ما شئتِ اهتفى بحياةٍ لبنيكِ النُّبلاءْ !
هو يومٌ مِنْ تَفانٍ رائعٍ أو كيومِ الوَحْيِ عند الأنبياءْ
اهتفى ! هذى حياةٌ لم تكنْ غيرَ أحلامِ الشعوبِ السُّعداءْ
خلقتْها راحةُ العِلمِ كما خلقتها أنفسٌ تهوَى الفداءْ
ترفضُ الموتَ باطلالِ الثرى وتحييه بأبراجِ الهواءْ
مِنْ إباءٍ وطُموحٍ ولَظًى صوغُها ، والرُّوحُ روحُ الشعراءْ
واذا الشمسُ لها قِبلتها والهلالُ الحيُّ فى الافقِ اللواءْ

* * *

أقبلَ السِّربُ ولم يحملْ سوى  مَنْ لمجدِ النيلِ بالمجدِ كِفاءْ
فجرى والتاجُ ألاّقُ السَّنا  واستوى فوق صعيدٍ مِنْ وَلاءْ
أىُّ مجدٍ فاق مجداً باقياً  مِنْ قلوبٍ لم يروّعها الفناءْ ؟
أنصفتْ للعصرِ ما لم تستطعْ  فى أمانيها قلوبُ القدماءْ
أنصفتْ ما أنصفتْ مِنْ شُعلةٍ  أودعتها فى أمانينا ذُكاءْ
(عينُ شمسٍ) لِلْعُلى ما اكتحلتْ  بجمالٍ قد شأى هـذا العلاءْ
بنتُ ماضينا التى قد حفلتْ  مِنْ قرونٍ بفتوحِ العُظماءْ
ضحكتْ لمَّا تجلَّوْا وانتشتْ  بمعانى الثأرِ نُبْلاً والإباءْ
ليس مَنْ يثأرُ للمُثْلِ كمَن  يجعلُ الثأرَ فخارَ الجبناءْ
رفَّ ذاك الرمل فى أضوائها  كرفيفِ الحبِّ مِن فرط الظِّماءْ
وحروبُ النور فى أرجائها  لم يهادنها سوى هذا الرجاءْ
رحَّبتْ ملءَ حُبورٍ وسَنى  بِبَنيها الأذكياءِ الأوفياءْ
الالى هبُّوا وطاروا وأبَوْا  نظرةَ الخوفِ أماماً أو وراءْ
الأُلى لمَّا بنَوْا أحلامَهم  شيَّدوا الأحلامَ فى أعلى بناءْ
ألهمونا الشعرَ مِن أشعارِهِم  والأغانى فى صباحٍ ومَساءْ

## التركيز

( يرى الشاعرُ أن الألوهة قد تتجلَّى أشعتُها مركَّزةً فى آية من آياتها حسب تجاوب النفوس الانسانية ، كما تتجلى الشمسُ قاهرةً بتركيز أشعتها بالعدسة البلورية فتمثل نقطةُ التركيز الشمسَ وإنْ نأتْ جدَّ النأىِ عنها ، وكذلك تتمثل الألوهـة فى الجمال القاهر للنفس المتصوِّفة التى تتأثر به على ذلك النحو )

جمعُوا الأشعَّة رُكِّزَتْ فى نُقطةٍ  فكأنما هى إذْ جُمِعْنَ الشَّمسُ
وأراكِ أنتِ مِنَ الجمالِ الوَهـةً  جُمِعَتْ لديكِ وفى سَناكِ تُحَسُّ !

وتوهَّمُوا الالحادَ في ما خِلْتُهُ ونَسُوا تصوُّفَ مهجتي وحيـاتي
إنّي عرفتُ الشمسَ مَجْمَعَ ضَوْئِها والله فيـكِ نهـايةَ الآياتِ !

## حمام الفيلسوف

لا تُنْـكروا أحلامَ حَيٍّ شاعرٍ فهي التَّصَوُّفُ في الجمال تعالَى
نَبعَتْ شراباً للنُّفُوس لعلَّها تُسْمِي الرجالَ وتُنْضِج الاطفالاَ
عَبَـثِي هو الفنُّ الجميلُ ، ورُوحُه روحُ السُّمُوِّ وإنْ يُعَـدَّ ضَلالاَ
فتذوَّقوه وأَشْرِفُوا بتذوُّقٍ فالفنُّ أوّلُ مَنْ يَصُوغُ رجالاَ
وتألَّموا مِثْلي إذَا آلَمْتُكمْ بالطَّعن واختطفوا الفلاحَ عُجالَى
مهما شكوتُ أو استبحتُ معنِّفاً فأنا المُحِبُّ لكم هُدًى وكمالاَ
مهما يئستُ بثورتي فطبيعتي رُوحُ الحنانِ تُوَزِّعُ الآمالاَ
لا تَرْكَنُوا للوَهْمِ بين تَعَنُّتٍ فَجٍّ وأوهامٍ تَطيشُ خَبالاَ
أو تُسْرِفُوا كالفيلسوف مخرِّفاً حتى غـدا تخريفُهُ أمثالاَ

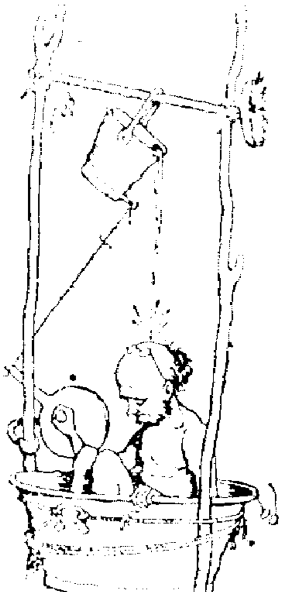

نسِيَ الوُجودَ وراحَ يَغنَمُ ذاهلاً حَمَّامَـه خرَفاً يُعَدُّ مُحَالاَ

فتراهُ في طستِ الغسيلِ وفوقَه ... سطلٌ ينقّطُ ماءَه إدلالاَ
وله جهازٌ كلّه عجبٌ ولا ... تدريه صِدقاً أم تراهُ خيالاَ
ويعُدُّ هـذا مِنْ مَبادىءِ علمهِ ... بينا الحيـاةُ تَضِجُّ منه وَبالاَ
والنّاسُ جِـدُّ المعجبين بحِـذقهِ ... ويُقلدون فُنُونَهُ استبسالاَ
فَتَضِيعُ دُنيـاهم وأخراهم معاً ... في الوهمِ ، يأبون الحياة مجالاَ
والدّهرُ يَضحكُ مِنْ صغارِ عقولهم ... وهُمُ الذين غَـدَوْا بها أبطالاَ !

## مواسم الفناء

أهـلاً بأعيادٍ نُسَرُّ بعودِها ... وبعودِها تغتالُنَـا الأيّامُ
كَتبَتْ صحائفَ موتنا بسجلّـها ... وتَعيشُ رغمَ مَمَاتِنَـا الأحلامُ
كلٌّ يُهَـنِّىءُ خِلّهُ وكأنما ... في التهنئاتِ السّخرُ والايهامُ
ما أعجبَ الانسانَ يخدع نفسَـهُ ... فَرِحاً وكلُّ نعيمهِ الأوهامُ !
والأرضُ تحتمل الشتاءَ فبعدَهُ ... يأتي الربيعُ وتُسْمَعُ الأنغامُ
أمّـا بَنُوهَـا الذاهبون فعمرُهُمْ ... جِيـلُ الفَـناءِ مَشَتْ بها الأعوامُ !

## الخؤونة

لَـئِنْ هانتْ الدُّنْيـا وهانتْ نُفوسُها ... فهيهاتَ مِثْلي يَشْـتَري مَنْ يَبيعُـهُ
وشتّانَ بين المُذْنِبِ النّادمِ الذي ... تَحَرَّرَ ممّـا قـد جَناه صَنيعُهُ
وبين الذي مَنْ طَـبْعُـه الغِشُّ دائماً ... سواءٌ لديهِ ضَحْـكُهُ ودُموعُهُ
وما كُنتُ مَنْ يَأبَى التّسَـامُحَ ، انما ... كفاني كفاني أنَّ قلبي صريعُـهُ
وليس مُسِيءٌ مثلَ مَنْ عاشَ خائناً ... تَمَلَّـكَهُ مِنْ كلِّ شيءٍ وضيعُهُ
فحسبي زمانٌ قد تَوَلّى بخدعتي ... وحَسْـبي وفاءٌ لم يَصُـنْهُ مُضِيعُهُ

## الإنسان الإله

أحببتُ فيكِ اللهَ حبّاً خالصاً … وعرفتُ معنى جُودِهِ وحَنانهِ
وغفرتُ زلاّتِ الأَنامِ لأنَّنى … ألقاكِ معنَى اللهِ فى انسانهِ
يا مَنْ تَعَلَّمْتُ المحبَّةَ للورَى … مِنْ حُبِّها وأَمِرْتُ مِنْ إحسانهِ
أنا عبدُكِ الحيُّ العبادةِ دائماً … والعبدُ موقوفٌ على دَيَّانهِ !

## أُستاذى المصوِّر

لا تَسأمى يا شمسُ مِنْ نظرى الى … هذا الجبينِ هنيهةَ الإشراقِ
هى لحظةٌ ، لكنّها لىَ حِقْبَةٌ … مِنْ نعمةٍ أُخِذَتْ مِنَ الخلاّقِ
اللهُ أُستاذى المصوِّرُ ، لا أرَى … إلاّهُ مَنْ رَبَّى عباقرةَ النُّهى
فى كلِّ يومٍ مِنْ عَجيبِ رُسُومِهِ … فِتَنٌ ، وليسَ لهنَّ يوماً مُنْتَهى
لَن يُخْلِدَ الرسَّامُ فى أصباغهِ … معنًى أجلَّ من ابتسامِ الشاعرِ
رُوحُ الفُنُونِ مُشاعةٌ فاذا بها … فى الرَّنمِ شِعْراً أو صوادحَ ساحرِ
الفنُّ رُوحٌ تَشملُ الكونَ الذى … يَتمازَجُ الاحساسُ فيهِ بوحدةٍ
فاذا الرسومُ قصائدٌ غِرِّيدةٌ … واذا الهياكلُ فى جمالِ قصيدةٍ
هـذى خفايا القلبِ ما أنا شاهدٌ … بشعاعكِ المتألِّقِ الوهّاجِ
قلبى على الظلماتِ يُشرق طيُّه … حُبِّى فيطردُ كلَّ همٍّ داجِ
وأعودُ قبلَ الفَجْرِ أرقبُ هائماً … هذا الشروقَ عبادةً وحياةً
متناولاً منه ذخائرَ مُهجتى … مِن قبل أنْ أجدَ الحياةَ مماتَا !

## لولاكِ !

لولاكِ لم أعرفْ مَحبّةَ خالقٍ ... عرفانَ قلبِ شاعرٍ ... لولاكِ !
ولعشتُ في الظلماتِ عيشةَ جاهلٍ ... نورَ الالوهةِ وزّعتْهُ يداكِ
ولَفُتُّ أسرارَ الحياةِ وما وعتْ ... للرُّوحِ والايمانِ والادراكِ
هِبةُ الألوهةِ أنتِ، بل ورسولُها ... للفنِّ، ثم مَلاكُها افتداكِ
أينَ المعاني للسُّموِّ إذا مضَى ... معنى الجمالِ ولم تزِنْهُ حُلاكِ ؟
ولمن أصوِّرُ ما أصوِّرُ شاعراً ... إنْ لم تُجِبْ أذناكِ أو عيناكِ ؟
انّ التجاوبَ والحياةَ تجاوُبٌ ... لكِ، فالحياةُ ونُورُها معناكِ !

## قلبي البالي

بحسبكَ ما ألقاهُ مِنْ قلبيَ البالي ... فما عمرُهُ عمري ولا حالُهُ حالي
أراه طعيناً فوقَ ما قد حملتُهُ ... مِنَ الطّعنِ في يأسي ولوعةِ آمالي
فهل عاشَ في شتى العصورِ التي خلتْ ... وهل ذاق ما يشكوه في الزمن الخالي؟!
وهل عرفَ الدنيا الكئيبةَ وانتشى ... من الهمِّ أضعافَ الذي ذاقهُ بالي
فأصبح يَرثي للأنام وحظِّهم ... ويصفو ويَشجَى كالشجيّ وكالخالي؟!
لكَ اللهُ مِنْ قلبٍ تخطّى معاركاً ... مع الدهر حتى بات كالأثرِ البالي !
له كلُّ ألوانِ الحياةِ وما لَهُ ... حياةٌ من الحظِّ المكافىء والعالي
ولم تكفهِ تلك القرونُ التي مضتْ ... فعاد يُعادِي كلَّ غِرٍّ وختّالِ
تمهّلْ ! هي الدنيا كما قد عرفتَها ... فدعْها فما فيها كريمٌ ولا غالي
وتكفيكَ هاتيكَ الجروحُ، فبرؤُها ... عزيزٌ، فما تسلَى وما أنتَ بالسالي !

## عالم الذهول

ضحكَ الصِّحابُ وربّما وَجِموا كما ... ضَحِكوا أمامَ تخيُّلي وذُهولي !
لِمَ يضحكون ؟ أليس ذلك عالَماً ... أسمى وأجْدَى مِن سفاسفِ قِيلِ ؟

كم يُنفق المتشدّقون حياتهم        في غيرِ محمودٍ ولا معقولِ
والحُلْمُ أولى بالتفاتةِ شاعرٍ        مِنْ عالمٍ مُتضائلٍ مخبولِ

## حنين الكهولة

رجّعتُ أنغامي كعهدِ صِباهَا        وفرحتُ بالقلب الذي غنّاهَا
ونظرتُ للدنيا التي أبدعتُها        في الحُلمِ أرقبُ عطفَها ورضاهَا
فاذا الصِّبا بين الخبايء مُعْرِضٌ        عني ، ولو أني خلقتُ غِناهَا
دُنيا الخيال تمرّدتْ ، وأنا الذي        قد كنتُ أحسبُ موئِلي بحماهَا !
ما روعةُ الأنغامِ مِن فمِ شاعرٍ        كالقلبِ إنْ فاتَ الزمانَ صداهَا ؟
تجِدُ الخُفُوقَ حنانَهُ ونُواحَهُ        يستصرخُ الآمالَ في مثواهَا
فتلفّتتْ وتضاحكتْ مِنْ جهلِهِ        وكأنه غِرٌّ يعيبُ إلَهَا !
والدهرُ مُستمعٌ اليه كأنما        بشجونهِ الدهرُ العتيّ تلاهى
غنّى ودُنيا الحرب شتّى حولهُ        في الأرضِ أو عِدَى السماء مَداهَا
واشتاقَ أيامَ الصِّبا ولو انه        يدري المآلَ لما أطاقَ لِقاهَا
خادَعْتُهُ بهوى الخيالِ ، وهل أنا        الا شريدٌ في الخيالِ تناهى ؟!
قد ماتت الأيامُ ، لا رَجْعٌ لها        كالمومياء ، فلو أفاقَ رثاها
أسفى عليها في تناوُحِ لهفةٍ !        فكأنها ذكرى تودُّ أباهَا !
والموتُ يحجبُها ويحجبُ عطفَهُ        عنها فردَّ نداءَه ونداهَا !

* * *

سقياً لأطيافِ الصِّبا وجمالها        حتى تُعيدَ الذكرياتُ شذاهَا !
رقصت بتجديدِ الصباحِ وربّما        لثمتْ بإشعاعِ الصباحِ شِفاهَا
ومضتْ إلى أقصى الكواكبِ خُلسةً        فكأنها ما أشرقتْ لولاهَا !
فاذا استمعتُ إلى هتافِ غائبٍ        للحبِّ خِلتُ بروحهِ مغناهَا

تاهت ببحر الغيب فوق كواكب ... كالشمس تحمل للزمان رؤاها
واستعذبت شعر الجنون نشيدها ... وأبى لنا شعر الجنون سواها !

## فى المعترك

عجبت من قلق فيما وجدت له ... وفى المعانى لكونى أو لأحلامى
أسائل الدهر عنها وهو مضطرب ... مثلى وأصحب كالمبهوت أعوامى
وأنتحى عن وجودى شبه منعدم ... فى الصمت ، والصمت آمالى وآلامى
فى حيرة وكأنى عالم يئست ... منه الحياة فعافت روحه الدامى
أبكى وأضحك فى نفسى فان بها ... من التناقض إيسارى وإعدامى
ما بين ضدين قد عاشت وليس لها ... من شاغل غير معنى عيشها السامى
تصدرت لهموم الناس تسعدهم ... وعوقبت بين أحباب وأخصام
ولو تسلت عن الدنيا ونقمتها ... ولم تبال بأنعام وأصنام
لقدسوها جميعاً فى رعايتهم ... ومجدوها بأفواه وأقلام !

* * *

يا للحياة التى استوعبتها شغفاً ... بها ، وفجرتها شعرى وأنغامى
أنا الحريص عليها وهى تنبذنى ... وكم تمزق صدرى عند إرغامى
وحامل الراية المحسود حاملها ... وهو الذى يتلاشى تحت أقدام
الرافع الرأس فى الحرب العوان وإن ... غدوت ما بين أشلاء وصمصام
ممرداً ورياح الدهر عاصفة ... مسوداً رغم خفض الدهر للهام
وثائراً بين صرخات يرددها ... تمنع الزمان الى ويلات أيامى
يكاد حب بقائى يستنير بها ... حب الفناء ، وحب الحق أوهامى
كأنما الموت والاوهام أخيلة ... من الجهال تعالت فيه عن ذام
كأنما طهر آلامى يحببها ... الى أو انها من نبع إلهامى
وهذه صور الأحياء صارخة ... باليأس صرخة هذا الصاخب الطامى !

### الصبر الجميل

ركوا مطاردة الوحوش وآثروا صيد ابن آدم مرهقاً وذليلا
كم من جوع ليس تعرف عيشها إلا الأسى والموت والترميلا
ساد الجبابرة الطغاة ، وسلحوا بالغدر ، وابتدعوا «السلام» دليلا
وهم الذين تمثلت نعماؤهم فى الحرب تحصد أمة وقبيلا
هذا هو الصيد الحلال بعرفهم لم يصطنع شرحاً ولا تأويلا
والناس تشكو ثم تشكر : ما لهم عقل ، وهل تدرى الجوع عقولا ؟!

### اللوام

ما أكثر اللوام حين شقاوتى عيشى وحين تحجبى سلوانى
كل يرى العانى أحق بأن يرى فى الهم شبه مهرج متفانى (١)
يا للأنانى الذى لا يستحى ويلوم ثم يلوم وهو الهانى !
أوما كفى عمرى الذى ضحيته للمبدأ السامى وللانسان
حتى أسخر فى تحيات الورى وأنا أكافح مفرداً وأعانى ؟!

### فلسفة الحب

( مقتبسة من الشاعر الانجليزى المشهور شلى – P. B. Shelley )

الينابيع فى مدى النهر تنصب وفى البحر تذهب الأنهار
ورياح السماء بين امتزاج وحبور ، فما لهن نفار
ليس شئ فرداً ، فهذى جميعاً رهن قدسى شرعها فى امتزاج
فلماذا وهذه سنة الخلق كلانا يحيا بغير اندماج ؟ !

---

(١) متفانى : بمعنى devoted ، يعنى واهبا نفسه للتهريج .

انظرى للجبالِ قبّلتْ الاوْجَ وهـذى الأمواجَ بين احتضانِ !
لن تنـالَ الغفرانَ فى الزّهرِ مَنْ عافتْ شـقيقاً لهـا على الحرمانِ !
تلثِمُ الشمسُ بالأشعةِ هـذى الأرضَ ، والبـدرُ هذه المَوْجَاتِ
أىُّ معْـنى لها إذا لم تجودى بالحبيبِ الشهىِّ مِنْ قُبُلاتِ ؟ !

## الزمان

( مقتبسة من شلى )

أيُّهـذا البحرُ الذى ما لهُ غوْرٌ ويا مَنْ أمواجُهُ السَّنَوَاتُ
يا خضَمٌ الزمانِ أمواهُكَ اللوعاتُ ، للناسِ مِلْؤُهـا العَبَرَاتُ
لذعَتْ بالشَّجَى ، وأنتَ بلا حَـدٍّ زعيمٌ على حـدودِ الفناءْ
بين مَـدٍّ وبين جَزْرٍ تَعافُ الصيدَ جمّاً وتَستزيدُ العطاءْ
ثم تمضى تمجُّ منكَ حُطاماً عنـد شطٍّ مِنَ العُبوسةِ أظلمْ
أنتَ عند السكونِ يعلوكَ الغـدرُ وعند الاعصارِ عاتٍ تجهّمْ
مَنْ ترَى ذلك الذى سوف يمضى جارئاً خائضاً عُبابَكَ فِكرهْ ؟!
أيها البحرُ ! أنتَ يا مَن عجزنا عن مَدَاهُ ، فليس يُسْبَرُ غَوْرُهْ !

## طائر الحبّ

سمعتُكَ هاتفـاً عندى	ولـكنْ لم أزلْ وَحْدى !
أفتِّشُ عنكَ فى قُربٍ	فهل فى القُربِ مِنَ بُعْدِ ؟!
وأبحثُ عنك مِنْ وهمى	على غُصنٍ ، ومِنْ وَجدى
وأتبعُ جارياتِ السُّحْـ	ـبِ فى خوفٍ مِنَ الصَّيْدِ
وأرْجِـعُ سائلاً تَخلى	عليك ، وسائلاً وَرْدى
وهذا البـدرَ وهو يَسبـ	ـحُ فى الدُّنيـا مِنَ المهْدِ

وموسيقى الكواكب وهى تصدحُ صدحةَ الخُلْدِ
وأطيافَ الضياء وكم تُصاحبُنى على سُهْدِى
فألقاها مُحَيَّرَةً وشاردةً بلا رُشْدِ
كأنَّ جميعَها يحنثُ عليكَ وأنت فى زُهْدِ!

## أمير الصعيد

(تحية صاحب السموّ الملكى الأمير فاروق لمناسبة اسناد
إمارة الصعيد الى سموّه فى يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٣)

أميرَ النيلِ والوطنِ المَجيدِ لتهنأْ بانتسابكَ للصَّعيدِ
بلادٌ يستعزُّ (خنومُ) فيها بمعنى الحَزْمِ والبأسِ الرَّشيدِ
وقد وُلِدَتْ بها أحلامُ (مينا) فأسَّسَ دولةَ المجدِ التليدِ
كما عَرفتْ قِنَا (هاتورَ) رمزاً لمعنى الصدقِ والنُّبْلِ الأكيدِ
وتاهتْ للخُلودِ (بأخنتونِ) إمامِ الحُبِّ للرَّبِّ الوحيدِ
كما أوْحَى (تحوتُ) لها حياةً مِنَ العرفانِ والنُّورِ السَّديدِ
معابدُ للفخارِ بكلِّ ركنٍ ودورٌ أهلُها أهلُ الخلودِ
فانْ نُسِبَتْ اليكَ فأنتَ منها بنسبتِكَ الفريدُ الى الفريدِ
فتيهِى يا رُبوعاً تَوَّجَتْها أيادى الشمسِ بالشَّعرِ النضيدِ
وعِيشى للامارةِ ذُخرَ مِصْرٍ فانك أنتِ مُلهِمُ كلِّ عيدِ

## ليالى الخريف

أُشْعِلَتْ بالنُّجومِ ملءَ سُكونٍ وصَفاءٍ تخلَّيا عن حَياةِ
فكأنَّ الطبيعةَ الآنَ قامتْ تحتفِى فى جنازةِ الامواتِ
قد تولَّى عامٌ وكم فيه مِنْ عُمْـ ـرٍ تولَّى ومِنْ عناءٍ وقَصْفِ

فاذا المـوتُ عامـرٌ كلَّ شيءٍ ... بجمالٍ قد جلَّ عن كُـلِ وَصْفِ
كلُّ شيءٍ ساجٍ ، وحتى نسيمُ الـ ... ـلِيلِ مَـيْتٌ يَطوفُ كالأطيافِ
وله نَفْحَةُ البُرودةِ تحكى ... نفحةَ الموتِ فى الوجُودِ الخافى
آهِ اكم لى مِنْ راحـةٍ بوقوفى ... فى أعالى السُّطوحِ أرنو وحيدَا
أرقبُ الـكونَ مثلما يَرقُبُ الحا ... لمُ مَوْتَـاهُ وهو يَفْنَى شريدَا
أتَمَلَّى الحياةَ نشوانَ فى الصَّيْـ ... ـفِ وفى لهفـةِ الربيعِ العجولِ
واحِبُّ المماتَ ملءَ خريفٍ ... وشتاءٍ فى عاصفٍ مِنْ عويلِ
هو دِينى الذى تَصَوَّفْتُ فيـهِ ... وعليـهِ أموتُ حـين أموتُ
حَبَّبَ العيشَ لى كما حَبَّبَ المو ... تَ فناجَى الفؤادَ هذا السكوتُ !

## السماء الشاعرة

كأنَّ دُموعَها وصَدَى جواها ... صَدَى العانينَ مِن بينِ الأنامِ
وكم غُولٍ ينوحُ بها طريدًا ... مِنَ الأرضِ الغنيَّةِ بالآثامِ
وقد هجرَ الملائكةُ الحيارى ... مَنازلَها وغابوا فى الظَّلامِ
فباتت مثلَ هذى الأرضِ يأساً ... وأعلَن يأسَها فزَعُ الغمامِ
وسَحَّتْ ألسُنٌ بالشعرِ فيها ... فِصَاحاً بالدُّموعِ وبالضِّرامِ !

## ما تم صاحبى

كثرتْ بلا حصْرٍ همومى كثرةً ... أنستنىَ الدُّنيا وحَقَّ حياتى
وصفحتُ عن لُؤمِ الجُناةِ ولم أزلْ ... ألقَى من الأصحابِ لُؤْمَ جُناةِ
أصبحتُ أحوجَ ما أكونُ الى مَدَى ... مِنْ عُزْلةٍ قُدْسِيَّةٍ للرُّوحِ
عَلَّى وحيداً أستطيعُ شفاءَها ... ممّا تُعانى مِنْ أسًى وجُروحِ
والناسُ حتى فى عنائى استعذبوا ... لؤمى كأنّى لستُ غيرَ سَميرِهِمْ

لا يرحمون مكبَّلاً بقيودهِ ... عاش الضمينَ لخيرهِم وحبُورِهِمْ
والآنَ لا أرجو كثيرَ نوالهِمْ ... لكنني أرجو السلامَ بعزلتي
فلِمَ الملامُ وما ألوم معذِّبي ... وأنا الوحيدُ لدى تمامِ مهجتي ؟

## الفنان اليائس

تأمَّلَ في كونٍ يَرَى الموتَ شاملاً ... له ، ويَرَى مرآهُ نظْماً بلا مَعْنَى
وهيهاتَ يَدْرِي هل هو المَيْتُ مثلَه ... أم الميتُ مَنْ بالجسمِ عن رُوحهِ استغنى
كأنْ أفلسَ الكونُ العظيمُ فلم يَجِدْ ... سوى الموت عوناً حينما افتقدَ العونَا
ومِنْ عَجَبٍ مِلْءَ السُّكُونِ عواصفٌ ... وملءَ الظلامِ اليأسُ قد أرهق الظَّنَّا
هواجسُ تجري ثم تمضي طوائراً ... حَوَاليْهِ كالأشباحِ تسلبُه الأمْنَا
أيشكو من الناس الأُلَى ليس بينهم ... سوى ميْتٍ هيهات يستأهل الدَّفنَا !؟
أم الدَّهرُ مَنْ يُشْكَى وقد ماتَ مثلهم ... وأشلاؤه يُبعثَرْنَ قرناً شأى قرْنَا !؟ ا
بَكى ما بكى لكنْ بعزَّةِ مؤمنٍ ... رأى الكونَ ظُلماً للحقيقة أو غَبْنَا
تجرَّداً لكن كالسفيهِ مشرَّداً ... يَهدُّ ويَبني ما يَهدُّ فلا يُبْنَى ا
ولا غايةٌ يَرْمِي اليها وطالما ... انِيلَ من الأعذار ما بَعْدَه جُنَّا
فأفسدَ إفسادَ المرَّدِ ذاهلاً ... عن الحُسْنِ حتى بدَّدَ الحقَّ والحُسنا
وقد نالَهُ غولُ الفناء ، وإنّه ... على الرغم يأبى أن يُقيمَ له وزْنَا
فلم يَبقَ الاَّ هيكلٌ من كيانهِ ... يدلُّ عليه بَعْدَ أن لم يَعُدْ كَوْنَا
وشَرٌّ من الموت الأكيدِ مسخَّرٌ ... لدى الموت إذ تلقاه يفني ولا يَفنى ا

* * *

بكى بؤسَه في ليلهِ وهو ما دَرَى ... أفي الوهمِ يبكي أم بكى ما رأى عَينَا
وهل كلُّ شيءٍ ميتٌ وهو وحْدَهُ ... فبات يتيماً لا حبيب ولا مَغنَى
أم الدهرُ يلهو بالشقاوةِ حَوْلَه ... طروباً ، وبالاحداثِ والناسِ مفتَّنَا
فان كان ، فليدفعْ أذى الدَّهْرِ لاهياً ... به مثلما يلهو ، فينصفْ به الفنَّا !

## السابقة الاولى

( فى تهنئة الآنسة لطفية النادى وقد نالت جائزة الشرف فى
سباق الطيران الدولى بين القاهرة والاسكندرية ذهاباً وإياباً
يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ )

أنتِ زينُ السابقاتِ فى التَّسامى بالحياةِ
لم يَعُدْ للأرضِ شأنٌ فى الشعوبِ الخالداتِ
كلّما ثارت إلى السُّحْبِ على رغمِ المماتِ
كلّها دانتْ بدينِ الثأرِ من أرضِ مَواتِ
قد عشقتِ الجوَّ حتّى عِفْتِ أسبابَ الثَّباتِ
وتَنفَّسْتِ التَّعالى مِنْ مَعالى الكائناتِ
أنتِ يا عنوانَ (مصرَ) فى هَوَى للمجدِ آتِ
هكذا تعتزّ (مصرٌ) بكِ بين المُحْسِناتِ
كم تُعانى الفقرَ والحرمانَ من دُنيا الجُناةِ
هل يُزيلِ الضَّيْمَ الاّ مثلُ هذى الوثباتِ
مِنْ قلوبٍ عامراتٍ ونفوسٍ ثائراتِ
لا نَرَى السُّخطَ كفيلاً بالغِنَى دونَ الهِبَاتِ؟!
انما الأمةُ تحيا بتوالى التضحياتِ
بجُهودٍ مُلهماتٍ وهُمومٍ مُغْنِياتِ
إمْرَحِى يا مِصْرُ! تِيهِى بِعُلَى مِصْرَ الفتاةِ!
حَوَّمَتْ فوقَ نُسورٍ لا تُبالى بالنَّجاةِ
وبَنَتْ فى الجوِّ ذكراً مِنْ أعاجيبِ البُناةِ

* * *

طِرْتِ لكنْ بين آلافِ القلوبِ الطائراتِ
كلُّها ترعاكِ بنتَ (النيلِ) فى أبْهى تُقاةِ
طِرْتِ كالالهامِ لكنْ فى مَسيرِ النّيِّراتِ
فى سماءٍ مِنْ شُعاعٍ ودُعاءٍ وصَلاةِ
وخَطَفْتِ النّصرَ بالجُهْدِ برغمِ العَقَباتِ
فى مَدًى كالحُلْمِ قد أهدتْهُ أحْلَى اليَقَظاتِ
لحظةٌ للمجدِ عندى هى أسنى اللّحَظاتِ
شَرَّفَتْ أبناءَ قومى فهى أوْلَى بحياتى !

## سنتكلوز

مدحتُ (سَنْتِكُلُوزاً) مُداعِبا أطفالى
لحدَّثونى طويلاً عن خُلقِهِ المتعالى
وكيف يبدو خَفِيّاً بهمْ بدنيا الخيالِ
وإنْ تحجَّبَ عنهم كأنّه لا يُبالى
قالوا : تحجَّبْتَ عنّا وأنتَ رهنُ اشتغالِ
فلا نراكَ نهاراً ولا طوالَ الليالى
أأنتَ (سَنْتِكُلُوزٌ) منوَّعَ الاشكالِ
أم والدٌ لا يُرَجَّى جَنَتْ عليه المعالى ؟!

* * *

يا ضيعةً لأديبٍ مُسَخَّرٍ للجمالِ
يقتاتُ منه ويقضى حياتهُ فى ابتهالِ
وللسلامِ يُغنّى وللاخاءِ يُغالى
يَنْسَى ذويهِ ويفنى على ضنًى واشتعالِ

ويخدمُ الناسَ لكنْ يُذمُّ في كلِّ حالِ
فجدُهُ مِنْ خيالٍ وحظه مِنْ مُحالِ !

## مُحال !

مُحالٌ أن تحاولَ هدْمَ حُبِّى ... وإنْ لم ألْقَ بين الناسِ حُبَّا
صَفحْتُ عن الخُصُومِ وإنْ أساؤوا ... وكادُوا واعتبرتُ الكلَّ صَحْبَا
لَهُمْ أسَفِى وإشفاقى وقَلْبِى ... وإنْ لم يَعرفوا أسَفاً وقَلْبَا
ومهما خِلْتَنى أشكو بيأسى ... ذُنوبَ الناسِ خِلتُ اليأسَ ذنبَا
سيَطوينا الزّمانُ ، وكلُّ ذنبٍ ... سيمحوه الزّمانُ لِمَنْ تأَبَّى(١) !

## أُنشودة الحزين

لا الظلُّ ظلٌّ ولا الأضواءُ أضواءُ ... إذا تَناوبَ نفسى الهمُّ والداءُ
فزعتُ حُزْناً الى أمٍّ كلفتُ بها ... كما تدفَّقَ فى أحضانها الماءُ
أنا الذى فُتُّها فى دَمْعِها نزقاً ... فطوّحَتْنى تعلاّتٌ وأهواءُ
ورُحْتُ أنفق عمرى دائباً فَرِحاً ... للناس ، والناسُ للاحسانِ أعداءُ
فعدتُ واليأسُ يشقينى ويقتلنى ... وللطبيعة إشفاقٌ وإحياءُ
تعود نفسى الى مَجْلَى عنايتها ... كما تعود الى الأفنانِ ورقاءُ
بات الخريفُ ربيعى بعد ما كفرت ... تلك النفوس بطبي وهى شوهاءُ
أعودُ أمنحها رُوحى وتمنحنى ... روحاً جديداً يناجيه الأَلِبَّاءُ
ما لى وللناس أحييهم وأعبدُهم ... وكلهم ساخرٌ بالسوء مشّاءُ ؟ !
إنى لغافرُ ما قالوا وما صنعوا ... كما حبا بالأغانى المرْهِقَ النَّاءُ(٢)
لكننى عازفٌ عنهم وإنْ وُهِبَتْ ... نفسى لهم كيفما شاؤوا وإن ساؤوا

---

(١) لمن أبى الصفح (٢) الناء : الناي ، يشير الى جوده بالموسيقى كلما ارهقه صاحبه.

إنى لملكَ لنوعى (١) لستُ أجحدُهُ ... ولو جزانىَ ضرّاءً وضرّاءْ
فى عُزلةٍ كصلاةٍ لا انتهاءَ لها ... حين الطبيعةُ بكاءٌ وغناءْ
اعطى زكاةَ حياتى ما أخلّصُه ... مِنَ الحياةِ واعطى الحبَّ مَن شاؤوا
عييتُ بالناسِ مِنْ لؤمٍ يساورُهم ... وما عييتُ بما تجنيه أنواءْ
هلمَّ يا نورُ واغمرنى فقد ظمئتْ ... رُوحى اليكَ ، ففى مَعناك صهباءْ
ويا ظلالُ أعيدى كلَّ ما فقدتْ ... رُوحى فعندكِ للارواحِ أصداءْ
ويا طبيعةُ غذّينى مسامحةً ... فانّ أنفسنا لولاكِ جرداءْ
لولاكِ لولاكِ ما كانت مشاعرُنا ... ولا بكت فى وداعِ الأمسِ حواءْ !

## صومعتى

إليكِ ألجأ يا أفياءَ (٢) صومعتى ... بعد الذى ذُقْتُ مِنْ صحبى وأيامى
هى حياتى سلاماً منكِ أعهدُهُ ... ترعرعتْ فيه أطيافى وأنغامى
لقد سئمتُ هواءً كاد يخنقنى ... مِنَ الرياءِ وكم عانيتُ أسقامى
كما سئمتُ ضياءً كلّه ظُلَمٌ ... فعُدْتُ أوثر ليلى بين أوهامى
ما لى ودُنْيا تسامَى للجُحودِ بها ... مَجْدٌ ، وهانَ الحِجا مِنْ مَجْدِهِ السّامى
تَشْقَى وتَشْقَى حياةُ المصلحين بها ... وكلهم بين أهليها كأيتامِ
ويُرْجمُونَ مِراراً كلّما ضمَدُوا ... جُرحاً ، وكلٌّ بقلبٍ مُثْقَلٍ دامى
دُنْيا غُرورٍ ولُؤمٍ لا يُهذّبُها ... عَصْرٌ ولا حَمْلُ أعباءٍ وآلامِ
دُنيا الغرائزِ ما زالتْ طبيعتُها ... طبيعةَ الجُحودِ فى حربٍ وآثامِ
نفنى الضحايا لها ، لكنْ بلا أملٍ ... حىٍّ ، فآمالُنا أضغاثُ أحلامِ !

---

(١) النوع الانسانى (٢) افياء : ظلال

# الينبوع

## دراسات أدبية

لو انصف الشعراء ما قنعوا بما
خلقوه من شعر ومن تصوير
كم فى الحياة مجدد لايقتنى
ولكم حقير وهو غير حقير

ابوشادى

# أبو شادى الفنان

الفنّان زهرة لا تنبت إلا وسط الشوك ، وما أنْ تشرق فى الكون حتى يأخذ الشوك يؤذيها ، الى أن يحين لها أن تذوى فيبكيها .

وأبو شادى فنّان كان عليه أن ينبت وسط الشوك ، وكان على الشوك أن يؤذيه ، وإنه لعزيزٌ علينا أن يحين يومٌ فيه يبكيه . فليرضَ إذنْ أبو شادى بالعيش مضطهَداً. فالخيرٌ له أن يكون محسوداً من أن يكون حاسداً. ولْنرضَ نحن له ذلك ، فلأَهون علينا أن نحقد على الشىء من أن نتوجع عليه .

وأبو شادى — ككل فنّان — قد وهبَتْهُ الطبيعةُ قلباً يسَعُ العالمَ كله . فهو يحب نفسه ، ويحب أصدقاءه ، ويحب أعداءه . . . هو يحب الكون بأسره ؛ لأَنه يؤمن بما بين وحداته من انسجام يجمع ما بينها ويؤلف منها فى النهاية كلاً لا يتجزأ . ولذلك فهو يتسامح مع خصومه ويقابل إساءاتهم بالاحسان ، وكأنى به يقول لهم وهم يصوّبون اليه السهام : افعلوا ما بدا لكم فانى الرجل الذى أحبّ أعدائى !

وأبو شادى لا يستسلم إلى الخصومات ولكنه يستهين بها . وهو لا يخشى خصومه ولكن يُشفق عليهم ، ويجرّد لهم من حنانه سياجاً تتلاشى عنده سهامهم ، فاذا به كأنه ما رُمِى وكأنه ما أصيب ! ثم ينطلق يرسل لنا من نفسه المتوقدة شعراً كالشرر ، فينير لنا الأفق ويُذكى فيه حرارةَ الحياة . فأبو شادى ذلك الشاعر الذى لم يزل بعد فى مقتبل العمر ، قد ألّف ما يقرب من عشرين ديواناً ورواية شعرية وأسس ثمانى جمعيات ، وأصدر خمس مجلات ، فقام بمفرده بما لم تقم به هيئةٌ قويةٌ ، وحقق فى عشر سنوات ما لم يحققه غيره فى جيل .

واذا كان فى أبى شادى عيبٌ سبّب له خصومة الناس ، فهو أنه — شأن كل عبقرى — سابق لزمنه ، غريبٌ عليه . هو يرى فى الكون أكثر مما يراه سواه ، ويسمع فيه أكثر مما يسمعه غيره . فاذا ما مضى يصوّر للناس ذلك الذى رآه ويتغنى بذلك الذى سمعه ، أنكر عليه هؤلاء أمره وناصبوه العداء . ولو عقل الناسُ لانقادوا الى العبقرىّ وسموْا الى مستواه بدلاً من ان يحاولوا إنزاله الى

حضيضهم ، ولكن بم كان يمتاز أبو شادي عن غيره لو أن الطبيعة وضعت في الجمهور ذكاء العبقري ؟ !

فأبو شادي عبقري سابق لزمنه ، ولكنه ما ينفك يجاهد كي يرغم زمنه على اللحاق به . ولكن عداء الجمهور للفكرة الجديدة داء شائع قديم فيه . وهو لا يرجع إلى عيب في الفكرة وإنما الى قصور في عقله المحدود عن إدراك قيمتها . فالهوة بين عقلية العبقري وعقلية الجمهور هي وحدها التي تشوه جلال الفكرة العظيمة . ولو أن الناس فطنوا إلى أن ما هو اليوم رأى الأغلبية كان بالأمس رأى الأقلية ، لأدركوا أن ما هو اليوم رأى الأقلية قد يكون في الغد رأى الأغلبية ، وإذن لاستقبلوا الفكرة الجديدة برباطة جأش أكثر مما يقابلونها به الآن ، ولكفوا عن الحملة على أبي شادي واطمأنوا الى شعره واستراحوا اليه .

هناك في عالمنا المحسوس يزاحمنا عالم آخر شعري . وهذا العالم الشعري على توثق اتصاله بنفوسنا ليس في وسع عقولنا أن تدرك كنهه . فنحن لا نفهمه ولكن نحسه ، ولا نعرفه ولكن نأنس اليه . والشاعر هو ذلك الشخص الذي يقوى عنده الاحساس بهذا العالم ويحاول أن ينقل الينا رسالات طريفة منه .

ولما كان الشعر ينقل الينا العالم غير المحسوس ، كان من الطبيعي ألا يكون المنطق — الذي هو السبيل للتعبير عن المحسوس — هو الأداة التي ينقل بها معانيه ، وأن يتخذ له أداة تتناسب مع لون العالم الذي يصوره ، ولذا كان الايقاع وحده ، وما يحدثه هذا الايقاع من تأثيرات مختلفة على النفس ، هو السبيل الذي يستمد منه الشعر معناه ، مثله مثل الموسيقى تحمل أنغامها الوحي الذي ما يلبث أن يؤدي الينا الرسالة.

فانسجام الالفاظ وحدها وما يستتر وراء هذا الانسجام من سر خفي هو القوة التي تلهم القارىء المعنى الذي يضمره الشاعر . فالشعر هو تنسيق للألفاظ بطريقة تركز فيها الالهام وتمزجها به حتى اذا ما خاطبت النفوس نقلته اليهم عن طريق الايحاء لا الاقناع .

فالشعر لا يعرف المنطق لأنه لا يخاطب العقل الواعي وإنما يخاطب العقل الباطن ، وما بالعقل الباطن قدرة على الفهم وإنما قدرته على الاحساس . فالشعر لا يفهم ولكنه يحس . والشاعر عند ما يتفاعل بنفسه مع الوجود فيحلله ، لا يعي ما انتهى اليه من

تحليل . وانما يُلْهَمُ المعنى الهاماً لا يتعدّى محيط احساسه الباطن ؛ فيودع هـذا الالهام شعره الذى يظل سراً غامضاً ولكنه سرّ يفسّر فى الواقع نفسه بنفسه .

فالشعر لغة الاحساس ، والاحساس ينقل المعانى الى الانسان بأكثر مما ينقلها اليه الفهم . وهو يمزج الفهم بالطرب تارة وباللوعة أخرى ، وليس أحبّ الى النفس من أن تطرب وتلتاع . لذلك كان الشعر أسمى معنى فى الوجود ، وكان الشعـراء حاملوه أعظم مَن فى الخلق .

فمن خصائص الشعر اذن الغموض ، ولكنه الغموض الذى يحمل فى نفسه المعنى . فالشعر اذا نزع الى التحليل والاقناع المنطقى فقد خاصيته واستحال علماً . وما من إنسان الا وقد وهبته الطبيعةُ قدراً من الشعر ، لأن الشعر طبع فى الانسان ، ولكنّ شاعرية الناس تختلف ، وعلى قدر هذه الشاعرية تكون قدرة الانسان على تذوّق الشعر ، ولذلك فان التجاوب أكثر ما يكون بين الفنان والفنان .

ومجرّد كون الانسان عالماً أو ذكياً لا يكفى لأن يكون قادراً على تذوّق كل ما فى الشعر من روعة ، ما لم يكن قد وُهب بين جنبيه نفساً شعـرية . لذلك وجب ألاّ يتصدى لنقد الشعر الا مَن كان فنّاناً بطبعه . فالعلم غير الشعر والعالم غير الشاعر كما أن المتأدب الذى له المام واسع بالأدب غـير الأديب المطبوع الذى إنْ فاته أن يعى ما قاله غيره فيه الا أنه قادر بنفسه على أن يقول . وما الفرق بين الاثنـين الا كالفرق بين الفوتوغراف والرسّـام : فالأول يقتصر على حفظ ما التقطته الفوتوغرافية من الطبيعة ، أما الثانى فهو يلتقطها بنفسه ، وقد يبدع فيها أيضاً من عنده . فالجلد والاطّـلاع والذاكرة التى هى عُدّة المتأدب ، غير الحساسيّـة التى هى عدة الأديب ، وليس للأول أن يطمع فى أن يكون أكثر من راوية للثـانى ، لا أن يكون ناقداً له ، والا اختلّ ميزان النقد الأدبى واختلط الغث فى القول بالسمين .

وليس للشعر مقاييس يقاس بها لأن القياس من أعمال العقل والشعر لغة النفس ، فقيمة الشعر تقاس بمقدار وقعه على النفس ومدى شجاها منه . لذلك فانى عنـد ما أبدأ أتناول ديوان ( الينبوع ) بالنقد — وقد أوشكت على ذلك — سوف أكتفى بعرض نماذج من شعره مصوّراً تأثّرى الشخصى بها دون ان أحاول قياسها بمقاييس ما ، لأن الجمال كما قدّمتُ فوق القياس . ان الجمال الانسانى نفسه ليسمو فوق التعليل : فلا القدّ الممشق ولا الشفاه القرمزية ولا الأهداب الطـويلة هى

التي تبعث الفتنة في القلب ، وانما الفتنة في تلك القوة الخفية التي تشرق من وراء ذلك المجموع . تلك القوة التي يسمونها شخصيةً أو نداءً جنسياً ، وقد لا يكون هذا ولا تلك ، فجمال الفن ليس في انطباقه على قواعد معينة فحسب ، وانما في ذلك السر الذي تودعه فيه نفسُ الفنان .

خذ مثلاً البيت الآتي من قطعة « الصبا المبعوث » مع ملاحظة أن الضمير في الكلمة الاولى منه عائد على العمر :

وأحبُّهُ ذاك الشباب المنطوى ولديكِ أنتِ خيالُه المفتنُّ

يتذكر الشاعر في هذا البيت أيامه الماضية ويتمثلها خيالاً في طيف حبيبته ( أو في طيف ابنتها العزيزة لديه لأنها تمثل زمن اغترابه عن أمها الحبيبة ) . انه يحب شبابه ، وشبابه هذا متعلق بحبيبته التي أشرقت معه وغربت معه . لذلك هو يحب طيف حبيبته لأنه يرى فيه شبابه ، وقد يكون أحبَّ شبابه لأنه رأى فيه حبيبته . وهذه الحيرة التي يتركك الشاعر عندها هي مَثلٌ لذلك الغموض الشعري البديع الذي حدثتك عنه والذي هو من خصائص الشعر الجيد — ذلك الغموض الذي يُفعم نفسك بالاحلام ويُشعل فيك لهب العاطفة والفكر معاً .

ثم أنظر في قطعة « عيون المنصورة » حين قال متحدثاً عن روحه وهي تناجي العين الجميلة :

تناجي ظلَّها الحاني ونوراً حائراً فيها
وكم في الظلِّ والأنوا ر من أحلامٍ اناجيها

أرأيت كيف وُفِّق الشاعر الى ان يعكس لنا صورة فتانة للعين تحتوي أبدع ما فيها ، وكيف أن هذه الصورة ولو انها تكاد تكون مقصورة على عرض المنظر جاءت أبلغ في تعبيرها عنه من التحليل . لقد ذكَّرنا الشاعر بأن في العين ظلالاً وانواراً ، وان هذه الظلال والأنوار حائرة ، وانها مليئة بالأحلام ، وان من هذه المجموعة الفذَّة يتألف سحر العين . لقد ذكرنا بكل ذلك بأسلوب ينقل الينا بطريق الايحاء القويّ كلَّ ما في العين من جمال .

والآن فلانتقل بك الى قطعة « الأم الحنون » :

ضمَمْتِ الكمنجة مثلَ ابنةٍ وادَّبْتِها ثُمَّ لاعبتِها

وهذى الأناملُ تجرى عليهـا حنانا يُنوّع من صوتها
فمنهـا السرورُ ومنها البكاءُ كأنك بالعزف عاقبتها
ومن قوسها المستحبّ العزيز تُثارُ البلابلُ من صمتها
فيا عجباً بين أم حنون وبين التدلّل من بنتها
تذوقُ الحياة بألوانهـا أغانىَ تَعْبُدُ فى ذاتهـا

كم كان بديعاً أن يشبه النغم بالبلابل ! وكم كانت بديعة كلمة « تُثار » ! أجلْ إن القوس لا يلبث أن يمرَّ على الكمنجة حتى تتدفقَ منها الأنغامُ متتابعةً فى شبهْ ثورة . كذلك كان تشبيهه النغم بالتدلُّل غاية فى الجمال ، فكلاهما مُغرٍ ومحبَّب الى النفس . ولم يشأ الشاعر أن يعلل لنا سبب عبادتنا للأغانى فقال : « أغانى تعبد فى ذاتها » لأن الجمال — كما قدمنا — يسمو فوق التعليل . ولكن الشاعر ببراعته فى كيفية إقراره بالعجز عن التعليل قد أتاح لنا الفرصة للاحساس بماهية ذلك الجمال بأكثر مما لو كان قد عبّر عنه .

ثم انظر ما ذا قال الشاعر فى قطعة « رثاء الجمال » :

أنشدْ رثاءَ الأمانى أيهـا الفانى واندبْ مآلَ الجمالِ الضاحكِ الهانى !

انه ذكّر من يخاطبه بالفناء مرتين : فناؤه عند ما قال له « أيها الفانى » ثم فناء الأمانى ، عند ما طلب منه أن يرثيها . وفى جمع هذين المعنيين منتهى البراعة فى التصوُّر ، لأن فناء الأمل ما هو إلاّ فناء بعض الانسان لأن الأمنيـة تكوّن جزءاً من النفس . فالانسان منا يشهد نفسه يموت فى شخص أمانيه عند ما تذوى فيرثى فى نفسه ذلك المعنى الفاتن :

ثم انظر هذه الرقة التى تنساب فى حُنوٍّ كخرير الجدول ، عند ما أخذ صف الغليون الذى أهداه اليه صديقه الشاعر الفنان الدكتور ابراهيم ناجى .

يا حبيبى إنَّ ما تُهديه أسمى من هديَّهْ
كُلُّهُ لى ذكرياتٌ وأناشيدُ شجيَّهْ
حبذا الغليونُ من رمزٍ الى الروح النديهْ

ثم انظر الى الفلسفة فى قوله فى قطعة « الجمال النبيل » من ان الدنيا مجرد أنوار

وظلال ، وأن انسجام هذه الأنوار والظلال هو وحده الذى يخلق من الحياة معنى :

فما الدنيا سوى نورٍ وظلٍّ     وقد خُلِقنا كخلقِ المستحيلِ
وقد جمعا لديك على انسجامٍ     كوقعِ النورِ فى اللحظِ الكحيلِ

ولعلك تحسُّ فى الأبيات الآتية من قطعة « الينبوع » انسكاب الموسيقى حاملةً معها الإيحاء فى قوة ونشاط عجيبين :

أيها الينبوعُ يا رمزَ الأبدْ     يا شعاعَ اللهِ فى طيفِ الجسدْ
كم معانٍ فيكَ كادتْ لا تُحَدّْ     وعزاءٍ عن حياةٍ تُفتَقَدْ
إنما أرنو اليكَ فى خشوعى     ما ابتسامى غيرَ لونٍ من دُموعى
أنا لحنٌ بين أطيافِ الربيعِ     من طيورٍ وغديرٍ وزُروعٍ !

ألا ترى مدى العمق فى معانى الشاعر ! لقد صدق حين قال : « ما ابتسامى غير لون من دموعى » . الواقع أن مزاجنا قد طُبع على الحزن والأسى : أبهج الاشياء وأقربها إلى المرح تزفّها الينا مشاعرنا فى إحساس يشبه اللوعة ونغمات تشبه الانين ! ولقد يكون الحبيبان فى خلوة سعيدة لا يعكر صفوها فيها شىء ، ولكنهما مايكادان يتبادلان النظرات حتى تطمع عيناها ، كأنما تلك السعادة التى تغمرها لا تخلو من لوعة !

وأمامنا فى قطعة « هرقل وديانيرة » مثل رائع لدقة التصوّر والتصوير المنطبق على الواقع :

الى النفى قد أزمع العاشقانْ     فسارا بروح الشجاع الجبانْ !

أجل ! الشجاعة الجديرة بالنفس الابية ، والجبن الجدير بالنفس المحبّة . فانظر الى هذا المزيج العجيب من صفتين متناقضتين التقيتا فى نفس اجتمع لديها الاباة والحبُّ فتناقضت مع نفسها !

ثم انظر الى عذوبة النغم عند ما قال فى القطعة المذكوره :

وكانت ( ديانيرةُ ) الغاليهْ     جمالاً تجسَّمَ فى غانيهْ

ألا تحسّ معى بأن قلبكَ يرقص طرباً لهذه الموسيقى الحنون ؟

وأبو شادى — كما قدّمتُ — ذو نفس عالمية متسامحة قد توفر لديها الشعور بصلتها الوثيقة بالكون . ويدلك على هذا الابيات الآتية من قطعة « الذهول » :

وأحنّ للترب الذى هو غايتى — وكأنما هو منزلى البسّامُ
وأنوح لكنْ لا لنفسى نوحُها — مهما شقيتُ وخانتْ الأيامُ
بل كلّ نوحى للأنام ، فهمّهم — همى ، وإنْ جحدوا هوايَ وهاموا

وفى الأبيات الآتية من قطعة « انشودة الاناشيد » تأخذك روعة الفلسفة عند ما ترى كيف وصف الشاعر الجمال الروحانى واعتبره قبساً من روح الآلهة :

يرنو اليكِ الملهمون كأنما — يرنون فيكِ الى نُهى الديّانِ
هذى المعانى الدافقاتُ عواطفاً — ليستْ مثالَ عواطفٍ ومعانِ
هو فوق ما تَهبُ الحياةُ لأهلها — من قوة الإلهام والإيمانِ

والآن لانتقل بك الى قطعة « دنيال فى جب الاسود » لاريك كيف أتيح للشاعر أن يصوّر فى بيت واحد ذلك المنظر المفزع ، الذى يكفى وحده أن يكوّن فصلاً فى رواية ، ثم لا يكتفى بذلك بل يعلق عليه فى نفس البيت :

مَثَلُ المكيدة مِن حَسودْ — دنيالُ فى جبّ الاسودْ !

وهاك فى قطعة « عائدة » موسيقى أخرى دونها عزف الكمنجة :

( رداميسُ ) قد عاد يا ( عائدهْ ) — فعودى إلى روحهِ البائدهْ
إلى أملِ الحبّ مِلْءَ الحياة — فما غيرهُ نعمةٌ سائدهْ
أفيقى من السّنَةِ المنتهى — اليها هوى مُهجتى الشاردهْ !

والأمثلة كثيرة فى شعر أبى شادى . ولو أننى أردت أن أحيط بها فى هذه العجالة لانتهى بى الأمر إلى أن أنقل الكتاب كله ، ولأصبح ديوان « الينبوع » عبارة عن نسختين فى غلافٍ واحدٍ !

وبعد فلعلك لمستَ معى فى تلك الأمثلة التى سُقْتها مدى قوة إيحاء الشاعر الفائقة حدّ الوصف . ولعلك تبينتَ أيضاً أن الفلسفة والموسيقى اللذين قلما يجتمعان لشاعر واحد قد اجتمعا فى أبى شادى ، فألف منهما ذلك المزيجَ الفذّ ، الذى أكاد أحسّ فيك الرغبة الآن قوية فى أن أتركك لكى تقرأه بنفسك فى الديوان !؟

القاهرة :

حسين عفيف

# شاعر البيئة المصرية

يفتتح أبو شادي بهذه الجهود الأدبية عصراً شعرياً جميلاً ، لعله حلقة الاتصال بين عصرىْ المتنبي وأبي العلاء وهذا البناء العالمى الأدبىّ الذى يضع أساسه بهذه الدواوين الرائعة شاعر الحياة المصرية اليوم الدكتور أبو شادى . وهو فى هذا مصيبٌ من التوفيق ما لم يُصِبْهُ واحدٌ من الشعراء الذين تقدّموه أو الذين يعاصرونه اليوم ؛ وليس لهم من انتاجهم وصلتهم بالحياة ماله من انتاجٍ مستمرٍّ واتّصالٍ استأثر بكل عناصر الحياة ، وتأثر بفهمها ، واستيعاب دقائقها ، الى درجة لا أغالى قطرة اذا اعتقدتُ بأنه قد تفرّد بها .

ويحسب الجيل الأدبى المعاصر أن يتناول أبا شادى بدراسة منصفة ليرى أيّة عبقرية نادرة يفتتح بها أبو شادى ذلك العصر الأدبى ، وأىّ اعجاز فنى مدهش يستوعبه أدبهُ وتترجمه شاعريتُه الملهمةُ ترجمةً دقيقةً بليغةً .

فى آنٍ واحدٍ تستطيع أن ترى أبا شادى فى صور مختلفة ومتباينة أشدّ التباين : ففى الوقت الذى يشرف فيه على معمل من أهمّ المعامل الطبية فى القاهرة ، يفىء فى خمائل ادبه وشاعريته ودراسته الفنية وراء المجلة الطبية ، فمجلة أبولو ، فمجلات الدجاجة والنحالة والصناعات الزراعية ، وهو فيها كلها القوة المنتجة ، والروح الأدبية التى تكاد أن تكون فيها ، كما هى فى هذه الجماعات الأدبية العديدة التى يفتديها بروحه وأدبه وماله ، هذه الجماعات التى اختلفت عليها الأسماء : رابطة الأدب الجديد ، جماعة الأدب المصرى ، ندوة الثقافة ، اتحاد الادب العربى ، جمعيه ابولو ، الى جانب رابطة مملكة النحل ، الاتحاد المصري لتربية الدجاج ، جمعية الصناعات الزراعية ، وإن لم تختلف شخصيتها الفذة وروحها العتيدة التى يمثلها أبوشادى تمثيلاً مدهشاً هو صفوة مجهود الجيل الادبى الحاضر فى الشعر أو فى الأدب أو فى العلم أو فى الاجتماع.

ليس مما يدعو الى الدهشة قط أن يكون الرجل طبيباً ثم يميل الى الادب فاذا به عنصر من عناصره الخالدة ، ولكن الدهشة التى تستوقف الحيرة الى درجةٍ بليغةٍ من الاعجاب أن يجمع الرجل بين فنه وبين ميله ، ثم يتعدّاهما الى

غيرها من الفنون ، فيكون مقامه وانتاجه فى كل منها هو كل انتاج جيله الادبى وأثره فى هذه الفنون .

والا فهل تستطيع أن تدلنى على هذا الذى يمكنه أن يدلنى على فضله الرائد فى هذه الفنون التى انصرفت اليها عبقرية ابو شادى فأغنتها عن كثير من جهود العلماء والاغنياء والجماعات ؟ !

أفى مصر واحد فقط يعترف بأن له يداً سمحةً رائدةً فى هذه الفنون التى أحياها أبو شادى ورعتها عنايته الخالقة ، بهذ الجهد الجبّار ، وهذه الروح الجريئة ، التى لم تهن من عزائمها الأيام ولم تخذل من عقيدتها ضغائن النفوس الموتورة وإحن العاجزين الحاسدين ؟ !

* * *

ليس لى إلمامُ المتخصّص بالفنون التى يرعاها أبو شادى ويسعى لعقد مؤتمر عالمى لها فى مصر ، ويعمل لخدمة أمته عن سبيلها ، فأضع بين أيدى القراء ما استطاعت عبقريتُه أن تنتجه فيها ، ولذلك فانى أترك الكلام عن أبى شادى فى هذه الفنون للمتخصّصين ، وأتناوله كشاعرٍ يغذّى جيله الأدبى الحاضر ، بهذه الدواوين التى ينتجها ما بين آنٍ وآخر ، فيقف بها فى الصفّ الأول الذى لا تستطيع أن تضم اليه مصرُ شاعراً واحداً من شعراء العربية فى الكثرة وفى سرعة الانتاج وقوة الانجاب !

لكننى قبل أن أعالج هذا الموضوع أريد أن أحدثك عن شيء : فهل دققتَ مرة فى حَفْلٍ نظمته قيثارةٌ من شعر العوام ، ثم اذا بالحفل يُنصتُ الساعاتِ الطوالَ ، ما بين لفح الشمس ، وأحياناً ما بين عصف الرياح ؟

حدّثنى : أوَتستطيع أروع قصائد شوقى أن تستوقف من خواطر الناس أو تستثير من عبراتهم ومسراتهم ونفوسهم ما تستطيعه هذه الاوزان والمعانى التى ائتلفت فى أسماعهم وعقائدهم ائتلافاً لم يحسّوا فيه طيلةَ الانتظار أو قسوة الأجواء ؟

ليس بينى وبينك ، كما أعتقد ، اختلافٌ فى أن بين أولئك العوام مَن ترتفع به قيثارته الفنية الى درجة بعيدة فى سمو الخيال ودقة الوصف ولمس العاطفة قد لا يجاريهم فى مضمارها غير هؤلاء الشعراء العالميين . . . وليس بينى وبينك اختلاف ، فيما نلاحظه ، من قوة الأمثلة العامية ، واصابة الكثير منها هدفَ الحكمة والبيان ، والوضوح والحق ، أكثر مما تصيب منه كتبُ الفلاسفة

والمفكرين . وبخاصة من أولئك الكتاب والشعراء العرب !

كيف إذن أتيح لهؤلاء ، هذا النبوغ المغمور ، وتلك الحكمة العالية ، ومن أين استمدّها أولئك الذين لا يقرؤن ولا يكتبون ؟ !

الواقع أن التكوين الطبيعي لأولئك الفنانين تكوينٌ ممتازٌ كتكوين أبى شادى ، وإن كانوا جميعاً يستوحون الطبيعة ، ويستلهمونها الفن الذى يصهرون أدمغتهم فى تكوينه .

وأنت واجدٌ — ولا شكّ — اعترافاً له قيمته الادبية فى دراسة أبى شادى كفنان موهوب ، يعرف من أين يستمد فنه ، من هذه البيتين :

هذى (الطبيعةُ) موئلى ومعلمى وأنا الأبرُّ بروحها الفنّانِ

أنطقتُ لوحاتى بروحِ حنانها ومزجتُ من ألوانها ألوانى !

والفنّان الذى يستلهم الطبيعة ، ويقف منها لتكون موئله ، وهدف الحق والجمال لتعاليمه ، هو بحق هذا البانى الذى لن تأتى الأيام على بنائه قبل أن تأتى على صفحة الوجود بأسرها !

* * *

فى الوقت الذى ، يوجّه فيه أبوشادى الى فنه من الناحية الطبيعية للفن ، يقف فريق من الكتاب والشعراء ، لم يكتب لهم من المعرفة والعلم قدرما نال أبوشادى من دراسته الجامعية أو دراسته الخاصة ، فيحاولون دراسته كفنان بهذه الموازين المعتوهة التى احتوتها هذه الكتب الرثّة المسماة بكتب الأدب العربى والتى تدرس لطلبة المدارس الثانوية والمدارس العالية ، والتى يدرسها لأولئك الطلبة نفر من المشايخ أسموهم « أساتذة الأدب العربى » !

والشعر فى رأى هذه الكتب ،وفى أدمغة هؤلاء المشايخ،الذين لم يفتح على معظمهم وهم أساتذة للأدب العربى ولو بقصيد يستطيع صاحبه أن يسميه شعراً ، أو بمقال واحد تستطيع أن تسميه موضوعاً أدبياً ، الشعر فى رأس هؤلاء « هو الكلام الموزون المقفى» أو ما يقرب من هذا التعريف البالى ...

ثم يذهبون فى التدليل على هذا المجون فيوردون أشتاتاً من شعر البارودى وامرىء القيس والطغرائى وغيرهم فى الغزل والرثاء وفى المدح وفى شكوى الزمان

ثم هذا هو كل الأدب المنكوب ، وتستمر الدنيا ويتغير دولاب الحياة والأدب العربى هو هذا الأدب ورجاله هى هذه الاسطوانات ، حتى إذا ما استوحى شاعر فنان دقائق هذه الحياة ، واستلهمها أسرارها ثم وقف منها يناجيها ويترجمها لنا بلسان الطبيعة الذى ألهمته وبهذا الاحساس العنيف الذى أحسَّ به دخيلة نفسه ، حتى لم يعد ينصت لغير صدى قلبه وأنفاسه ، وقفوا منه صائحين : لا ! حاذر ! هذه الكلمة غير نحوية ، وهذه اللفظة ثقيلة على الاذهان الصوفية ، وهذه الأوزان والقوافى غير ما ألفت أسماعنا من الاوزان والقوافى الى آخر هذا العبث . . .

فاذا احتدم النقاش حول ما رآه هؤلاء الماجنون ، مما زعموه أخطاء أو استثقالاً كانت النتيجة فى جانب أبى شادى لا فى جانب أولئك الثقلاء ، مهما أثاروا من غبار وضوضاء !

* * *

إذا رأيت بعد هذا أن الأدب العربى ليس له نصيب فى مدارسنا العالية أو الثانوية وأن كتاباً واحداً من الكتب الأدبية الخالدة لا يدرس فى هذه المدارس وأن الأدب الانجليزى أو الفرنسى ليس بأوفر نصيباً من حظ الأدب العربى فى المعاهد المصرية ، فليكن ظنك إذن جميلا بالذين ينقدون أبا شادى فى شاعريته من حملة إجازات الآداب والتربية فيها ، أو أساتذة الادب الموهوم ، وحافظى القراءات العشر فيه ! فكثيراً ما نال هؤلاء المساكين من عبقرية العقاد بالقدر الذى نالوا به من عبقرية أبى شادى ، وهم بين الرجلين لا يحسنون فهم هذا ولا تقدير ذاك !

والظاهرة الاخلاقية الموجودة فى مصر والتى قضت على نوابغ أربعة آلاف عام فى الحياة المصرية هى الفتنة الى حدّ البله بالتقاليد الموروثة ، والالحان التى قضت ، فاذا ما شعَّ قبسُ العبقرية يبدد ناحية من الظلام ، ويرسل الضوء فى النفوس وفى الاذهان ، ضلت أبصارنا فى هذه الاضواء ، كما تضل بصائر بعض الحيوان ، فقضى العبقرى فى شعاع عبقريته قبل أن تتفتح أبصارنا عليه ، وقد تنقضى أجيال طويلة قبل أن تلهمنا الحياة ما كان عليه من حق وما كنا فيه من ضلال ! ثم يكون عزاؤنا فيه لا تحية العبقريين الجدد والاتجاه الى هذه السموات التى يعلون فيها ، ولكن الى هذه الارض التى تضم رفات هذا العبقرى تناجيها بالبكاء طيلة السنين والاجيال ، والى هذه الظاهرة المنكودة يشير أبو شادى فى قصيدة « من القلب » :

وطنى إلامَ النابغون على الأذى يفنون حين تنامُ أنت هنيئا

حتى اذا شربوا العذابَ وكُفنوا أرسلتَ دمعكَ راثياً وبريئا !!

يا هولَ ما تجنى ! فكم من ثروة ضيَّعتها ، ولكم قتلت حبيبا !

العبقريةُ رأسُ مالك وحدها فعلامَ تلقى الذلَّ والتخريبا !!

والحق أنَّ أبا شادى قد بلغ الدقةَ فى تصوير ما قابلتْه جهوده من انصاف فى هذين البيتين الرائعين وقد بلغ منتهى الدقة أيضاً فى تصوير الحياة الأدبية هنا :

إنى أسيرٌ كأنما من ملبسى كفنى ، وإن أكُ فى إباء حياتى

هذا هو الموتُ الأليمُ ومَن يعش بين القبور يُعدَّ فى الأموات !

ولكن الذى أودّ أن أسرّ به الى هذه القيثارة الالهية وتلك المعجزة الخارقة ، هو أن أديباً واحداً فى مصر لم يكتب له من سرعة التوفيق ما اعتقد ان الايام القريبة ستتوّج به مفرقيه وتكلل به جيده . فهذا اسمه اليوم يملأ كل ندوة أدبية ، وهذا انتاجه المعجز يكاد يحوّل كل مجلس الى نقاش أدبى ممتع ، وما انا بمعلن سراً اذا حدثته عما وقر فى نفوس حتى الذين يمارون فى الحق ، من مكانته إنْ اليوم أو الغد ، هى هذه الامارة الشاغرة التى تركها شوقى ولم يوضع تاجها بعد على مفرق واحد من الشعراء وإن لم يَدِنْ ابو شادى بالامارات الشعرية ، بل تحدث فى اعلان عن « البوتقة الفنية » التى يزوّدها كل شاعر بانتاجه القيم فتتألف منها سبيكة فنية واحدة لثروة الفنّ فى غير زهوٍ لأحدٍ ، وهو المبدأ الذى يتوّج به جميعَ أعماله التّعاونية .

ولكم تمنيتُ أن لو وقف على دخيلة هذه النفوس المختلفة ، كما وقفتُ ، وكان يُعفى قصيدته من هذين البيتين :

مضتْ السنونُ وقد شقيتُ وهدّمتْ تلك السنونُ من الكفاح قوايا

فاذا نُصِفْتُ ، فكم جهودٍ ضُيّعتْ وكأنّ انصافى يقول رثايا !

كلا يا ابا شادى ! اربعون سنة اخرى أو تزيد ، سيكتب لك فيها الانصاف والتقدير حتى تسجل للعبقريين الفوز الذى لم تستطع أربعة آلاف عام فى تاريخ مصر أن تسجله لهم ، وحتى يقرأ الجيل الجديد ادباً جديداً هو أروع ما ستحفل به آداب الأمم الاجنبية المعاصرة .

* * *

والذى يعنينى هنا أن أسجله لأبى شادى انه يمثل فى أدبه ورقته وروعته ما تمثله الكهرباء من القوة والسرعة والحرارة والضوء ، بينما تمثل جيله الأدبى الحاضر ما يمثله مشعال الزيت من النور الضعيف الذى تستطيع أوهن الأنفاس أن تأتى عليه وعلى حرارته الضئيلة .

وللتدليل على هذه الملاحظة نستعرض لك قصيدة « العودة » من هذا الديوان والتى نظمها فى شبه ارتجال فى قطار البحر صحبة الدكتور زكى مبارك وما جادت به قريحة الدكتور مبارك بعد شهر من هذا التاريخ كردٍّ عليها ، لترى أى فارق بين أبى شادى وبين جيله الأدبى ، إن يكن ثم فارق يدرك بين علٍ رفيع ممتدٍّ إلى ما وراء السماء وبين منخفض عميقٍ الى ما وراء الأرض ، يقول الدكتور أبو شادى :

أتذكر كيف كان الموجُ يجرى     كما يجرى الشقيقُ الى الشقيق ؟
ترى فى البرّ ألوانَ التناجى     وفى البحر المُشارفِ والعميق

ومنها :

سكرنا سكرةَ الحرمان حتى     كلانا كالأسيرِ وكالطليقِ

إلى أن يقول :

وتمضى الغانياتُ على تثنٍّ     تمنّى النور فى الجوّ الصّفيقِ
فسبحانَ المكافىء والمعزّى     وما أدنى الرجاة بكلّ ضيقِ
لقد عُدنا بقهقهةٍ وأنسٍ     وأحلامِ الرشاقةِ والرّشيقِ

ويردّ الدكتور زكى مبارك على هذه الأبيات التى قيلت فى لحظة واحدة ، وبهذا الانسجام البديع والمعانى التى تذوب فيها الرقة ، بهذه الأبيات التى أعمل فيها تفكيره وكدَّ فيها قريحته شهراً كاملاً . يقول الدكتور زكى مبارك :

(أبا شادى) وأنت فتى طروبٌ     أسيرُ العينِ فى قلبٍ طليقِ
تذكرنى ؟ وهل انسيتُ يوماً     جمالَ (اسكندرية) يا صديق ؟
وكيف وفوقَ شاطئها المفدّى     يحوم القلبُ موصولَ الخفوقِ
دعاه الحبُّ مِن شطٍّ جميلٍ     خفيفِ الروحِ مصقولٍ أنيقِ

بيّ الرمل تحسبُه سُجوفا  مطرّزةً بحبات العقيقِ
أطوفُ به فيغلبنى خشوعى  كأنى طفتُ بالبيتِ العقيقِ

والغريبُ فى هذه الأبيات أن الذى لم يستطع أن يرى الدكتور زكى مبارك حتى اليوم يستطيع أن يقرأ ترجمة حياته الأزهرية فى السجوف والبيت العقيق والخشوع وحبّات العقيق ، وان كانت الفترة التى قضاها بباريس لم تهبه أكثر من كلمة أنيق !

أما بقية القصيدة فقد استعصى على قلمى أن يهبها من العناية بالنقل ما لم يهبها الله من الحياة والروعة ! وللقراء اذا ما شاؤا أن يطالعوها إلى نهايتها ، فقد طالعتها كرهاً وتناولتها كرهاً ، ولم يكرهنى على ما فعلت الا أن أبا شادى ذكرها فى ديوانه لمناسبتها الخاصة ، ولعله يتخيل فيها حسناً خاصاً ، والى أنى أردت أن أبرهن على مكانته من جيله الأدبى المعاصر ، وعلى هذا الفارق الهائل بينه وبين المعاصرين من الأدباء أو المتأدبين . ولا يُنتظر من أبى شادى نفسه أن يدلّنا على ذلك فان له طبيعة تصوفية تبحث عن الجمال فى كل شىء وفى كل شاعر مشهوراً كان أم مغموراً وتكاد تتخيل هذا الجمال تخيلاً ، ناظرة فى مرآة نفسها ، فتنوّه به ولو قاطع ذلك الشاعر جميع الناس (١) !

* * *

لكن أترى أبا شادى ، وبينه وبين جيله الأدبى هذا الفارق ، تتمثل فى أدبه عقيدة سياسية ، أو تشيع فيه خصومة حزبية ، تتناحر حولها المصالح والاهواء ؟

طبيعى أن يكون الأديب الخالص الأدب آخر من يتصل بالسياسة ، أو يساهم فيها بقليل أو كثير ، وخاصة السياسة الحزبية ، فرجل السياسة يعنيه أن يناصر مبدأه بكل ما يُعينه على هذه المناصرة من وسائل فيها من الباطل بقدر ما فيها من الحقّ أو فيها من العسف أضعاف ما فيها من العدل . وليس هكذا رجل الأدب الذى يدين للحق والجمال والعدل بكل ما يستطيعه فى هذا السبيل بل وفوق ما يستطيع .

واذا خلط الادباءُ المقاييس السياسية بالمقاييس الأدبية كانت النتيجة انهم يصلون إلى طغيان سياسى ، أسوأ طغياناً من طغيان السياسيين الطبيعيين ، الذين

---

(١) تجد تقدير ابى شادى لشعر زكى مبارك مدونا فى مجلة ( ابولو ) عن شهر ديسمبر سنة ١٩٣٢ م ( ص ٣١٦ — ٣٢١ )

ينقصهم استدلال الأديب ، واستكناه بواطن العقائد ، لملاشاة ما فيها من قوة أو اثارة ما فيها من ضعف .

فالأديبُ الحزبيُّ إذن من أخطر الدعاة ضد العدل والحق . وهم كلما ازدادوا خطورة فى مجتمعهم ، كلما أقصوا اقصاءً نسبياً عن تذوق معانى المُثل العليا فى الحياة ثم ينتهى بهم هذا الاقصاء الى حدّ تسوء فيه موازينهم الأدبية وتضلّ فيه نواحى الانتاج الحية المستمرة التى يمتاز بها الأدباء ؟

وليرى الجيل الأدبى كيف ارتفع أبو شادى إلى مثله الأدبى الأعلا ، بعيداً عن السياسة وعن تناحر الأحزاب ، فليمعن طويلا فى هذه الأبيات التى اخترتها من هذا الديوان مجتزئاً بها عن ايراد القصائد بتمامها ، فى استطاعتهم أن يسدوا هذه الثغرة بمراجعة الديوان واستيعاب أزهاره المنثورة المتفرقة ، وكم من نظائر رائعة لها فى دواوينه السابقة كلها ناطقة بروحه القومية الناضجة البريئة ، وبنفوره من التحزب السياسىّ الهدّام :

(١) مُنِيَتْ بأحزابٍ تعدّ وكلّها ... يومَ البطولة ليس فى الحسبانِ
وطنُ الخلود بكلّ ما يحوى الثرى ... تركتْه فى حكم الجريح الفانى
يا ليت صاعقة السُّيوف تذوَّقتْ ... من هذه الأحزاب دُونَ توانِ
أودتْ بحقّ الجيل بين تناطحٍ ... وتحاكمتْ للّهو والبهتانِ
والنيلُ محمرٌّ بخجلة مُحْسِنٍ ... فى الوالدينَ أُسيءَ للاحسانِ
واذا الزعامةُ فى البلاد مَهازلٌ ... مِنْ بَعْدِ ما كانت رُموزَ أمانى

❁ ❁ ❁

(٢) أيها الأحزابُ أنتم داؤُنا ... قد تفرقتم حيارَى فى الزّمَنْ
فتركتم مصرَ لا تعرف مَنْ ... مِنْ بَينِها يُرتَجَى أو يؤتمنْ
لو وقفتم مثلَ سدٍّ رائعٍ ... ثابتِ البنيانِ مرفوعِ القُنَنْ
خشعَ الدّهرُ لكم مِن نُبلكم ... وتخطى مِن غرورٍ وضَغَنْ !

❁ ❁ ❁

(٣) دعونا اذن من خلاق الصغارِ وخلوا إذنْ كلَّ هذا الهذَرْ
دعوا كلَّ هـذا الهتافِ الطويلِ فكم فيـه مهزلةٌ للقدَرْ
أليس لـكم عبرةٌ فى الشقـاق ؟ فما النصرُ إلا لمن يعتبرْ
فهبّوا الى وحدةٍ لا تُضامُ وهبّـوا الى عزةٍ تُنتَـظَرْ
ولو أنـكم من عنيـدِ الصخُورِ لأذكى المصابَ دفينُ الشَّررْ

* * *

(٤) وطنُ السماحة والجمال لجوِّه متشبّـعٌ بالسِّلم والاقبـالِ
ما باله أضحى مجالَ تنابُـذٍ أكـذا السلامُ يحول شبهَ قتالِ
ما بال هذا الـكنز يُصبح خصبهُ جدباً وهذا التبرُ مثلَ رمالِ ؟
أين الرجال المصلحون ؟ أأقفرتْ مصرٌ وأضحوا فى عداد خيالِ ؟
يا للزعامةِ ليس تعرف مرةً صدقَ الزعامة أو فروض رجالِ ؟
يتناحرون ، وما التناحرُ حكمةٌ ان التناحر أصلُ كل ضلالِ
أين التجرُّدُ ؟ أين أين تخلّقٌ بالنُّبل ؟ أين شجاعةُ الابطالِ ؟
ساد الغريبُ ، وما دروْا أو قد دروْا لـكنهم حُرِموا شعورَ جلالِ
ومَشوْا على أشلائهم فى حُمقهم كالفاتحين مَشوْا على الاوصالِ
والدهرُ يضحك والمجاعةُ مثله تبكى وتضحك فى أسًى وخبالِ
وفتوحُ ذاك المجد ، تخجل مثلما خجلت رؤوسٌ للزُّروع حيالى
وكأنّ زغردةَ الحسان من الأذى صوتُ الجنونِ وصرخةُ الآجالِ
وكأنّ هذا الريفَ مقبرةُ المُنى والموتِ بين مخاصمٍ ومُوالِ
وكأنما اختلط الوجودُ مع الرَّدَى وتزاحمِ الآمالِ والاهوالِ

* * *

أين العقيدة السياسية التى يمثلها إذن ابوشادى ؟ هى عقيدة سياسية ولا شك ، ولكنها عقيدة المثل الأدبى الأعلا ، الذى يسخّر كل منطقهِ للخير العام ، والذى

يبحث عن مكان القوة فى الحياة ، أين هو؟ وعن الظلم فى الدنيا ، وكيف يناضله المرء؟

لم يكن مرة ، كمعاصريه من الادباء والشعراء . أو غير معاصريه من أولئك الرجال ، بالرجل الذى يلتف التفافاً أعمى حول زعيم كيفما كانت عقيدته السياسية ، وإن كانت دواوينه لم تخل من تقدير رشيد وانصاف رزين لبعض الزعماء . ولكن هذا لم يكن الا لباعث حفزَ فى روحه الشاعرة قوة الاحساس بهذا الباعث والترجمة عنه ، وانه لحَسْبُكَ أن ترى أية روعةٍ فى مقياسه الأدبى ـ حين تهتزّ قيثارته الالهية بمدح ـ من هذا البيت الذى تلمس فيه عقيدته الأدبيـة وهو يخاطب جلالة ملك مصر فى القصيدة التى رفعها اليه فى عيد جلوسه الأخير :

مولاىَ ما مدحُ الملوكِ سجيَّتى    لكنَّ مدحىَ للعظيم البانى !

فالبناء فى عقيدته الأدبية ، والعمل الايجابى فى الحياة ، والمُثُل العاليـة فى الرجل ، سيداً كان أو مسوداً ، هى لحسب ما يبعث على ترجمته ما وُفّق اليه من الخير والبناء !

ولتقدّرَ الروح الادبية العالية التى لم تعرف بعد فى المدح ، ولترى أىّ مثـل أعلا يرسمه أبو شادى لهذا النوع الذى حقره الشعراء ، بما تفننوا فيه من ضروب المبالغات المفتونة العمياء ، اقرأْ له وهو يستعرض فى عيد الجلوس حال الشعب ويترجم لمليك البلاد عن آماله فى عدله واصلاحه وتوثّبه لخيره فى نكبته الحاضرة ، بأدبٍ عالٍ رفيعٍ :

مولاىَ رأيُكَ ثم حُكمُكَ للحِمَى    فى هذه الأزماتِ يلتقيانِ
ما شئتَ مُرْ مِن تضحياتٍ جمّةٍ    لجلالِ مصر يُضحّ كلُّ جبانِ
انَّ الشجاعةَ فى النفوس ، وانما    خذلَ الشجاعةَ خاذلو الأوطانِ
الشعبُ أنَّ بما يُعانى ريفُهُ    وكأنه قفرٌ بلا سُكانِ
والعابثونَ الصائحونَ تنعمّوا    وكأنَّ هذا الريفَ ليس يعانى
والزّارعون المحسنون تمرّغوا    فى التربِ كالموتَى بلا أكفانِ
حتى أتى العيدُ الجليلُ فأمّلوا    واذا حنانُكَ أنتَ عمرٌ ثانِ !

***

مولاىَ ! نصرُ الشعبِ غضبةُ عاهلٍ   يُسميه فوقَ مراتبِ الامكانِ
يحيي المواتَ بحذقهِ وبحزمهِ   وبروحهِ المتأججِ المتفانى
يأبى سبيلَ الظلم ، لكنْ لا ينى   فى سَحْقِ كلّ مغرِّرٍ أو جانِ
ولقد رفعتُ اليكَ وحيَ عقيدتى   فاذا بعيدكَ المنى عيدانِ :

* * *

إقرأ هذه القصيدة من أولها الى آخرها ، فسترى فيها أبا شادى مثلاً عالياً للأديب الذي يرى ملكه فى أدبه لا يقل عن عظمة التاج والصولجان ، وسترى فيه أبا شادى وهو يوحى بعقيدته الى مليكه بالغاً الأدب الرفيع فى الخطاب الذى ترى فيه روحَ الدراسة العالية لرأيه فى نواحى الاصلاح لهذا المجتمع ، وأمل الشعب فى عاهله المرتقب لتوحيد كلمته ، وستجد ولا شك أبا شادى عظيماً عظمة هذين البيتين :

مولاىَ ! نصرُ الشعبِ غضبةُ عاهلٍ   يُسميهِ فوقَ مراتبِ الامكانِ
يحيي المواتَ بحذقهِ وبعدلهِ   وبروحهِ المتأجِّجِ المتفانى

ضع هذه القصيدة الى جانب ما كدّسته قرائح الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين حتى المتنبي نفسه ، فسترى أباشادى يمثل بهذه الروح الأدبية العالية معنى من الادب الرفيع الذى تمتاز به الشخصية العالمية امتيازاً لعل أدباء العربية لم يرتفعوا الى ذروته الى اليوم ، وإن كان أبو شادى قد مهَّد لهم وحده هذا الطريق . وللتدليل على ما ذهبتُ اليه ، فهذا هو المتنبي فى قصيدته الميمية التى يمدح بها سيف الدولة والتى عُدّت من غُرر قصائده ، ألم يفتتحها بهذا البيت الذى عُدَّ أروع ما فى القصيدة :

المجدُ عُوفِيَ إذْ عوفيتَ والكرَمُ   وبانَ عنكَ الى أعدائكَ السَّقمُ

فماذا فيه غير هذا الاغراق فى تصوير معانى الحياة وتذليلها للمدح والثناء ، هذا التذليلّ المعتل المريض ، والافمن كان سيف الدولة هذا حتى يعافى له المجد أو لا يعافى ؟! ومن كان فى تاريخ الدنيا حتى يذلل له المتنبي المجد والكرم ، فيعافيهما اذا ماعُوفى ؟! ألم يكن مجرد أمير لولا ثناء المتنبي عليه لكان نصيبي ونصيبك من تاريخه هو نصيبنا من تاريخ « عون بن عنق » ؟! ألم يكن المال وحده إذن أىَّ الكرم الذي ناله المتنبي من سيف الدولة ، هوما اتجه بالمتنبي الى ريشته ليستلهمها إلهاماً فى غيرموضعه

ومعنى لم يكن سيف الدولة بصاحبه ؟ ثم أليس هذا المتنبي هو الذى امتدح كافوراً قبل أن يراه طمعاً فى مال فرعون ، ثم اذا به يهجوه ويقذع فى الهجاء ، الى درجة أصاب بها الامة كلها فى البيت الذى يقوله فى قصيدته :

أغايةُ الدين أن تحفوا شواربكم يا أمةً ضحكت من جهلها الامم ؟!

ألم يكن هذا ، عند ما خاب ظنه ، فى كرم مصر وفى مال كافور ؟

وعند ما يكون المال ، أو أى عرض من أعراض الحياة هو هدف الشاعر حين يصنع المدح أو الهجاء ، فليس الحق الذى يعنيه إذن ، إنما هو الكذب فى أبلغ صوره ، وانما هو الباطل فى أسوأ مظاهره ! والاديب رجل من الصدق فى التحدث عن الحياة وعن الحق فيها كما تكون آلة التصوير الحسّاسة الأمينة فى التقاط الصُّوَر ، وإن كان رجل الادب أدقّ وأشد منها افتتاناً بتصوير ما يدقّ عنها التقاطه من خفايا الحق وأسرار الوقائع !

فهل يعطينا أديب واحد فى مصر هذا المعنى ؟!

إنى أجد الجواب على هذا حافزاً فى نفسى كل الرثاء للادب وكل الرثاء للادباء . أما الرثاء للادباء فلأنهم فى بلد أترك لأبى شادى أن يحدثك عنه فى قصيده الرائع :

فَوْضَى حياتُك ! ما أرى معنًى لها إلا معانى الجهلِ والجهلاء

دَجلٌ وتضليلٌ ، وإفكٌ شائعٌ ورخاءُ أوهامٍ لغيرِ رخاء

وحروبُ أحزابٍ تصيح وتنتهى كتناوحِ الاطيافِ بالاصداء

نَبذَنا الأُباةَ المُبْدِعون تراجَعُوا لم يُجدهم فضلٌ وصدقُ إباء

ولو احتفلتَ بهم وسُستَ نبوغَهم كانوا جواهرَ تاجكَ الوضّاء

لم ألقَ مثلك فى غِناه وفقرهِ يأبى غِناه بروحه العمياء !

وإلاّ فانَّ بلداً يعمل فى أحزابها المتناحرة أمثال العقاد وطه حسين وهيكل والمازنى فى وقت يمثل فيه هؤلاء وأقرانهم الجبهة الأدبية التى كان يجب أن تحافظ على استقلال عقيدتها وحرّيتها ، لهو من غير الشك هذا البلد الذى يصفه أبوشادى بالبيت الأخير :

لم ألقَ مثلك فى غِناه وَفَقْرهِ يأبى غِناه بروحهِ العمياء ؟

لقد أساءت السياسة « الحزبية » الى أدب هؤلاء ، كما أساءت الى طلبتهم الذين نهلوا من أدبهم ، ولنرى هذا واضحاً فاليك هيكل وطه حسين وآراءهما فى شوقى وحافظ وفى أدب شوقى وأدب حافظ : أهى هى نفسها . لم تتغير حسب الظروف والاحوال والليالى والايام ؟

ثم هذا هو هو العقاد ، ورأيى فى العقاد انه يمثل جيلا أدبياً بأسره تمثيلاً عالياً ، ولكننى لا أحفل كثيراً بمدحه ولا برثائه فهو فيهما جميعاً متأثر بالروح التى أثرت فى أدبه وموازينه تأثيراً أنساه حتى الوفاء للعبقرية التى كان لها وحدها الاثر الرفيع فى مكانته . وانى عند ما اعتذر للعقاد بالحزبية التى ضللت موازينه الأدبية حتى رأى أن ينال من عبقرية أبى شادى أولئك الذين لا نصيب لهم من الأدب أو الحياة ، فانى لا أدرى كيف اعتذر عن أبى شادى لو صحَّ أنه يترك لأمثال هؤلاء أن يردّوا السهام بالسهام وأن يتناسوا أنهم ينالون من أدبٍ عزيزِ المنال ؟

انى أعلم رأى صديقى العقاد فى هؤلاء الذين ينالخون عنه اذا كان مثل العقاد فى حاجة الى من ينافح عنه ، وكذلك فقد لا أكون مخطئاً الظن فى تقدير رأى أبى شادى فى فريقه ، ولكننى أنكر ولن أزال على الاديبين العبقريين أن يظلا فى بلد كمصر أحدهما فى الجنوب والآخر فى الشمال يتراشقان السهام وحاجة الحياة الى أدبهما العالى ونهجهما العبقرى حاجة الحياة الى النور تشعّه على الأحياء وترسم به ألوان الفن والجمال (١) .

ولكن الجريمة التى تسىء الى الموازين الأدبية فى خاصة أدبائنا انما تحتملها حكوماتنا واحدة أثر الأخرى عند ما نرى أن فى ذمتها أن تؤدى راتباً ضخماً لوزير قد لا يتجاوز عمله غير الامضاءات على بضعة أوراق ، لا أثر فيها لتفكير ، بينما تضنّ على الفنانين الموهوبين الذين يبعثون النور ، لا لخزينة مصر ، ولا لجيوب الموظفين ولكن لمصر فى مجدها والعالم فى مستقبله والتاريخ فى عظمته ! هؤلاء يجب أن يتركوا فنونهم وعبقريتهم أو يحولوها الى نوع جدلى من المغالطات والسباب حول موائد الأحزاب ، وفى سبيل العيش الحلال أو الحرام !

وانه ليستثيرك دهشة ، ان خزينة الدولة تحتمل عبئاً منقلا من ألوف الجنيهات

---

(١) تجد تقدير صاحب هذا الديوان لشعر العقاد مدوناً فى مجلة ( ابولو ) عن شهر فبراير سنة ١٩٣٣ (ص ٦٩١ - ٦٩٤) .

تدفعها لتعاون بها مدارس الاعانة التى لا تزيد ثقافة المعلم فيها عن كتاب « القراءة الرشيدة » ، بينما هى لم تفكر حتى اليوم ، وأظنها لن تفكر ، فى معاونة أولئك المعلمين الذين يعلمون الحياة والمجتمع ، والذين يشرعون الأخلاق والروح الأدبى ، وهى لو فعلت لاستطاعت مصر أن تقدم من رجالها مَن لا يقل عن طاغور وغيره من الشعراء أو الادباء العالميين !

وعلى ذكر طاغور ، فانى أورد تلخيصاً جزئياً لبعض الحديث الذى دار بينى وبين السير محمد إقبال شاعر الهند الأعظم عند عودته من مؤتمر الدائرة المستديرة ، فقد تناولنا أعلام الشعراء المعاصرين واحداً فواحداً ، وعند ما انتقلنا الى الشعر العربى وشعراء العرب ، أسفت لأن الشعراء المعاصرين فى مصر والعراق وغيرهما من البلاد العربية غير معروفين له ، لأنهم لم يترجموا شعرهم الى لغة عالمية ، فترجمتُ له ما كان عالقاً بذهنى الى اللغة الانكليزية من شعر العقاد وأبى شادى ، وما كان أشده انتباهاً واعجاباً وما كان أكثره دقة واستطراداً فى التعليق على كل معنى وفى الموازنة بينه وبين ما للمعروفين من الشعراء العالميين ، حتى انه أكد لى أن أدباً كهذا اذا كان فى بلاد جديرة باحترام مواهب أبنائها ، قمينٌ بأن يأخذ نصيبه من الخلود ، اذا تحول إلى أدب عالمى فى مقاييسه وفى غايته وفى تفكيره . ثم انتقلت إلى طاغور ودراسته ، ونقدت بعض ما أراه فى طاغور من مواطن للنقد ، وأعجبت كيف أن رجلاً كالسير إقبال له هذا الأدب الممتع الذى كان كل الصلة بينى وبين إقبال قبل أن أراه ، يستطيع شاعر كطاغور أن يسبقه بهذه المقطوعات الشعرية وهذه الأغانى ، التى لم يَعْلُ فيها إلى حدٍّ معجز ؟ ! وهنا التفتَ الىَّ أحد أمراء الهنود ، وهو شاب فى مقتبل الحياة فأجاب فى ألم مبرح ان مسيحية طاغور هى التى منحته ما لم يمنح إقبال ، وإن كان إقبال فى الهند شاعرها الأعظم وفيلسوفها الأكبر ، وهنا لاحظتُ أن التعصب الدينى الذى يقدم ويؤخر فى العالم الأجنبى ، هو نفسه التعصب الحزبى الذى يقدم ويؤخر أيضاً فى الانتاج الأدبى وفى مواهب الأدباء !

لكن هل رأيت كيف استطاع أبو شادى أن ينافح الدنيا ، وهو منها فى هذا المكان العظيم من النضال دون أن تصيب الحزبيةُ هدف الحق والجمال فى روحه ، ما استطاعت أن تصيب من هدف الحق والجمال فى أدبائنا المرجّين وذخائرنا الباقية ؟!

لكن أوَمعنى هذا أن أبا شادى ، وهو لا يدين لعقيدة سياسة معينة ، لا يدين الحرية بما تطلبه من ثمن حتى ولو كلفته المهج والأرواح ؟

اسمع معى اليه فهو يجيب فى قصيدته « ثمن الحرية » :

سوف أُعطى فوق ما يُعطى الذى … يتناهى بمساعٍ ومِنَنْ
سوف أرضى شظفَ العيشِ كما … سوف أرضى ثمن تجنّى وغبن
سوف أرضى ما أعانى إن يكن … فيه من حريةِ الشعبِ ثمنْ
لن ينال الشعبُ آمالاً له … فى حمى التغرير أو قيد الرَّسَنْ
انما الشعبُ حمى أفراده … فاذا أفرادُه هانوا وهَنْ

* * *

اذا تركنا المدحَ الى الرثاء ، فاننا نجد أبا شادى قد دلّ فيه على نفسية حيّة ، تتحرك أوتارُها لعظمة حقيقية فيمن يقرض له الرثاء ، وتتأثر غاية التأثر لهذه العظمة التى تمليها ترجمة الواقع المسطور لها فى الحياة ، وأكاد أومن ايماناً شديداً بان رثاءه للملك فيصل فى هذا الديوان قد نهج فيه نهجاً بليغاً لم يهتد اليه فى دواوينه الماضية ، ولم يزاحمه فيه بعد شاعرٌ من شعراء العربية حتى اليوم . فهو يقفك فى هذا الرثاء عند العظمة الخالدة للراحل العظيم ، يستوحيها ما فيها من جلال ، وما امتازت به فى الحياة ، وما قُدِّر لها فى نفوس العرب ، حتى لكأنه يعمد الى استثارة النفوس الضعيفه بهذا الايمان القوى ، والنخوة الكامنة بهذا الدرس من البطولة العربية التى مثّلها فيصل فى مسرح الدنيا . فاذا بحثتَ عن بواعث هذه الشاعرية السامية ، وجدتَ معينها ذلك الينبوع من الأخلاق والتضحية والبطولة التى كان فيصل عنواناً عليها !

وحسبك أن تقف على هذه القصيدة ، فتطيل فيها التفكير ، لترى أىّ مثل أعلا من الشعر فى الرثاء يقدّمه أبوشادى لشعراء العربيــة الذين حفل رثاؤهم بضروب المبالغات السقيمة والفزع الكاذب ، الذى يعزّ عليهم تصوّره دون أن يعتقدوا أن النجوم هى أول ما يصاب بالحزن واللوعة على هذا الفقيد الراحل ، وأن الشمس والرياحَ والعواصف والأرض والسماء كلهــا مدامع ، وعلى مَن ؟ ربما على أحقر مخلوقات الدنيا ، بل وأحياناً ما يكون تفجع الدنيا والبرايا والناس أجمعين ، وكسوف الشمس والسموات ، لوليـدٍ تلقّفه الموتُ قبل أن يذاع اسمه حتى فى الأسرة التى يعيش فيها !

وفى مصر وفى الشرق نوعٌ من الراثيـات يؤجَّرن ليستمطرن الدموع من جفون المكلومات وتراهن – ويا للسخرية – يستذرفن دموع المعزِّين والمعزِّيات دون أن يذرفن هنَّ دمعة واحدة ، فاذا ما انصرفن الى دورهن انصرفن فرحات بما حصلن عليه من مال ، ضارعات الى الله أن لا يمرّ اليوم حتى يَصلهن نعى فقيد عزيز ، أو غير عزيز ، يصلين عليه هذه الصلاة المحفوظة ويقمن فى مأتمه ذلك القيام التمثيلى ! وفى مصر ، وبين المحافظين خاصة : لا يمتاز الشعراء فى الرثاء عن هذا الضرب من المجون اذا لم ترتفع بأذهانهم عاطفة الخيال فيمتازون باستمطار السموات والارض وما بينهما الدمع والرحمة والعزاء !

والعاطفة الشرقية معروفة بالغلوّ فى كل شىء ، فهى عند الرضاء مستطيعة أن ترفع الى السماء ، وعند أقل بادرة من كراهية مستطيعة أن تتنزل من على كل شىء رفيع ! وعند ما تكون العاطفة شيئاً من هذا ، فقمينٌ بأصحابها أن يريحوا الدنيا من أشعارهم وأدبهم ، وأن يعيشوا فيها على الأقل لا عليها ولا لهـا ، والا ففى مستشفيات المجاذيب متّسعٌ للجميع !

تعالَ معى اذن الى هذه الأبيات التى يقصُّ فيها أبو شادى عليكَ عظمةَ فيصل ، وحدِّثْ نفسك مطمئناً عما لهذه الأبيات الخالدة من صلة بالواقع الذى يترجمه فى موقف الرثاء وفى اليوم الثانى لنعى الفقيد !

عَـلَمٌ كانَ للعـروبةِ ايما نًا وذُخراً وعزةً تتجسَّمْ
قد عنته الحروبُ والفتحُ والبأ سُ كما قد عناه مجدٌ تقدَّمْ
والصريحُ الصريحُ مِن رُوحهِ الحرَّ ةِ فى بيئةٍ بها الحرُّ يَنْـعَمْ
بطلُ الثورةِ التى لم تَزلْ تحْـ كَى أعاجيبهـا وتُروَى بدَمْ
بطلُ السلمِ والمعاركِ ، سـيا نِ بتدبيرهِ الحصيفِ المقدَّمْ
كم ترامتْ عليهِ أحداثُ أعدا ءٍ شدادٍ وحَزْمُـهُ يتبسَّمْ
وتجنَّى عليه أقسى عدوٍّ فاذا الموتُ – بعد ما مات – يُهْزَمْ
واذا بابنهِ المرجَّى المُفـدَّى يحمل التاجَ فى اباءٍ تجهَّمْ
واذا عالَمُ العروبة وثّـا بٌ وفىٌّ وباسمهِ اليومَ أقسمْ !

* * *

ذاكَ شِعرُ الحياةِ من روحاتِ الحــــــــــيِّ وإن كان فى رثاءٍ ومأتمْ
نفخَ الروحَ فى فؤادكَ مِن قلـــبٍ كبيرٍ على رضاكَ تحطَّمْ
مات فى قمة الجبال ، كما عا ش مثالاً مِن التسامى ومَعْــلَمْ
كالشَّهيدِ الذى تَكفَّل بالرا يةِ فى الغزوِ فوق حصنٍ مُيَمَّمْ
يخطف النصرَ بالدهاء ويمضى طائراً جارحاً اذا النسرُ هَوَّمْ
إن بكاه العراقُ أو أجفل النَّهْـ رُ وسيفٌ بغمدهِ يَتضرَّمْ
فالأنينُ الأنينُ أصداؤه شـَّـ ـتى عميمٌ ، وقلَّ خطبٌ يُعَمَّمْ
وقليلٌ مَن سَاد فى الناسِ للنا سِ ومَنْ عَلَّمَ الورَى وتعلَّمْ
وقليلٌ مَن عاش فى الشعبِ للشعـ ـبِ زعيماً بعبئهِ وتألَّمْ

* * *

ذاكَ شعرى مِن نار نفسى التى ثا رتْ وناءتْ فكدتُ لا أتكلَّمْ
هو نفسى تسيرُ فى موكب الغا زى وقد عادَ كالكمىِّ الملثَّمْ

* * *

هذه الأبيات ، التى اخترتُها من هذه القصيدة ، يكاد كلُّ بيت منها أن يكون تشريعاً أدبياً للعقيدة الأدبية فى الاخلاق ، وفى العظمة ، وفى أسلوب الرثاء. فقد قضى فيصل لكن هذه الدروسُ الحية من العظمة الاخلاقية الباقية هى التى كوَّنت فيصلاً والتى صيرّته هـذا العاهل العراقىّ الذى يخاطب ذكراه شاعرُ البيئة المصرية بقوله :

إنْ بكاهُ العراق أو أجفلَ النهْـ رُ وسيفٌ بغمدهِ يَتضرَّمْ
فالأنينُ ، الأنينُ أَصداؤه شـــــتَّى عميمٌ ، وقلَّ خطبٌ يُعَمَّمْ

أترى شاعراً فرداً من شعراء العربية استطاع أن يقف فى موقف العظمة الخالدة وفى موقف الدموع والرهبة فيستثير فى النفوس الايمان بالحيـاة والاخلاق والعظمة الباقية قدرما يستثير أبو شادى فى هذه القصيدة التى تعادل وحدها ديواناً بأسره ؟!

* * *

وفى مصر وفى الشرق نوعٌ من الراثيات يؤجَّرن ليستمطرن الدموع من جفون المكاومات وتراهن – ويا للسخرية – يستذرفن دموع المعزِّين والمعزّيات ، دون أن يذرفن هنَّ دمعة واحدة ، فاذا ما انصرفن الى دورهن انصرفن فرحات بما حصلن عليه من مال ، ضارعات الى الله أن لا يمرّ اليوم حتى يَصلهن نعى فقيد عزيز ، أو غير عزيز ، يصلين عليه هذه الصلاة المحفوظة ويقمن فى مأتمه ذلك القيام التمثيلى ! وفى مصر ، وبين المحافظين خاصة ، لا يمتاز الشعراء فى الرثاء عن هذا الضرب من المجون اذا لم ترتفع بأذهانهم عاطفة الخيال فيمتازون باستمطار السموات والارض وما بينهما الدمع والرحمة والعزاء !

والعاطفة الشرقية معروفة بالغلوّ فى كل شىء ، فهى عند الرضاء مستطيعة أن ترفع الى السماء ، وعند أقل بادرة من كراهية مستطيعة أن تنزل من على كل شىء رفيع ! وعند ما تكون العاطفة شيئاً من هذا ، فقمينٌ بأصحابها أن يرنحوا الدنيا من أشعارهم وأدبهم ، وأن يعيشوا فيها على الأقل لا عليها ولا لها ، والا ففى مستشفيات المجاذيب متّسعٌ للجميع !

تعالَ معى اذن الى هذه الأبيات التى يقصُّ فيها أبو شادى عليك عظمةَ فيصل ، وحدِّثْ نفسك مطمئناً بما لهذه الأبيات الخالدة من صلة بالواقع الذى يترجمه فى موقف الرثاء وفى اليوم الثانى لنعى الفقيد !

عَلَمٌ كانَ للعروبةِ إيما     ناً وذُخراً وعزةً تتجسَّمْ
قد نمته الحروبُ والفتحُ والبأ     سُ كما قد نماه مجدٌ تقدَّمْ
والصريحُ الصريحُ مِن رُوحهِ الحرْ     رةِ فى بيئةٍ بها الحرُّ ينعَمْ
بطلُ الثورةِ التى لم تَزلْ تحْـ     كى أعاجيبها وتُروى بدَمْ
بطلُ السلمِ والمعاركِ ، سيا     نِ بتدبيرهِ الحصيفِ المقدَّمْ
كم ترامتْ عليهِ أحداثُ أعدا     ءٍ شدادٍ وحزمُهُ يتبسَّمْ
وتجنّى عليه أقسى عدوٍّ     فاذا الموتُ – بعد ما مات – يُهزَمْ
واذا بابنهِ المرجّى المُفدّى     يحمل التاجَ فى اباءٍ تجهَّمْ
واذا عالَمُ العروبة وثّا     بٌ وفىٌّ وباسمهِ اليومَ أقسمْ !

* * *

ذاكَ شِعرُ الحياةِ من روحِكَ الحيِّ وإن كان في رثاءٍ ومأتمْ
نفخَ الروحَ في فؤادكَ من قلبٍ كبيرٍ على رضاكَ تحطّمْ
ماتَ في قمّة الجبال ، كما عاش منالاً من التسامي ومَعلَمْ
كالشهيدِ الذي تكفّل بالرايةِ في الغزوِ فوق حصنٍ مُيَمَّمْ
يخطف النصرَ بالدهاء ويمضي طائراً جارحاً اذا النسرُ هوَّمْ
إن بكاه العراقُ أو أجفل النهرُ وسيفٌ بغمدهِ يتضرَّمْ
فالأنينُ الأنينُ أصداؤه شتّى عميمٌ ، وقلَّ خطبٌ يُعَمَّمْ
وقليلٌ مَن ساد في الناسِ للناسِ ومَنْ عَلَّمَ الورى وتعلَّمْ
وقليلٌ مَن عاش في الشعبِ للشعبِ زعيماً بعبئهِ وتألَّمْ

* * *

ذاك شعري مِن نار نفسي التي ثارتْ وناءتْ فكدتُ لا أتكلَّمْ
هو نفسي تسيرُ في موكب الغازي وقد عادَ كالكميِّ الملثَّمْ

* * *

هذه الأبيات ، التي اخترتُها من هذه القصيدة ، يكاد كلُّ بيت منها أن يكون تشريعاً أدبياً للعقيدة الأدبية في الاخلاق ، وفي العظمة ، وفي أسلوب الرثاء، فقد قضى فيصل لكن هذه الدروسُ الحية من العظمة الاخلاقية الباقية هي التي كوَّنت فيصلاً والتي صيّرته هذا العاهل العراقيّ الذي يخاطب ذكراه شاعرُ البيئة المصرية بقوله :

إنْ بكاهُ العراق أو أجفلَ النهرُ وسيفٌ بغمدهِ يتضرَّمْ
فالأنينُ ، الأنينُ أَصداؤه شتّى عميمٌ ، وقلَّ خطبٌ يُعَمَّمْ

أترى شاعراً فرداً من شعراء العربية استطاع أن يقف في موقف العظمة الخالدة وفي موقف الدموع والرهبة فيستثير في النفوس الايمان بالحياة والاخلاق والعظمة الباقية قدرما يستثير أبو شادي في هذه القصيدة التي تعادل وحدها ديواناً بأسره ؟!

* * *

تعالَ بنا الى شعر التصوير الذى يقف أبو شادى منـه فى الذروة السامقة التى لا تُسامَى فهو يقدم اليك مُثله العليا فى الجمال ثم يستوحيها القيثارة الشعرية المترجمة، فاذا بك تقرأ ترجمة نفسك وخواطرك فى الوقت الذى تستمتع فيه عيناك بهذا السحر الفنى . ولعله أول شعراء العربية الذين عُنوا بهذه النماذج من الصور الجميلة الفاتنة عن تفسير شعرهم وتوضيح ما يظن انه غير واضح منه ؛ فهو بدلاً من أن يخاطبك بلغة الغموض والابهام ويتوارى خلفَ كنايات واستعارات لا معنى لها يقف بك على هذه الروح الحية التى استوحاها شعره لتستوحيها أنت عقيدة الشاعر فى فنه والهامه، وفى رأيه وقلبه ! ثم اذا بك فى النهاية تستلهم الفن من روحين : روح العقيدة وروح الصورة ! فهل ترى هذا فى تلك القصائد المعهودة التى تشبه دروب مصر القديمة يترل منها المغترب فى نواح من النور والظلام لا نهاية لها ؟ !

نظرة مستفيضة بالتأمل الى ما استطاعت أن تبدعه ريشة الفنان الفرنسى هنرى مانويل للغادة الفاتنة التى استوحاها أبوشادى قصيدته « زهر الحب » وحدِّثنى بصدق فيما اذا كنت تستطيع أن تجد فارقاً بين الصورة فى روعتهـا وأسرها ، وبين القصيدة فى فنها واعجازها :

قِفِى للحبّ أنتِ وحـدِّثينا حديثَ الزهر يشبعنا فنونا !
حديثٌ كله شركٌ حبيبٌ نطـاوعه فيقهرنا فتونا
كأنّ جمالك المعبودَ صفوٌ مِنَ الجنات وهَّاباً ضنينا
عَلَّمينا المفـاتنَ منه شتّى فأطمعَنا وإنْ كنّا كَفِيـنا !

* * *

عرَضْتِ لنا تقاسيمَ الجمالِ وإشعاعَ الحقيقةِ والخيالِ
تَـلألأَ بالهوى القدسيِّ بَيْنَـا تَدفُّقَ بالتجاوُبِ لابتهالى
فأبصرتُ النَّجاةَ لكلِّ عانٍ وذُوِّقْتُ الحنانَ لـكلِّ سالِ
وإزهارَ الفنونِ بمصرَ جَدْبٍ بلا عِوَضٍ وأحلامَ الأوالى

ويستطيع القارىء أن يستمتع بقراءة هذه القصيدة فى الديوان من أولها الى آخرها فهو واجدٌ فيها صورة فنية رائعة فى الجمال روعة الصورة التى رسمتها ريشةُ الفنان الفرنسى .

* * *

وإذا تركنا شعر التصوير الى الشعر القصصى فأبو شادى بين شعراء جيله فى هذا الضرب المستحدث فى الآداب العربية الشاعرُ الفذُّ الذى نجد فى شعره القصصى المثل الأعلى لأدب القصة ، ووحدتها وارتباط أجزائها ، وروعة مكانتها وسلامة أفكارها .

اقرأ له قصتى « ارفيوس ويوريديس » و « هرقل وديانيرة » وغيرهما من القصص التى احتواها هذا الديوان وغيره من دواوينه السابقة ثم قارن بينها وبين القصص الشائعة فى الادب العصرى فلعلك لن توفق الى قصة واحدة تصيب من نفسك ما يستطيع أبو شادى أن يصيبه منها بهذه المقدرة الفنية التى طوّعت له من العربية ما طوّعت له من المعانى .

* * *

لم يكن أبو شادى بالشاعر الذى يملكه خياله فيفتنه عن مواطن الحكمة فى الحياة والنظر اليها نظر الخبير المدرب أو الرياضىّ الذى لا تفلت منه صورة واحدة من صور الحياة السريعة حتى يستقرىء منها تعليلا علمياً أو تطبيقاً تصوّرياً .

اقرأ معى قصيدة « جناية الاجيال » التى يقول فيها :

مهما سخطتَ فلا تَجْحَدنَّ إذا نَظَرَتْ ... لكَ الحياةُ بروح الناقدِ الدّارى

دُنياكَ هذى كَمَا تُبْدِى أنتَ تجهلهُ ... وما خُصِصْتَ بهِ ما بين أدوار

قد خُبِّئَتْ عَدَساتُ الدّهرِ فى حُجُبٍ ... وأنتَ بين خيالاتٍ وأقدار

طوراً تمثّلُ فى أمنٍ وفى دعةٍ ... وتارةً أنتَ ذاك الساخطُ الزّارى

فَلمْ الحياةِ لكلّ فضلةٌ ، وله ... نصيبُه بين إكبارٍ وإصغار

كأنما نحن أوهامٌ وتسليةٌ ... نشوقه بين أطيافٍ وأنوار

لا ينتهى ذلك التمثيلُ فى صُوَرٍ ... وكم يجدّدُ أدهاراً بأدهار !

أوَجدتَ تصوّراً للحياة تكاد تزدحم به كلّ مشاعرك فلا تستطيع أن تترجم عنها خيراً من هذا التصوير ؟

ثم حدّثنى : أفيه مبالغة ؟ أم فيه خيال مخدوع ؟ أم حقيقة الدنيا ترسمها ريشة الفنان العبقرى ، ثم ترسلها سحراً على القلوب والاسماع ؟

* * *

ثم تعالَ معى إلى قصيدته « وداع الشاطىء » فاقرأ منها هذه الأبيات :

إيهِ يا قلبي ! تأمَّلْ ! هذه دنيا الصراعِ !
يُبدعُ الفنانُ لكنْ هو كالنور المشاعِ
خاسرٌ مهما تفانى في وفاءٍ وابتداعِ
هذه دنيا جنونٍ في نزاعٍ وامتناعِ
كلُّ ما فيها غريبٌ لابسٌ ألفَ قناعِ
وكأنَّ البحرَ لو فتَّشْتَ مِن وهمِ المتاعِ
وكأنَّ الحسنَ لم يُخلَقْ ولم يجذبْهُ داعى !

اقرأها جيداً ، وقارن بين هذه الفلسفة العالية وبين فلسفة شوبنهاور فى كتابه « العالم كارادة وفكرة » لتدرك ما استطاع الدكتور أبو شادى أن يصل اليه من ذلك المستوى الفلسفى ، ثم حدِّثنى فى صراحة : فى أى مراتب المفكرين من أئمة الفكر البشرى ترى أبا شادى ، وترى آراءه التى يهبها كلّ قلبه وملاحظته ، وكل إحساسه وعطفه وعقله ؟ !

* * *

نعود الى التذوّق الأدبى فى مصر ، فهل هناك ذوق أدبى فنى ؟ أم هناك جمهور يقف فيه أحدهم فيقول : نعم ! فيردّد الجميع : نعم ! ويقول : لا ! فيقولون بدورهم : لا ؟ !

وإلاّ فما معنى أن تصيب اسطوانات الراديو أسماعنا بالصداع فى الطريق وفى المكتب وفى المقهى وحتى فى السيارة بهذه النغمات المريضة ، فيكون اعجابنا بها فى كل وقت شديداً ، واقبالنا على ما فيها من هوسٍ بالغاً ، فاذا ما اهتزت أوتار هذه الشاعرية العالية لتلهمنا الحسّ المجدَّد والحياة الفاتنة ، تصايحنا فى استغرابٍ : ما هذا ؟ أفى كل حديث يجدد أبو شادى ، وفى كل يوم يطالعنا بالجديد ؟ ! فاذا ما استمعت هذه الاسماعُ المريضةُ إلى قصيد من الديوان وراءها ما فيه من فتنة وما فيه من جمال ، احتبست ألسنة أصحابها عن الاعتراف بالتفوّق وراحت تذكر انّ هذه سرعة لا تتفق مع الفنون ، كأنما الفنون فى عرف هؤلاء لا يتّفق معها إلا التباطؤ والطبيعة

الخاملة ، وكأن اديسون وهو يخترع قبل أن يشرف على الثمانين مئات الاختراعات ، ويعمل تقريباً أكثر من عشرين ساعة بين كل أربعة وعشرين ، لم يكن فناناً من النوع الالهى الذى لم يوجد بعد فى هذه الدنيا !

ومن عجيب أن تكون المعجزات الفنية ، فى مصر وفى بلاد الشرق ، مثار الحفيظة على الفنان ، وخاصة على فنان موهوب كأبى شادى ! وممن ؟ من أناس لا هم هنا ولا هم هنالك ، وقد يكونون بين من علّمهم أو شجّعهم أبوشادى بفطرته التصوّفية المتسامحة المتواضعة أو بين من ساعدهم على الظهور الأدبى بعد أن كانوا فى الخاملين ! والا فأىّ عيب فى شاعرية أبى شادى وكلها موسيقية ساحرة ؟ وماذا فيها من مآخذ ، وأنت لا تقرأ البيت وتحتاج أن تعلق عليه بشرح أو توضيح ، فهو كالصورة الجامعة الساحرة ؟ أما يسرّ هؤلاء الا هذا الشعر الذى تحتاج بعده الى الموسوعات ، ترى ما فيها من ترجمة لهذا الهذيان ، فاذا أنت قد أضعت الوقت الطويل فى الترجمة والاستيعاب تفقّدتَ ما بقى فى نفسك منه ، فاذا لا شىء غير الحمى أو دوار الرأس ؟!

هل عرفت العربية شاعراً للفكرة يبثها فى أبياته ويرسلها وحدة ثمينة كاملة قبل أن تعرف أبا شادى ، أو هل عرفت العربية شاعراً له فى كل بيت معنى وفى كل ديوان جديداً وفى كل ناحية تفوّقاً أو اعجازاً ؟!

ما أعجبَ البُكْمَ الذين استعذبوا    خَرَسَ القديرِ كهيكلٍ مقبورِ !

* * *

بعد هذا التحليل الذى بيّنتُ فيه مناهجَ أبى شادى فى شعره وتناوله الحياة الأدبية بهذه الأساليب ، التى بزّ فيها معاصريه من الشعراء وإن قضتْ صوفيته بأن يتفانى هو فى محبتهم وأن يُصغر من شأن نفسه ولا يرضى عن ابداعه ، أرانى قد وفّقت إلى حد كبير فى الترجمة عنه بهذا العنوان الذى اخترتُه لموضوعى ، وانه لكذلك فى حاضره الأدبى ومُثُله العليا التى يحاول بها الكمال البالغ النهاية من الدقة والتفكير الفنى شاعرُ البيئةِ المصريةِ وعنوانُها الأدبى الرفيع ؟

الاسكندرية :    محمود أحمد البطاح

# التعابير الجديدة

## فى شعر ابى شادى

ما هذه التعابير الجديدة الزاخرة التى لم ترد فى الشعر القديم ؟ وما هذه الاستعارات والرموز المتدفّقة من شاعرية فياضة يرفدها الاحساس ويصفيها نقاء الطبع ويظللها اطمئنان النفس ؟ وما هذه المعانى اللطاف التى لم يخالطها التكلف ولم يعترضها التعسف ، ولا تخايل لها الغموض ؟ ولمَ لا يسكت هذا الشاعر الذى اضطمّت جوانحه على قريحة مائة شاعر وشاعر، فلقد كاد يكون جميع كلامه شعراً ؟! ولمَ لا يستمدح بالاقلال ويتظاهر بالكلال ؟ هذه سؤالات سألها الناقمون على أبى شادى ، الحاسدون على شعره ، الدهشون من فيض شاعريته، وأولئك هم أعداء البشرية وبغضاء الانسانية ما سلط الدهرُ على أفئدتهم أذىً أقتل من حسدهم ، ولا شاب أنفسهم بشوب أفسد من غثاثة سجاياهم ، فالواحد منهم كالقرية الموبوءة يعدى بعضها بعضاً ، وفى ذلك الخسران المبين !

ويودّ فريق من هؤلاء المعينين على أنفسهم ألاّ يقول الشاعر الا مقولاً ولا يستعمل الا تعبيراً منقولا ، ولا يعنى من المعانى الا ما قالته الشعراء قديما، فأصبح على سلامته بكثرة الاعتوار سقيماً ، يدعون أن خير الشعر مبتكره ، وأوضحه أسلسه عبارة ، وألطفه أجمله استعارة ، ولكن الحسد يقتل النصفة فيهم والغرورُ يعيل قياسهم والعداوة تنزع الحقّ من عقولهم ، فتتنافى أحكامهم وتتناقض إرادتهم ، فهم بين الحق والباطل تائهون ، وإذا خصمتهم بالحجاج وكثرتهم بجموع الحق أصرّوا على ظلمهم غير نادمين ولا ناكصين ، وما هم والله إلا فارّون عميت عليهم السبل ، وغشيهم ظلام الجهل ، وأرهقهم نصب الاباطيل !

قلنا فى كلم سبقت لنا « إن اللغة العربية اليوم بين حزبين متضادين يريد أحدها بها ما لا يريده بها الآخر ، ويصفها فريق بما ينزهها عنه الفريق الآخر ، وحكم التطور جار على كل شؤون الحياة وأدواتها ، ولكنه يكون بحسب ما للأمة المتطوّرة من الحرية والثقافة والمكان وسنوح الزمان ، والأمة العربية اليوم فى عهد يقظتها وهبّتها واستئنافها السعى للحاق بالأمم المسرعة السير النشيطة الى الاعمال ، والزمان

اقتصادى فى كل ما اختصاره لا يقلل فائدته والاسراع فيه يوفر عائدته ، فالعربية قد أوجب الزمان عليها الاصلاح وأهاب بها الى الافلات من ربقة الجمود ؛ وصدى هذه الاهابة ما يقوله الحزب الداعي الى إصلاحها من صعوبة قواعدها وكثرتها وسخافة بعضها ورجعية المتفاصحين بوحشيّ أساليبها وغرائب كلمها وعليل شواذها ووعورة كتب الدارسين لها ، ولصوق « القشوريين (١) » بعوجّ كتابتها وشاذ رسمها ؛ وقبالة هذا الحزب الشهم حزب يستقبح هذا الاصلاح ويستحسن هذه الدعاية ويفيّل هذه الآراء ويرى الفصاحة فى الاغراب والبلاغة فى عتيق التعابير والبداعة فى بالى التشبيه واللطف فى وحشيّ الكناية والبراعة فى بدويّ اللفظ والسعادة فى أن تصاب عينه بالسُّلاق من عناء الكتب الصفر واستقصاء الحواشي العُفر ، والفوز فى أن يموت وفى دماغه شيء من « حتى » وحفيظةٌ على « بل » وحاجة الى « أو » أو أن يرشح للموت وهو فى روضة الاستعارة الترشيحية ! وبين الحزبين نابتة لا تعلم من العربية شيئاً وتحتكم بوجوب اصلاحها كما يحتكم الصبي على أبويه ، واذا سألتهم عن هذا الاصلاح وأفضوا اليك بآرائهم أيقنت أنهم يريدونك أن تدعو الله تعالى ليلهمهم العربية الهاماً أو يحلموا بحفظها أحلاماً ! فدعوتُهم اذن محض تقليد بليد وصرف احتكام طفلى ، فالاصلاح يجب أن يبنى على أسس رصينة وينظر فيه الى العواقب وعظم الفوائد ، وليس هو من حق الجاهلين للعربية البعيدين عن آدابها ؛ فقد قيل : عدوّ المرء ما يجهله ، ومن وقف فى مواقف الريب فلا يلومنّ الا نفسه . . .

ومما يستفكر الأذهان ويستبصر البصيرة عرفان « الشعر » عند العرب هو العلم ، والفعل « شعر » بمعنى « علم » ، لكن لفظ « الشاعر » كان أشيع من لفظ « العالم » فسُمّى العالم شاعراً ، وكانوا يريدون بالشعر « بداعة التعبير مع صحّة تفكير واتقان تصوير » ولذلك قال حسّان بن ثابت لابنه عبد الرحمن وهو صغير « قلتَ والله الشعر » لما قال له « يا أبى لسعنى طائر كأنه ملتفٌّ فى بُردَى حِبَرةٍ » وقد أراد

---

(١) هؤلاء هم الوزر الأكبر والبلاء الأعظم على لغة العرب . تجد أحدهم يجادل شهراً أو أكثر فى كتابة « ها أنذا ، هأنذا » و « يا أيها ، ويأيها » و « هاذا ، هذا » و « لاكن ، لكن » و « إذن ، إذاً » ، وليس هذا من العربية فى شيء ، بل هو شعوذة وهراء ، فماذا يقول هاؤلاء فى رسم المصحف المخالف لقواعد الرسم عندهم ؟

بذلك « الزنبور » وإن لم يكن يعرف اسمه وصفه بالطيران وبأن جناحيه يشبهان الكساءين الاحمرين من صنعة اليمن ، فهذا غاية فى بداعة الوصف مع أن الواصف حدث قليل العلم بأساليب الكلام !

فالتجديد فى التعابير، ويُراد به « الاستعارة » ومنها التشبيه على الحقيقة ، أمر لا يمكن تجريد اللغة منه ولا سيّما لغة الأدب ، فان بداعة العبارة زينة للأدب ومنارة للإحساس ، ومجلبة للادمان ، فالدكتور ابوشادى لا يمكنه أن يقتل طبيعة الشعر ولا خصائص اللغة ، حتى يأتيهم بالعبارات البالية والتشابيه الآجنة والكلمات المبتذلة ، وانما هذا شأن الدجالين الذين لا أسلوب تعبيرياً لهم ولا لهم قدرة على التمتع بخصائص العربية ، فاذا قالوا شيئاً فانما هم جامعون أو مقلدون ، ومثلهم كمثل الذى يقلد أثراً من الآثار القديمة بأن يجمع أدواته من هاهنا ومن هناك ، فليس له حقّ التأسيس ولا الابداع . انظر الى قول ابى شادى فى ديوانه هذا الجديد الذى سمّاه « الينبوع » :

مَنْ مُرجِعٌ أمسى الذى كفّنتُه فيعود عطفٌ منه ليس يُمَنُّ !؟

فأنا ما اعلم أن احداً استعار « الموت » للزمان ثم كفّنه على حسب ما يعمل بميت المسلمين ، فذلك تعبير جديد بديع يزيد الاحساس بالألم والأسف والحيرة والضعف ، وإنّ لغة تجيز لك ان تقول «قتلت الامرَ بحثاً وتمحيصاً» لتحبب اليك أن تقول « كفنتُ امسى » وانّ ذكر الموت والكفن أعظم ما يستثار به الحزن ، ولو كان قد قال « من راجع » لكان أخف مع أداء المعنى المراد ، وهى لغة القرآن الكريم ، ففى سورة التوبة « فان رَجَعَكَ اللهُ الى طائفة منهم ... » وفى سورة طه « فرجعناكَ الى امّكَ كى تقرَّ عينها ولا تحزن » وفى سورة الطارق « إنه على رَجْعِهِ لَقادر » وللعلماء كلام على ترجيح « الفعل الثلاثى » ومشتقة على « الفعل الرباعى » ومشتقه إذا استويا فى المعنى ، ولكنه متناقض ، فقد وجدت انهم يقولون إنّ « اغلق » افصح من « غلق » ويستشهدون قول ابى الأسود الدؤلى :

ولا أقول لقدر القوم : قد غليَتْ ولا أقول لباب القوم : مغلوقُ

وإنّ « أغفى » أفصح من « غفا » و « أدحضه » أفصح من « دحضه » و «أحبّه» أفصح من « حبّه » ثم يقولون إنّ « رعب » أفصحُ من « أرعب » و « نعش » أفصح من «أنعش » وغير ذلك مما لا يحضرنا ، فان كانوا يدعون أنّ

الثلاثى أفصح من رباعيّه الذى بمعناه فقد ورد فى القرآن الكريم « أوفى وأوحى » ولم يرد « وفى » ولا « وحى » وإن قالوا العكس فقد ورد فى القرآن أيضاً « تبع وأتبع » بمعنى واحد و « سقى وأسقى » بمعنى واحد . أما تعلّل ابن خالوية بأنّ «وفى » يجذبه اصلان و « أوفى » يجذبه أصل واحد فليس على شىء من الحق . ثم ماذا يُقال فى «تبع وأتبع وسقى وأسقى» ؟ فأحسن قاعدة لذلك « انْ يُرجَّح الفعل الثلاثى لخفّته » ويجب ان يستند الى هذه القاعدة فى « غلقه ودحضه ونعشه وغفا وحبه ورعبه ورجعه » فقد مضى عهد التناقض والاضطراب ووجب عرض النقل على العقل لتصفو اللغة من هذه الكدورة وتجرى فى مجرى ممهّد . ولا اظنُّ ان غيوراً على العربية يرى رأينا هذا فيتحاماه ليرجع الى « قال فلان وردّ عليه فلان » من بضاعات القشوريين المتمحلين المتكلفين .

وقال فى «الألحان الصامتة» مريداً لغة الحواجب والعيون :

أغنَتْ عن اللحن الشجيْ ... ى وفسّرت معنى الفنونْ
وكأنما الالحانُ إن ... حُرِمَتْ صداقتها تهُونْ (١)

فقد أسند الصداقة الى ما ليس له اختصاص بها فى الوجود على الاستعارة والابداع فى العبارة وهذا جائز سائغ فصيح مليح فى العربية. قال تعالى : « ولما سكت عن موسى الغضب ... » بل هل سمعت أحداً عاب على الاعشى مثلاً اسناده المحالفة الى الندى فى مدحه المحلق إذ يقول :

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نار باليفاع تحرّق
تشبّ لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار النّدى والمحلق
رضيعىْ لبان ثدى أمّ تحالفا ... بأسحم داج عوض لا نتفرق

فهو لم يكتف بالتحالف بينهما بل زاد عليه المراضعة من ثدى امّ ، وكأنه اراد التأكيد فى هذا المجاز بالاستزادة من الحقيقة ، ومع ذلك فأبياته قد بلغت من الاستحسان والاستطراف شيئاً عظيماً . ومما آخذه على الدكتور أبى شادى حكمُه فى البيت

---

(١) يقول صاحب الديوان فى تفسير هذا البيت وما قبله ان لغة الحواجب والعيون قد تغنى عن الالحان ولكن الالحان تهون بدونها .

الأوّل بأنّ لغة الحواجب والعيون مغنية عن اللحن الشاجي مع قوله في البيت الثاني بأن الألحان إن جُرّدت من تلك اللغة تكون هيّنة . فالمستغنى عنه غير بالغ درجة الهيّن،وإذن بين الحكمين تفاوت ولا أقول (تناقض) ، لأن التفاوت جزء من التناقض ، ولا يجوز البتة هنا اطلاق الجزء على الكل . وأما قوله « الشجيّ » بتشديد الياء فأراد به « المحزون » وهو من المجاز السائغ العذب — كما قدّمنا — وذكرنا في الجزء الأول ( ص ٤٥ ) من المجلد الثاني لأبولو أن العلماء منعوا « الشجي » بمعنى الحزين ، وأجازه بعضهم بمعنى المشجوّ أي المحزون كالقتيل بمعنى المقتول ، ثم عقبنا قولهم بجواز اشتقاق « فعيل » من « فعِل يفعَل » صفة مشبهة على حسب القاعدة التي استقرينا أمثالها من كلام العرب ، وذكرنا من أشباه الشجيّ « الذكيّ والكديّ واللويّ والوجيّ وغيرهن » فالصفة المشبهة من مواضيع الصرف التي لم يستوف العلماء الكلام عليها فدونك ما فتح الله علينا من أمورها :

( أوزان الصفة المشبهة في القواعد الجديدة )

١ — تُصاغ الصفة المشبهة من « فعِل يفعَل » على وزن :

أ — فَعلان ومؤنثه « فعلى » من دون قيد ولا شرط ، لا كما زعم القدماء من وجوب اشتمال الفعل على الخلوّ أو الامتلاء ، مثل « أهِب أهبان » (١) و « حرِد حردان » و « حسِر حسران » و « أسِي أسيان » و « رحِم رحمن » ، وجهل القدماء لشمول القاعدة سبب لهم الحيرة في اشتقاق « الرحمن » كما ترى في تفاسيرهم ، ومثل « غضب غضبان ، وفرح فرحان ، وسلِم سلمان ، وحزن حزنان ، ولهف لهفان وعفّ عفان (٢) وفين فينان (٢) ووسن وسنان وسهر سهران ونعس نعسان (٢) وشهي شهوان (٢) وخمص وخمصان وحسّ حسان (٢) وحير حيران (٢) وزعِل زعلان، وسخِن سخنان، ونوم نومان (٢)، وغير غيران (٢) وألي أليان ورهب رهبان وخشي خشيان ونسي نسيان ودخن دخان وصوج صوجان ومنها « ضوجان » بالضاد المعجمة ، ولحي لحيان وقشي قشوان، وموت موتان وندم ندمان ، وعيم عيمان ووهن وهنان، وحي حيان وزهم زهمان» فهذه التي خطرت في ذهننا من المخالفات لأقوال العلماء ، ويقول المصريون :

---

(١) وردت هذه الصيغة في الأعلام لا في الصفات ولم يرد فعلها مع الأفعال ، لكن طريقتنا أن الأثر يدل على مؤثره : فالشهوان وإن لم يرد له فعل لازم فانه يدل على ذلك الفعل ومثله الصفعان (٢) الصفة تدل على الفعل كما قلنا .

اليوم « هو عيان » على هـذا القياس ، وكانوا يقولون « نعيان » — كما قرأت فى كتاب ألف ليلة وليلة — ويقولها اليوم العراقيون ، ثم إن لنا أن نشتق من الأفعال والتغييرات الجسمية التى تعروها الكثرة فى صاحبها فعلاً على هذا الوزن « فعِل يفعَل » ثم نشتق منه الصفة المشبهة ألا ترى انهم اشتقوا من الابل لسائسها أبل يأبل فهو أبِل أى محسن سياسية الابل ، ومن الأرضة وهى دُوَيّبة تأكل الخشب «أرضت تأرَض فهى أرضة» ومن الأسَدِ «أسِد يأسَد فهو أسِد» ومن الأشْب وهو الخلط « أشِب الشجر يأشَب فهو أشِب» ومن الانسان أنِس يأنَس فهو «أنِس» ومن الذئب « ذئب يذأب فهو ذئِب » والأمثال على هذا لا يسهل استقصاؤها ويعسر ضربها .

ب — وعلى أفعل ومؤنثه فعلاء ولا حاجة فى صدرنا إلى ضرب الامثال له .

ج — وعلى «فعِل» ومؤنثه «فعِلة» للتغير الجسمى والخلقى والعملى والنفسى مثل «الأرِض والذئِب والابِل والطرِب» وعلى هذا القياس يقال «علم به فهو عِلم» .

د — وعلى فعيل ومؤنثه فعيلة كالأثيم والأريب والجفيس والتريع والحنيق والربيك والرعيش والسجيس والنبيه والذكى والسمين والحريك والعيي والفشيل والفنيع والفهيه والقشير والكدىّ والكشىء واللهيع واللهيف واللوىّ والمذيل والمريض والمضير والمعيص والنتين والنجيد والنحيز والنديب والنضير والنفيل والنقيب والضمين والنقير والغنى والنكيب والهريت والوجى والوديك والرحيم والوقيع والحزين والبييس واليسير والخصيب وما شابهها ؛ وبهـذا القياس استجازوا قولهم تعس فهو تعيس .

هـ — وعلى فعْل مثل تعْس وجفْس ونَدب وقرم ولدّ ،والظاهر لنا أن أصله «فعل» حذفت الكسرة للتخفيف ، فلذلك يجوز لك أن تحذف كسرة « فعل » عند إرادتك التخفيف .

و — على فِعْل مثل «الخصب والجفس والجبس والنكس» والظاهر لنا أن أصله «فعِل» فحذفت الفتحة للتخفيف ونقلت الكسرة إلى الفاء . ونقل الحركات مألوف فى الادغام للخفة مثل لم «يفر» .

٢ — وتُصاغ الصفة من « فعَل يفعِل » المضعّف على « فعيل » ومؤنثه «فعيلة» مثل خف خفيف وعف عفيف وبض بضيض وطر طرير وجد جديد وحد حديد ورق رقيق وشد شديد وشر شرير وعز عزيز وغث غثيث وكث كثيث وسد سديد

وكل كليل وشح شحيح وقل قليل ومر مرير وذل ذليل وعل عليل وشف شفيف وطف طفيف وشت شتيت وحب حبيب وطب طبيب وأث أثيث « على لغة » ورك ركيك وحق حقيق » وغيرها .

٣ — ومن الثلاثي اللازم المعتل الآخر على «فعيل» مثل « أبى عليه فهو أبيّ وأتى اليه فهو أتيّ وأنى يأنى فهو أنيّ وبها يبهو فهو بهيّ » على لغة » وتقى يتقى فهو تقيّ وثرا يثرو ثريّ « على لغة » وثوى فيه فهو ثويّ وجلا يجلو فهو جليّ وحرى به فهو حريّ وحفا به يحفو فهو حفيّ وخلا فهو خليّ وذكى يذكى فهو ذكيّ « على لغة » ورخا يرخى فهو رخيّ وزكا يزكى فهو زكيّ وسخا يسخو فهو سخيّ ، وسرا يسرى فهو سريّ وصبا يصبو فهو صبيّ وصفا يصفو فهو صفيّ وطرو يطرو فهو طريّ وعتا يعتو فهو عتيّ وعصى يعصى فهو عصيّ وعلا يعلو فهو عليّ وغوى يغوى فهو غويّ وقصا يقصو فهو قصيّ ووحى يحى فهو وحيّ وورى يرى فهو وريّ ووفى يفى فهو وفى وغير ذلك .

٤ — ومن الأجوف الثلاثي اللازم على وزن فيْعِل مثل أيّد وبين وصين وريق وشيق ولين وعيل وقيم ونير وصيب وثيب وسيد وهين وخير وطيب وكيس وما يصعب عدُّه .

٥ — ومن الثلاثي المضعَّف أيضاً على «فعْل» مثل «حيّ وعى وأث وكث وبض وغض وشر وقط وكم وشت وشر وحَب وطب » وهو فى الأصل فعِل فاعتراه الادغام تباعاً لكلام العرب.

٦ — ومن الثلاثيّ المضعف اللازم على وزن «فَعال » مثل « تمَّ البدر فهو تمام وجل فهو جلال ، ومنه الجنان للقلب بمعنى الخفى ، وحلَّ فهو حلال ورقّت الأرض فهى رقاق وشتَّ فهو شتات وشحَّ فهو شحاح وشعَّ فهو شعاع وصحَّ فهو صحاح » والحق بهذا الباب مثل « رزان وصناع ووقاح » وأغلبه المؤنث .

٧ — ومن الثلاثي اللازم مطلقاً على «فاعل» مثل «وادع وحامض وفاره وبالٍ وعالٍ »

٨ — ويصاغ من «فعُل يفعُل» على «فعيل» كما هو متعارف مثل « حصُف فهو حصيف » وعلى «فعَل» مثل « حَسُنَ فهو حَسن » وعلى «فعْل » مثل «شهُمَ فهو شهم» وأمَّا «خشُن فهو خشِن » بكسر الشين ، فالكسر فيه عارض لا أصيل والأصل سكون الشين .

٩ — ويجوز أن ينقل كل «فعيل» من الصفات المشبهة إلى «فُعال» و «فُعَّال» مثل « شجيع وشُجَاع وكريم وكُرَّام » نقل ذلك السيوطى فى «المزهر» وأما مثل «حُسان» فهو محمول على أن أصله «حَسين» الجائز قياساً .

١٠ — وتُصاغ الصفة من « فعلل » على وزن «فَعْلال» قياساً مثل « رقراق» و «لألاء» و «رفراف » و « سلسال» و « سفساف» و « صلصال» و « نضناض »

١١ — وتُصاغ منه على وزن «فُعَالِل» مثل « خُلاحِل ، وسُلاسِل وصلاصِل، وشبارِق» .

١٢ — وعلى «فعلول» مثل «بهلول وشمرور وكهلول» وهذا الوزن كان فى الزمن القديم من أوزان التصغير، وترى دليل ذلك فى «العصفور والزرزور والحُبرور» .

١٣ — وتصاغ من «فاعل» على وزن «فعل» فتكون مثل «فعلال وفعالل وفعلول» بين اسم الفاعل والصفة الصحيحة ، مثل «الف وترب وخلّ وحلّ ولزّ ولصق ولزق وشبه وعدل ومثل وزمل وندّ وضد وطبق ووفق » وتصاغ منه أيضاً على «فعيل» فتكون بمعنى «فعل» بين الوصف والفاعلية مثل « أليف وخليل ولصيق ولزيق وشبيه وعديل وزميل ونديد وضديد وصديق ووزير ونظير» .

١٤ — وتصاغ من باقى الرباعى ومن الخماسى والسداسى على وزن اسم الفاعل مع اشتراط لزوم الفعل أيضاً ، ولا حاجة فى صدرنا الى ضرب الامثال على ذلك لاشتهاره .

* * *

وقال الدكتور فى قصيدة « يوم مروع » فى جيرة البحر ، كما فى ص ٤ من ( الينبوع ):

وهذا البحرُ أهونُ ما تلاقى     فما موجٌ سوى موجِ السنينِ

فاستعار الموج للسنين بعبارة التقلب والاضطراب ، كقوله تعالى «واخفض لهما جناح الذل » فليس للسنين موج ولا للذل جناح ولا جسم ، ولكنّ باب المجاز مفتوح والذوق الكريم يلجه أنّى شاء .

وقال فى وصف «البحر الصغير» من مَشاهد المنصورة البديعة :

تطوف على الحقول وأنت تُسدى     حياةً ليس يشبهها النظيرُ

وما أراه موفقاً لاستقصاء المعنى فى قوله « ليس يشبهها النظير» لأن النظير يجب

أن يكون مشبها لمناظره ، وبذلك سُمّيَ نظيراً فهو « فعيل » بمعنى « مُفاعل[١] » فكيف يصح أن يُقال ( ليس يشبهها الشبيه ) ؟ فلو قال — حفظه الله — مثلاً ( حياة ما لها أبداً نظيرُ ) لاستوفى المعنى واستقصاه[٢] .

وقال فى قصيدة ( الالهة الخالدة ) :

وإذا بِيَ الصّادى الذى لا يَرْتوى        وإذا جمالُكِ وَحْدَهُ الينبوعُ

وقوله وإذا بِيَ الصادى غير معروف فى التعابير الجديدة والمألوف دخول الباء على ضمير غير المتكلم مثل ( وإذا بهم وإذا بها ) فإذا رأى المتفاصحون هذا التعبير أنكروه على الدكتور وعُمِّيت عليهم سبل العربية الواضحة ، ولم يعلموا : أنَّ جعل الصادى جزءاً من صاحب الضمير نوع كريم من الفصاحة العربية يُسمى التجريد من بدائع علم البديع ، وهو — كما جاء فى كتب الفنون العربية — أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فى تلك الصفة لكمالها فيه وهو على سبيل المبالغة نحو قولهم « لى من فلان صديق حميم » وإنما فلان هو الصديق الحميم ، وكقول الشاعر نقله المبرد فى ( الكامل ) :

أخو رغائب يعطيها ويسألها        يخشى الظلامةَ ( منه النوفلُ الزفرُ )

وكقوله تعالى « لهم فيها دار الخلد » أى فى جهنم وهى دار الخلد ، ونحو قولهم لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر .

— وقال فى القصيدة نفسها :

وكأنما نصفو بعالم حبِّنا        والذكرياتُ تحوطنا وتَروعُ

وربما يعترض عليه بعض المبتدئين بالعربية الجاهلين لأسرارها بأن تحوط قد ورد بمعنى تحفظ وترعى فهو مخالف لـ « تروع » وهو بمعنى « تخيف » ها هنا ، ولكن فقه

---

( ١ ) تراجع أوزان الصفة المشبهة المشتقة من « فاعل يفاعل » . ( ٢ ) يفسر صاحب الديوان هذا البيت بأنه قد يكون لهذا « البحر الصغير » نظير فى مشهده ، ولكن للبحر الصغير روحانية خاصة تجعله فوق كل نظير .

اللغة يثبت أن تحوط بمعنى تحفّ مطلقاً . ذكر ذلك أبوزيد[١] محمّد بن أبى الخطاب القرشىّ فى جمهرة أشعار العرب ( ص ١٤٦ ) وسأل أعرابى أحد الناس قال « ما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها ( الـكامل : ١ : ٩٨ ) أى يحفّها .

— وقال فى ( رثاء الجمال ) عند شاطىء البحر :

أنظر إلى الحُسْنِ فى إعجازه صُوَراً ... لا تنتهى ، وعجيبٌ كلّها فانى !

وقوله « عجيب كلّها فانى » قد يبعث قائلاً على أن يقول له : كيف جملت المبتدأ جملة أسمية غير منسوخة بأن المسببة لتأويلها بمصدر ؟ والجواب عن هذا الاعتراض أن العرب قد استساغت مثل هذا التعبير وورد فى القرآن الـكريم ، قال تعـالى فى سورة الروم « ومن آياته يُريكم البرق خوفاً وطمعاً ، وينزل من السماء ماءاً فيحيي به الأرض بعد موتها» ،والتقدير : ومن آياته انه يريكم وأن يريكم، وتقدير كلام الدكتور «وعجيب أن كلّها فان » .

— وقال فى ( ديمقراطية الجمال )فى خليج استانلى :

نهداكِ أم ساقاكِ ما نطقا سوى ... بالشعرِ فى لغةٍ من التصويرِ ا

( ١ ) إنّ هذا المؤلف العظيم قد جمع للعرب أحسن جمهرة من أشعار شعرائهم ، ولـكن مؤرخى الآداب العربية ولا سيما المتأخرين لم يوفقوا لترجمتـه ولا لتعيين عصره وقرنه ، فجرجى زيدان قال عنه «ولـكن يظهر انه نبغ فى أواسط القرن الثالث للهجرة » عن تاريخ آداب اللغة العربية ( ٢ : ١٠٩ ) ، وهذا خطأ لا شبهة فيه فاننا بعد البحث المستوفى والتحرى المستقصى علمنا أنه من أهل القرن الخامس للهجرة ، ونحن أول من وقف على ذلك وتفصيله أن المؤلف المذكور أشار الى كتاب الصحاح للجوهرى المتوفى سنة ٣٩٨ هـ . وذلك عنـد شرحه لقصيدة الفرزدق فى قوله « أومأنا » فهـذا يثبت انه قد أدرك القرن الرابع ، ثم إنه روى كثيراً عن المفضل ابن مسعر المتوفى فى أواسط القرن الخامس للهجرة ـ كما فى الجزء السابع من معجم الأدباء لياقوت الحموى ـ وروى عن المؤلف ابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦ قال « وقال محمّد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشـعار العرب إن أبا عبيدة قال : أصحـاب السبع التى تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة » عن ١ : ٦ من ( العمدة ) طبعة الخانجى ونقل هذا الـكلام السيوطىّ فى ( المزهر ) .

والصواب بسوى الشعر فالباء وغيره من حروف الجرّ الموافقة لسوى ، تدخل عليها لا على المضاف اليه (١)

— وقال فى قصيدة حمى الموج عند شاطىء اسبورتنج :

أعيشُ ببيئةٍ كالصخرِ موتاً　　وكم فى الصخرِ تحنانٌ عجيبُ
أنستُ الى الجماد ففيه عطفٌ　　ومزّقنى المصاحبُ والقريب (٢)

والراجح «وكم — فى الصخر — تحنان عجيب» بالجر على اعتبار كم خبرية ، وإن جعلها استفهامية فالوجه النصب ومثل ذلك قوله فى ( حفلة ذكر ) : « جنون وكم فى جنون فنون » برفع فنون » .

— وقال فى قصيدة ( الينبوع ) :

كم معان فيك كادت لا تحدّ　　وعزاء عن حياة تفتقدْ

فقوله «كادت لا تحد» بتسليط لا النافية على خبر كادعدّه جماعة من المعتنين بالعربية خطأ ، واستصوبوا أن يقال مثلاً ما كادت تحدّ ومنه قوله تعالى ( فذبحوها وما كادوا يفعلون ) وأذكر إنى خطأت أحد الناس لوضعه ( لا ) النافية كوضع الدكتور لهـا ، حتى رأيت فى (خزانة الأدب) للبغدادى قول الشاعر الجاهلى :

صحا القلبُ عن سَلمى وقد كاد لا يصحو

فندمتُ على استغلاطى قول ذلك القائل وأيقنت أن الاعتماد فى التخطئة على الناس مجلبة للوهم ومكثرة للعثرات ، فقول الدكتور فصيح مليح .

وأنا الخجولُ أمامَ ما أنا ناظرٌ　　من كلّ موحٍ بالغِ التأثيرِ
فيهزّنى هزّاً ولكنى الذى　　مهما اجدتُ أحسّ بالتقصيرِ

فجعل عائد الاسم الموصول غير غائب والأكثر فيه الغائبية ومنهم من يستغلط قول الشاعر الدكتور ولكنه عندى فصيح . ومنه قول أفصح النـاس غير رسول الله — ص — الإمام على بن أبى طالب :

أنا الذى سمّتنى أمّى حيدرهْ

(١) يقول صاحب الديوان انه استعمل «سوى» اداة استثناء فى موضع «إلا» .
(٢) يعتمد صاحب الديوان على جواز الرفع بعد «كم» الخبرية المفصولة .

ولم يَقُل « تمتّه أمّه حيدرة » لاحتياجه الى القول الأوّل والشاعر محتاج .

وقال فى القصيدة نفسها :

وأبيتَ صمتى فالمماتُ متى وفى سبقى ديون حديثىَ المنشورِ

بتعدية «وفى» الى مفعوله «ديون» بنفسه والاصل أن يجر بالباء فيقال ( وفى بديون ) وهذا جائز للشعراء محمول على باب الحذف والايصال ، بل منهم من يبيحه الناثرين وأنا منهم ، وهو كقوله تعالى « واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » أى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، ويجوز عدّه أيضاً من باب التضمين كقوله تعالى فى سورة البقرة «ولا تعزموا عقدة النكاح حتى الكتابُ أجله» أى « لا تعقدوا» و « ولا تشدّوا» والعرب تقول «عزم على الأمر» فالتضمين مسيغ لحذف الحرف الجار .

وقال فى قصيدة زهر الحبّ :

حديثّ كلّه شركٌ حبيبٌ نطاوعُهُ فيقهرنا فتونَا

وأنا لا أرى اللفظ موفياً بما أراد الشاعر الدكتور ، لانّ بين « نطاوعه » و«يقهرنا» تنافراً من حيث المعنى فان المطاوع لا يجوز عليه القهر الذى يسببه عدم المطاوعة أى التأبى والتمنع فالمطاوع لا يقهر لأنه مطاوع وقد يردّ علىّ الشاعر بانّ هناك تمييزاً للقهر يجعله نوعاً من جنس وضرباً من مجموع ، فاقول : ولكن المطاوعة غير مقيدة فهى عامة مطلقة ، فلو قال مثلاً « نطاوعه فى المعانى فيقهرنا بالفتون » لاحتوائه على سر من الجمال تدركه النفس ولا تتناوله المقاييس،فيردّ علىّ بان الشعراء لم يجيئوا لخطاب الفلاسفة والمتكلمين ولا وضعوا الشعر على أصول المنطق والمقايسة ، فتكفى من الشاعر التعريضة اللطيفة والاعاءة الخفيفة والذكر المختصروالتنبيه الطفيف ، فعند ذاك لا يبقى مجال للرد ولا متسع للمؤاخذة ، وحسب الانسان أن يقول الحق فذاك أثمن من طلاع الأرض ذهباً (١)

— وقال فى قصيدة جناية الأجيال .

فِلْمُ الحياةِ : لكلٍ فصلُهُ ، وله نصيبهُ بين أكبارٍ واصغار

فاستعمل لفظ «فلم» الخفيفة الظريفة التى يصعب الاستبدال بها من العربية،ولا

---

(١) يفسر الشاعر هذا البيت بأنه يشعر بظلم الحبيب لعاشقه لأنه يستدرجه الى شرك جماله بحديثه الساحر فيطاوعه واذا بالحبيب يظلمه بفتونه القاسى القاهر .

ريب في أن اللغة قد اقتبست كثيراً من اللغات الاجنبية قديماً وحديثاً بل في القرآن الكريم كلم أجمع علماء الأمة على أنها أعجمية ولو اختلفوا في نوع أعجميتها ، فلينظر المتحري في الكتاب «المتوكلي» لجلال الدين السيوطي ففيه أن كلمة «شطر» حبشية بمعنى «تلقاء» و «الجبت» حبشية بمعنى الشيطان و «الطاغوت» حبشية أو عبرانية بمعنى الموقن أو الداعي ، وأن «ابلعي» حبشية أو هندية بمعنى ازدردي أو اشربي ، وأن «المتكأ» حبشية أو هندية بمعنى الجنة وأن «سكراً» حبشية معناها الخل وأن «طه» حبشية أو سريانية بمعنى يا محمد أو يا رجل وأن «حُرِّم» حبشية بمعنى وجب وأن «السجل» حبشية بمعنى الرجل و «المشكاة» حبشية بمعنى الكوة و «أوبي» حبشية بمعنى سبحي والعرم حبشية معناها «المسنّاة» و «المنسأة» حبشية أو زنجية بمعنى «العصا» ؛ و «يس» حبشية بمعنى «يا رجل» و «الكفل» حبشية بمعنى ضعف و «ناشئة» حبشية بمعنى قيام و «منفطر» حبشية بمعنى ممتلئة و «قسورة» حبشية بمعنى أسد «ويحور» حبشية بمعنى «يرجع» و «الاستبرق» والسجيل والاباريق والبيع والكأس والتنور وجهنم ودينار والرس والزنجبيل وسجن وسرادق وسقر وسلسبيل وسندس وقرطاس وكافور وكنز وياقوت ومرجان ومسك فارسية وأن المقاليد فارسية أو نبطية ، و «صرهن» رومية أو نبطية بمعنى «قطعهن» و «الفردوس» رومية أو نبطية أو سريانية ، بمعنى البستان أو جنات الاعناب من الكرم وأن أصلها بالنبطية «فرداسا» وأن «القسط» والقسطاس وطفقا والرقيم والصراط والقنطار وعدنا رومية وأن «السندس» هندية و «السري» بمعنى النهر سريانية أو بنطية و «الطور» الجبل بالسريانية أو النبطية و «هونا» سريانية أو عبرانية ، و «هيت» سريانية أو نبطية بمعنى «عليك» و «لات» سريانية أو نبطية بمعنى «ليس» وأن «الربانيين والربيين» سريانيتان و «الزهو» سريانية أو نبطية و «سجّد» جمع ساجد سريانية بمعنى مقنعي الرؤوس و «الاسفار» سريانية أو نبطية والقيوم الذي لا ينام بالسريانية ، و «القمل» الذباب بالسريانية ، و «اليم» البحر في السريانية أو العبرانية أو النبطية ، و «آزر» كلمة سب بالسريانية ، و «كفّر» بمعنى محا بالعبرانية أو النبطية ، و «أخلد الى» بمعنى «ركن الى» بالعبرانية و «الرمز» تحريك الشفتين بالعبرانية ، والأليم : الموجع بالعبرانية و «التتبير» والملكوت والال نبطية ، و «مزجاة» قبطية ، و «غساق» تركية ، و «حصب» زنجية ، و «المهل والأنى وحاميم ويصهر والأب» بربرية .

فنحن – وإن كنا لا نوثق بكثير من هذه الأقوال – نستدل على تجويزهم دخول الكلمات الأجنبية فى العربيّة ، وكيف لا يستجيزون ورَبّهم أجاز ؟

— وقال فى قصيدة « أرفيوس ويورديس » :

وأحالَ ما يهواه لحناً معجزاً      والليلُ مصغٍ لا يَفُتُّ نجومَهُ

فعدّى « أحال » الى مفعولين بنفسه ، وضمنه معنى ( صَيَّر ) وهذا الاستعمال وإن لم يرد فى معاجم اللغة الناقصة فانه قد استعمل فى كلام الفصحاء ( راجع شرح ابن أبى الحديد مج ٢ ص ٤٥٦ ) .

— وقال فى قصيدة ( من القلب ) :

ولو انّهم وهبوا الطبيعةَ نظرةً      صدقَتْ لما عابوا فنونَ بيانى

ومنع بعضهم تعدية « وهب » إلى مفعوله الأوّل بنفسه كقول الدكتور «وهبوا الطبيعة نظرة» فالصواب عندهم « وهبوا للطبيعة نظرة» وهى لغة القرآن الكريم ، ولكنا أسلفنا فى أثناء مقالنا أنّ القرآن قد ورد فيه التضمين والحذف والايصال ، وقد ورد «وهب» متعدياً بنفسه الى مفعوليه فىشرح ابن أبى الحديد ( ١ : ١٧٦ ) و( ٢ : ٥٤٣ ) والأغانى ( ٥ : ٢٣٨ ) وخزانة الأدب ( ٢ : ٣٧٧ ) والوفيات ( ٢ : ٤) والفخرى (ص ٢٣٩ ) .

— أما قوله فى قصيدة ( الحج الأخير ) :

وهبتُ روحى وأطيافى وألحانى      إلى الجمال ، فهل ما زال ينسانى ؟

فليس تعدى ( وهب ) فيه الى مفعوله الأوّل ( الجمال ) بالى صحيحاً . لأنّ إلى لا تعاقب اللام لثقلها ولِلبسها المعنى ، فالمعروف اللطيف الخفيف وضع اللام موضع « إلى » كما تقول «دعا له دعا اليه وأهدى له والأَصل أهدى اليه ومثل نسب اليه ونسب له وعزا اليهوعزا له» ، وقوله «فهل ما زال ينسانى» فيه وضع «هل» الاستفهامية مكان الهمزة ، وهو غير مألوف لأنّ ( هل ) للاثبات فلا تدخل على منفيّ ، ومن الحروف ما اختصّ بالاثبات مثل « سوف» فلا يقال مثلاً « سوف لا أذهب» وانّما الصواب «لن أذهب» لأنّ سوف لا تستعمل للنفى بل للاثبات كما قدمنا [١]

(١) يقول صاحب الديوان إنه استعمل « وهب » بمعنى « أهدى » فأباح نفسه التعدّى بالى ، وانه استعمل « فهل » بدل الهمزة تجوّزاً لموسيقيتها . انظر ( الضرائر ) للآلوسى .

— وقال فى قصيدة « العودة » :

وقفنا فى جوار اليمّ سكرى كسكر الناظرين إلى الرحيق

فجعل حال العقلاء المتكلمين «صفة مفردة» هى «سكرى» وليس هذا بجائز فى العربية ، وانما الذى استُجيز هو كونُ الصفة المفردة حالاً لجمع المؤنث وجمع غير العاقل ، وإن ردّ علىّ الدكتور بأنّ «نا» فى قوله «وقفنا» مشتركة بين المذكر والمؤنث ، أقُلْ إذن نعتمد على قرينة تبين لنا نوع [١] المتكلّم ، والقرينة فى البيت السابق لهذا فقد قال فيه «أتذكر كيف كان الموج يجرى ؟» ولم يبق للدكتور الا أن يقول إن «سكرى» جمع «سكير» وهو مقيس على مثل « زمين زمنى ومريض مرضى وقتيل قتلى» أما اطراد «فعيل» من « فعِل » فقد سبق الكلام عليه [٢] .

— وقال فى القصيدة نفسها :

وذا طست الغسيلُ يُداسُ حتى يزمجر بالرعود والبريق

فما هذا الغسيل الذى أراد ؟ فانّ الغسيل بمعنى المغسول كالقتيل أى المقتول ، ولعله أراد الغسل ، ولكنّ لفظه لا سماع يؤيده ولا قياس يعضده ، لأنّ « فعيلاً » المصدر مطرد فى الأصوات كالنعيب والصريخ وفى المسير كالرسيم ، وما جاء من غيره على فعيل فهو شاذّ نحو « النكير ، والشميم » .

— وورد فى ص ٣١ من ( الينبوع ) قول أحد أصدقاء الدكتور الكرام :

يراكَ الاكمهون حمًى مباحاً يذكّرهم بأسواقِ الرقيقِ

والقاعدة العربيّة أن يجمع «أفعل ومؤنثة فعلاء» للّون والعيب والحلية على « فُعْل » إلا اذا اسمى به كالأساود أوالسوداوات التى فى القلوب ، ولعلّه محمول على الضرائر كقول الكميت بن زيد الأسدى« أسودين وأحمرينا » .

— وقال فى قصيدة « عيدان » :

---

(١) اعتاد الكتّاب أن دعوا النساء «الجنس اللطيف» ولا تسيغُ العربية هذ التعميم لأن البشر عامة جنس والأنثى منهم نوع فيقال النوع اللطيف والجنس أعم من النوع . (٢) يعتمد الشاعر على أنّ هذا الجمع وارد فى بعض المعاجم للمذكر وللمؤنث على السواء ، وكذلك وردت كلمة الغسيل بمعنى المغسول وهو المقصود .

ما شئتَ مُرْ مِن تضحياتٍ جمّةٍ لجلال مِصرَ يُضحِّ كلُّ جبانِ

فعدّى « مُرْ » الى مفعوله الثانى بنفسه والأصل « بما شئتَ مرْ » ولكنّه من باب الحذف والايصال الذى أشرنا اليه فى ما سبق ؛ ومنه قول أعشى طرود :

أمرتك الخير لكنْ ما ائتمرتَ به وقد تركتك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

وتبعه البوصيرى فى (البردة) فقال :

أمرتك الخيرَ لكنْ ما ائتمرتَ به وما استقمتَ فما قولى لك: استقمِ؟!

وقال فى قصيدة( هرقل وديانيرة) :

إلى النبى قد أزمع العاشقانْ فسارا بروح الشجاع الجبانْ (١)

والمعروف « أزمع عليه » لا « إليه » وإن كان بعضهم يرى أن الصواب « أزمعه »
— وقال فى القصيدة نفسها :

ولكنْ (إفينيسُ) رغمَ الاصابهْ تمكن من أن يؤدّى حسابهْ

والمعروف « على الرغم وعلى رغم وبالرغم وبرغم » ولو سهلنا الأمر وأجزنا سقوط حرف الجرّ صعب توجيه اعراب « رغم » المنصوب ، فانّه لا يكون إلا ( مفعولاً له ) وبذلك يعكس المعنى ؛ فيكون تمكن افينيس من تأدية الحساب لأجل رغم الاصابة ، وهو بعيد عن المراد ، فالحرفان « على » و « الباء » إنما يصاحبان « رغماً » المعنية لا لغيرها (٢) .

وقال فى قصيدة « الجراح المفتعلة » يصف ذكاء مريضاً لأحدهم :

أسفى عليه وكم أرا ه ينوءُ محموماً مُذالا !

وفى المتشدّدين من يقول « كيفَ يسند الحمى إلى الذكاء ؟ » مع أنّ فى ذلك دلالةً بالغةً على عَبَث هذا الذكاء وفقدانه السلامة ، فقول الدكتور لا يتنزل إلى محطّ قول أبى نواس :

ما لرجلِ المالِ أمسَتْ تشتكى منكَ الكلالا ؟

لأنّ الذكاء « معنوىّ » والمال مادّى ، والغالب فى لغة العرَب وأساليب كلامهم

---

(١) استعمل الشاعر « أزمع » بمعنى خفَّ وأسرع . (٢) يعربها الشاعر على أنها حال، وهذا التعبير شائع بين أدباء مصر .

ستعارة « أحوال الماديات واجزائها » للمعنويات ، ومن ذلك قوله تعالى « واخفض لهما جناحَ الذلّ مِنَ الرَّحمةِ » والذل معنوىّ . وقد أحتجّ أنا لأبى نواس بأنه أراد بالمال « الابل » وهذا هو المعنى الاصيل له ، لكنه يبطل معه المدح وينقلب الى ذمّ ، فيكونُ « الممدوحُ » جمّالاً عنيف السوق ، أو راعياً عديم الرفق ، وقول الدكتور أيضاً لا يُقاس معه بقياسِ قول أبى تمّام :

وتقاسم الناسُ السخاءَ مجزَّءاً  وذهبتَ أنت برأسه وسنامهِ

وتركتَ للناس الاهابَ وما بقى  من فرثه وعروقه وعظامهِ

فان الاستقصاء فى الاستعارة يخرج الكلام عن اللطف والعذوبة ، والتفصيل فيها يظهر التثقيل ، وقد يجوز استعارةُ معنى مختصٍّ بمادى لاستعماله فى مادى اخر كقوله تعالى « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ » فالذى حَسَّنَ هذا كون الارادة معنوية .

وقال فى قصيدة «حياة الضجر» ( ص ٤٢ ) يصف الشعب :

ولم يُغنَ إلا بشتّى الهموم  وشتّى السقام وشتّى العِبَرْ

وربّ معترضٍ يقول :

إنّ الهموم الشتى والسقام والعبر لا تورث الغِنى فكيف يصح قول الدكتور ؟ قلنا : هذا هو تعكيسٌ فى التعبير يزيده تأثيراً كقوله تعالى « فبشّرهم بعذابٍ أليمٍ » والتبشيرُ فى حقيقته للأمر المحبوب .

وقال فيها :

ومن عجبٍ ينتمى قدرُه  إلى كلّ مجدٍ جليلِ الخطرْ

والأصل «ومِنْ عجب أن ينتمى قدرُه» فحذفتْ « أن » وقد عُلِم قوله تعالى « ومِن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا » أى أن يريكم .

وقال فيها :

أليس لكم عِبرةٌ فى الشقاقِ  فما الظفرُ إلا لمن يَعتبرْ ؟

بتسكين عين «الظفر» وهى مفتوحة ، على حَسَب القياس فى مصدر فعِل يفعَل ، والمشهور من مصدر هذا الفعل لازمه ومتعديه أربعة أوزان « فعَل » كطرب

طرَباً وصدِيَ صدًى و « فعالة » كسلم سلامة و «فعْل» كفهم فهماً و « فِعل » كعلم عِلماً . وتسكين العين من « الظفر » في قول الدكتور جائز من وجهين — لا ضرورة شعر — أولهما حمله على مثله نحو ملِئَ مَلأً ، وهذا وجه ضعيف ، وثانيهما عَدّه مصدراً لظفِره المتعدّي ، كقول الشاعر « كأني اذ أسعى لأظفر طائراً » ( أي بطائر) وحينئذٍ يتعين تسكين العين منه قياساً . ألا ترى أنهم جعلوا الشغَب والعبَث والسأم والملل والأمن مصادر لأفعالها اللازمة فلما عدّوها سكّنوا العين فقالوا «الشغْب والعبث والسأم والامن والملة» مع أن وزن الأفعال واحد ، وقد ذكرنا هذا لئلا يحتجّ علينا خصيم بأنّ مثل أشِبَ يأشب أشباً لازم فلمّا عدّى نقل الى باب «ضرب ونصر» فالأمثال التي ذكرنا لا تجعل تبديل وزن الفعل لازماً ، ومن الحق أن نشكر للدكتور الكريم ذكره هذا المصدر المظلوم بجهل الناس السبيل اليه ، وسيدخل معاجم العربية إذا شاءَ الله .

وقال فيها :

فهمّوا الى وحدةٍ لا تُضام     وهمّوا إلى عزّةٍ تُنتظرْ

فضمَّن « همّوا » معنى اعمدوا واقصدوا واسعوا وانحوا واسرعوا وما أشبهها ، وليس في الكلام التباسٌ يمنع من التضمين ، والذي ذكرته كتب اللغة « همَّ بالشيء » وقد أغفلت « همَّ عليه » بمعنى « عَزَم » وهذا وارد في كلام العرب ( تراجع « خزانة الأدب » ١ : ٣٨٥ طبعة دار العصور) فان كان «همَّ عليه» قد ورد فلماذا نستبعد « همَّ اليه » وأمرهما واحد في الاجازة ؟

وقال في قصيدة « ثمن الحرية » ص ٤٣ :

أيُّها الأحزابُ أنتم داؤنا     قد تفرقتم حيارى في الزَّمنْ

ولربّ معترض يقول « ما شأن الزَمن ها هنا ؟ » فنقولُ له : إنّ « أل » في الزمن ليست لاستيعاب الجنس فلعلها للعهد ، كقوله تعالى « فعصى فرعون الرسولَ » بعد قوله « إنّا أرسلنا إلى فرعون رسولاً » والشاعر ملتجأ الى الاختصار في التعبير ، والاستغناء بالمرّة عن التكرير ، وأقوى من ذلك أن تكون « أل » عوضاً من الأضافة ، فالأصل « قد تفرقتم حيارى في زمننا » فحذف المضاف اليه وعوّض منه بأل ، كما قالوا « الكل والبعض » بدلاً من « كلها وبعضها » وكما قالوا « الدهر والعمر » عوضاً من « دهرنا وعمري » وكما قالوا « الكمال والجد والشهاب

والشمس » بدلاً من « كمال الدين ومجده وشهابه وشمسه »

وقال فى قصيدة « سجن الشرف » ص ٤٤ :

إنى أشمُّ وفاءَ النـاس مُدَّخراً ... لهم من الحب أضعافَ الذى عرفوا

فاستعمل الشمَّ لما لا يُشمّ وهو من المجاز المقبول ، فقد قالوا قديماً « تعطَّروا بالاستغفار لا تفضحكم رائحةُ الذنوب » وهذا البابُ واسع فى العربية أشهر من أن يحتجَّ له ، والمعاجم مملوءة منه .

وقال فى ص ٤٦ من «أنشودة الأناشيد» :

لا ترجعى الأحداثَ عن ثورانها ... لن ترجع الاحداثُ عن ثورانها

بضم التـاء مِـنْ « تُرجـعى » وقلنا إن الفصيح « تَرْجعى » بفتحها مِـنْ « رَجَعْتـهـا » الثلاثى وهى لغة القرآن الـكريم « ربّ ارجعـونى » « وانه على رجعه لقادر » وتـكرّر ذلك فى ص ٦٣ بقوله « لا ترجعونى للحياة بيقظة » .

وقال فى القصيدة نفسها — ص ٤٧ — :

فيصيبُ حظّ الشطّ غِرٌّ ماكرٌ ... ويَغيبُ فى اليمّ الفتى المتفانى

والمتفانى يَدُلُّ على أنّ بعض الفتى يُفنى بعضاً ، مثل « المضطرب » كأن بعضه يضرب بعضاً ، وأنا أفهم من قول الشاعر أنّ اشتغال ذهن الفـتى يضعف جسمه وأعمال يديه تُقلل قوّتَهُ ، فهو متفانٍ فى الحقيقـة والمجاز ولـكنّ قوله فى ص ٨٧ « حين حكامه تفانوا (١)» غيرُ جيِّـد .

وقال فيها :

نهـَبُ الحياة أعزَّ ما خلدتْ به ... ونُغَصُّ نحن بكلّ ما هو فان

فعدّى « نَهَب » الى مفعوليه بنفسه وهو فصيح مألوف مستفيض فى كلام العـرب ولا سيَّما الشعراء، كما قلنا وورد فى النثر فى الأغانى « ٥ : ٢٣٨» طبعة دار الـكتب ، وشرح ابن أبى الحديد « مج ٢ : ٥٤٣ » و « مج ١ : ١٧٦ » وخزانة

---

(١) يستعمل الأدباء المصريون كلمة « تفانى » بمعنى « تغالى الى النهاية » وهذا استعمال جديد للـكلمة وإن يكن شائعاً بينهم .

الأدب » ٢ : ٣٧٧ » طبعة دار العصور ، والوفيات » ١ : ٢٣٩ » طبعة إيران ، وقائلوه من الفصحاء وإن كانت الكتب المنقول هو فيها متأخرة العهد ما عدا الأغاني.

وقال فيها :

ولئن تخيّل للفنون حياتَها  في عزلة فبروحها رُوحان

والفصيح « لبروحها روحان[1] » لأنه جواب قسم اجتمع مع شرط ولم يسبقهما ما يحتاج الى خبر ، وقد يجوز للشاعر وضع حرف مكان حرف حينما لا يضطره الوزن أو القافية ، ولا اضطرار ها هنا لاستواء اللام والفاء في القدر اللفظى : وتكرر ذلك في ص ٦٢

وليلاحظ قول ابن عباد في ص ٨٨ من ( الينبوع) : « لئن كانت . . . لقد »

وقال فيها :

(مارلين) ا غيرُ العدل فى الدنيا لنا  عقبى فليس العدلُ للانسان

برفع « غير » والصوابُ نصبُها لأنها أضيفت الى المستثنى المتقدّم ، فحلّت محل « آل احمد ومذهب الأولى » فى قول الكميت بن زيد الأسدى :

وما لى إلا آلَ احمد شيعة  وما لى إلا مذهبَ الحق مذهبُ[2]

وتكرر الخطأ فى ص ٩٥ بقوله « لم يبق غير العرش ملجأ همنا »

وقال فيها :

مهما أضاءت لن يكون مصيرُها  غير الظلام لأنفس وَمَغانِ

وظاهر قوله انه لم يربط جواب الشرط ـ وفى أوله لن ـ بالفاء ، وهذا وإن كان أكثر من أن يحصى فى الشعر فان الأصل فيه « لن يكون مصيرُها ـ مهما أضاءت ـ غير الظلام » فجواب الشرط محذوف يفسّره ما قبل الشرط (وأخّرها هنا للوزن) .

---

( ١ ) يرى صاحب الديوان انّ الفاء داخلة فى جواب الشرط المحتاج الى خبر وأن القسم هنا لا يحتاج الى جواب بل هو صياغة التأكيد فقط .

( ٢ ) رفع صاحب الديوان كلمة «غير» على اعتبار أنها مبتدأ مضاف وليس مستثنى ، وأما «مارلين» فنادى مستقل .

وقال فى قصيدة « بعد الكفاح » ص ٤٨ :

حتى النبات يرى الضحيةَ واجباً ومشى فليس يضنّ بالأرواحِ

وربّ معترض يقول« يجب على الشاعر أن يقول : يرى الضحية واجبةً » ليتطابق اللفظان فى التأنيث ، وحقيقة الأمر أن الدكتور الشاعر اتخذ « الواجب » اسماً لا صفةً فقد تعارف المعاصرون أن الواجب اسم لما يفرض على الانسان عمله ، فصار اسماً بالعُرف وهو من أساليب العرب فى التسمية. ألا ترى « العائدة والفائدة والهدية والفريضة » كانت صفاتٍ فأصبحت أسماء ، ولا يجب فى الاسماء المطابقة فيقال « هذا المال عائدة وفائدة وذاك هدية والصوم فريضة » ؟ وهذه الاسماء وإن كانت مشتقة فان فيها مايدل على اسميتها . ألا ترى انهم جمعوا « السوداء » لما فى القلب و « الاسود » للثعبان و « العجماء » للحيوان على « السوداوات والاساود والعجماوات » ولم يجمعوها على وزن الصفات ؟ ولا نحب أن نطيل الكلام على الفرق ، فانّ النبيه يكتفى بما ذكرنا .

— وقال فى ص ٥٠ من قصيدة « فلسطين الثائرة » :

تهاووا أمام الموتِ نشوى بفرحةٍ كأن لهم بالموتِ فرحةُ موسمِ

وقوله « نشوى » لأصحاب الضمير فى « تهاووا » مشكل اذا جمدنا على المسموع من المشتقات فى العربية . والمألوف أن يقال « نشاوى » جمع نشوان ، ولكنه جمع « نشىّ » والصفة من « فعِل يفعَل » اللازم مطّردة على « فعيل » — كما قدمنا — والجمع « نشوى » كزمين وزمنى وكقتيل وقتلى ومريض ومرضى ( يراجع كلامنا على سكرى جمع سكير ) .

وقال فيها :

جُسومٌ وأرواحٌ تضحّى رخيصةً ولكنها كالشُّهب بالنور ترتمى

وفى اللغة « ضَحّى به » لا « ضحّاه » ولكنّ « تُضحّى » فى قول الدكتور — وان جازَ إخراجه على وَجْهِ الفصاحة — إنما هو من « ضحّى الشيءَ » أى اتخذه ضحيّة كما يقالِ « قرّبه : بمعنى جعله قرباناً » وعبّده تعبيداً أى اتخذه عبداً ، وهذا مقيس فى ما لا يؤول الى قلب معنى الفعل الأوّل ، فلا يُقال « ألّهه تألّهاً » بمعنى اتخذه إلاهاً لأنّ « ألّهه تألّهاً بمعنى عبده تعبيداً » ويقال مثل هذا فى قوله من قصيدة « سيف دامقليس » وَمَنْ ضَحّى أخاه لِكى يُعَلّى .

وقال فى قصيدة « ملاك العصاة » كما فى ص ٦٩ :

واذا به بطلُ المعارك كلّها متغلباً أو عاجزاً وطريدا

برفع «بطل» وظاهر اللفظ يقتضى نصبَهُ ، والصحيح انّه من التجريد الذى أشرنا اليه فى ما مضى من كلامنا ، وذكرنا منه قول الشاعر :

أخو رغائب يعطيها ويسألها يخشى الظلامة «منه النوفل الزفرُ»

وقال فى قصيدة «مصور البحر» كما فى ص ٦٩ :

ماذا نقِمت من الوجود الفانى يا مُعجزاً للفَنّ والفنّان

بكسر القاف ، والفصيح «نقمت» بفتحها ــ كما نبّه عليه الكسائىّ فى ما تلحنُ فيه العامة ــ واستشهد كلام القرآن الكريم فلغته فتح القاف (١).

وقال فيها أيضاً :

لم أحظَ إلاّ بالقليل لظلّه فاذا به والبحر يلتقيان

وسمعتُ أنّ بعضَ المعنيّين بعلم اللغة ينكر على الكتاب والشعراء أن يقولوا « اذا به » ويقصر الصواب على « اذا هو » ومن التحقيق أنّ «اذا به» من مختصرات كلام العرَب ، وسبق أن ذكرنا فى احدى مقالاتنا أن من مختصراتهم قولهم «من لى به ؟» بمعنى «من مظفر لى به ومَن آتٍ لى به ؟» وقولهم « كيف لى به » بمعنى « كيف يؤتَى لى به ؟» وقولهم « ما زال به حتى فعَل » أى ما زال متصلاً به ومتعلقاً ، فأصل قول الدكتور « فاذا أنا به والبحر يلتقيان » وأصل هذا « فاذا أنا شاعر به » على نحو قولهم « كأنى بكم تأكلون الربا » بمعنى « كأنى شاعر بكم وظافر ... » قال أحد رجال صدر الاسلام « فالتفتّ فاذا رجل من بنى لهب ، فلما وقفنا لرمى الجمار إذا حصاة قد صكّت صلعة عمر فأدمته فالتفتّ ( فاذا بذلك اللهبى ) بعينه (٢) » وقال رجل من اصحاب ابن زياد « خرجنا فى جيشٍ نريد خراسان فررنا بآسك فاذا نحنُ بهم ستة

(١) ذكر صاحب الديوان انّ كلا الفعلين مدوّن فى المعاجم وشائع على أقلام الكتاب وأن معظم أدباء مصر يستعمل الصيغة الثانية ( بكسر القاف ) ويؤثرها.

(٢) الكامل المبردىّ « ١ : ٩٩ ، ٩٥ ، ١٢٩ ، ٢٠٣ »

وثلاثين رجلاً (١)» ففى المثل الأول حذف الضمير بعد « اذا » وفى الشاهد الثانى أثبت ، وقال رجل من ثقيف فى قتل الامام على بن أبى طالب « ثم أصبحت والناسُ يقولون : قتل أميرُ المؤمنين الليلة ، فأتيتُ الحسن واذا به فى دار علىّ عليه السلام (٢) » فحذف ضميره كما ترى ، ومن كلام الأصمعى « فاذا به فى شملة (١) » وورد فى الكامل أيضاً ما صورته « أشرف عمر بن هبيرة الفزارى من قصره يوماً فاذا هو بأعرابىّ يرقّص جمله الآل (١) » وجاء فيه « فالتفتّ فاذا به معرّضاً على حمار (١) » فهذان شاهدان للحذف والاثبات ، وورد فى الأغانى قول أحد الفصحاء « فاذا أنا به خارجاً (٣) » وليس بعد حُجّة العقل المؤيدة بالنقل إلاّ الجهل واللجاجة ، ولم نجد أحداً من النحاة قد نبّه على هذا التعبير العربىّ على استفاضته وفصاحته وقدمه ، فالجملة التى تلى « اذا به » وشبه الجملة والمفرد من المنصوبات بالحاليّة .

وقال فى قصيدة « موسى فى اليم » كما فى ص ٧٣ :

وكذاك الأتباع حاكُوا التمـاثيـ ... ـل خشوعاً وروعة مستوره

والصواب « حاكَوا تماثيل » بفتح الكاف لأنّه معتل الآخر بالألف المبدلة من الياء ، فلما اتصل بواو الجماعة حذفت الألف وبقيت الفتحة على الكاف دليلا عليها ، والصواب الذى ذكرناه وزنىّ لأن الدكتور الشاعر كان قادراً أن يقول « حاكَوا التماثيل » بفتح الكاف وكسر الواو ، فينكسر البيت ، وهذا ما لم يقصد هو اليه (٤) وتكرر فى ص ٩٧

وقال فى ص ٧٤ من قصيدة « الشرر » :

يرفّ علىّ بأمواجـهِ ... رفيفَ النسائم فوق الزّهرْ

ولم تذكر معاجم اللغة « النسائم » ولذلك خطأ جماعة من لغـويّى العصر مَن قالها ، وحقيقتها أنها جمع « نَسُوم » كسَموم وسمائم ، مِن « نسمت الريح تنسم نسيماً ونسماناً » أى صارت نسيماً ونسوماً ، وهو القياس فى مبالغة اسم الفاعل والمألوف فى أوصاف الرياح كالجنوب والدبور والقبول والشمول والهبوب والسَّموم

---

(١) راجع حاشية ص ١٨٥ الثانية (٢) الكامل أيضاً « ٣ : ١٤٩ ، ١٤٤ »
(٣) الأغانى « ٥ : ٢٢٣ » طبعة دار الكتب المصرية (٤) يجيز صاحب الديوان مثل هذه الاباحة لموسيقيتها . انظر كتاب « نظرات نقدية فى شعر أبى شادى » للجدّاوى .

والمتصوف ، ومن أنكر القياس لم يلتفت اليه الناس وحطم الزمان أفكاره وإنكاره ، وقد يحتج ذو حجة بأن « النسمة » يجوز جمعها على النسائم ، ولكنّ الذى رأيته فى أحد كتب الصّرف أن ذلك مألوف فى المضعّف كحرّة وحرائر وكنّة وكنائن وُمرة ومرائر وفى المعتل العين كمادة وعوائد وحاجة وحوائج ، ويؤيد هذا النقل العقل ، فليست النسمة من المضعّف ولا من المعتل العين .

وقال فى ص ٧٧ من قصيدة « فى السماء » :

كم دعاءٍ وبكاءٍ ورجاء بعضهم بالبعض فى الجو اصطدمْ

والصواب « بعضها والبعض فى الجوّ اصطدم » فانّه يقال « اصطدم هذا وذاك » لا اصطدم به ، فالفعل يدل على اشتراك ويجب العطف ها هنا ، ففى مختار الصحاح « وصادمه وتصادما واصطدما » وقد يصح « اصطدم به » قياساً لو كان يدلّ على اتصال واختلاط ، فمن القواعد العربية التى استدركناها على علماء العربية « وضع الباء فى المسند اليه الثانى بدلاً من عطفه أو من مشاركته بالاضمار إذا دل الفعل على اتصالٍ واختلاط » فيقال « اختلطا واختلط به واجتمعا واجتمع به والتقيا والتقى به وامتزجا وامتزج به واتّصلا واتّصل به واتّحدا واتّحد به » وغيرها ؛ كما أنه يجوز وضع « مع » مكان علامة الاشتراك فيقال « اختلط معه واجتمع معه والتقى معه وامتزج معه واتصل معه واتحد معه » وعلى هذا ورد فى كلام المولدين « اصطدم معه » كما فى وفيات الأعيان ولم يرد « اصطدم به » لأنه ليس مما يساير القاعدة التى عثرنا عليها .

— وقال فيها :

مجمع الاضداد كم معنًى به مضحكٌ والحزن المشجى أخوه

والمشجى من «أشجى» وهو مثل «شجا» وقديماً قالوا « الثلاثىّ أفصح من الرباعى اذا استويا فى معنًى » والتحقيق فى هذا الأمر أن الثلاثىّ أخف وكفى بذلك مُرجحاً ، وكلامنا على « شجاه » كالكلام على « رجمه » وقد سلف ، فالفصيح « مضحك والحزن الشاجى أخوه »[1]

---

(١) يقول صاحب الديوان إن صيغة الثلاثى على فصاحتها قديماً هى أبعد ما تكون عن الفصاحة والذيوع فى الأدب المصرى بهذا العصر ، وانما ينزع الذوق الموسيقى الآن الى الصيغة الرباعية .

وقال فى قصيدة « العناكب » كما فى ص ٧٨ :

حاكَتْ مصائدَها وما غفَلَتْ بها     لكنّها عرفت ضلالة صيدها

وجمع المصيدة «مصايد» بالياء لا بالهمزة لأن الياء أصلية لا زائدة فتنقلب همزة كصحيفة وصحائف(١). قال نصر الله بن الأثير الجزرى فى أول كتابه « المثل السائر » ما نصه « ألم تعلم أن نافع بن أبى نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً قال فى معايش (معائش) بالهمز ولم يعلم الأصل فى ذلك فأُوخذ عليه وعيب من أجله ومن جملة من عابه أبو عثمان المازنى فقال فى كتابه فى التصريف : إن نافعاً لم يدر ما العربية وكثيراً ما يقع أولو العلم فى مثل هذه المواضع ... وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها باجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست مبدلة من همزة وإنما الياء تبدل من همزة فى هذا الموضع تكون بعد الف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا تكون عيناً نحو سفينة وسفائن . وفى هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لأنه لاشك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو هذا على فعائل ولم ينظر الى أن الأصل فى معيشة مَعْيِشة على وزن مَفعِلة ، وذلك لان أصل هذه الكلمة من عاش التى أصلها عَيَشَ على وزن «فَعَلَ» ويلزم مضارع فعل المعتل العين «يَفعِل» لتصح الياء نحو « يَعْيِش» ثم تنقل حركة العين (أى عين الفعل وهى الياء) إلى الفاء فتصير يعيش ...» من الصفحة « ٦—٨» طبعة المطبعة البهية بمصر .

( كلمة على قلب الحرف الأصلى همزة )

قال مصطفى جواد — كاتب هذه المقالة — : إنما كان يجوز لأبى عثمان المازنى أن ينكر على نافع بن أبى نعيم ذلك الانكار لو لم تكن العرب قد همزت « الحرف الاصيل» جوازاً للتخفيف أو وجوباً للقياس، فقد قالت فى المصاوب والمناور «مصائب ومنائر » وقالت « قائل وبائع » وأصلاهما « قاول وبايع» و« سماء ورداء » وأصلاهما « سماو ورداى » وكثيراً ما لجأوا الى الهمز للتخفيف فقالوا « وكّد وأكّد ووازر وواسى وآسى ووجوه وأجوه وأسوق وأسواق وأيايل وأيائل وعيايل وعيائل ولبّى وكبّأ » وفى مختار الصحاح «ولبّأ بالحج تلبئة وأصله غير مهموز، قال الفراء: ربما خرجت بهم فصاحتهم الى همز ما ليس بمهموز ، قالوا : لبّأ بالحج وحلأ السويق ورثأ الميت »

---

(١) من العجيب أن العامة فى مصر تستعمل كلمة ( مصايد ) بالياء ، وأما الخاصة فيستثقلونها ويؤثرون التخفيف بالهمزة فيقولون ( مصائد) .

وقال «حلأ السويق تحلئة، قال الفراء : قد همزوا ما ليس بمهموز لأنه من الحلواء»
وقال في ح ل ا «وربما قالوا حلأت السويق فهمزوا ما ليس بمهموز كما مرّ في
ح ل أ» وقال في رثى «وربما قالوا : رثأت الميتَ بالهمزة على خلاف الأصل على
ما سيأتي ذكره في ل ب أ» وقالوا «فؤول وصؤول ونؤوم» فالهمز — كما قدمنا —
كان سبيلاً لهم الى التخلص من أحرف العِلة الثقيلة ، وإن كان منهم من يفعل العكس
فقد قالوا «البرية للبريئة والذرّية للذريئة ، وفي رج أ من المختار «ويقال أيضاً
المرجية بالتشديد لأن بعض العرَب يقول : أرجيت وأخطيت وتوضيت فلا يهمز»
وقال في وَضُ أ «وتوضّأت ولا تقل توضيتُ وبعضهم يقوله» وقال في و م أ
«وأومأت اليه أشرت ولا تقل أوميت» ومهما يكن ذوق بعضهم فانّ الهمز هو
الغالب ، فقد قرىء «كوكب درّىء» بدلا من «درّى» نسبةً إلى الدرّ ، وقال
في درأ من المختار «وأمّا المداراة في حُسن الخلق فتهمز أو تُليّنُ ، يقال : دارأه
وداراه أي لاينه واتّقاه» وقال في درى «وأدراه : أعلمه وقرىء : ولا أدرأكم به
والوجه فيه تَركُ الهمز ومُداراة الناس يهمز ويليّن»

وإذ كان السبب الأقوى للهمز طلب الخفة كما في المصائب والمنائر، لم نستسغ قول الدكتور (مصائد) لأنه ليس من الواوى بل من اليائىّ فهو خفيف ، وللقائل الكريم أن يوافقنا على ما رأينا وأن يخالفنا متعلقاً باستفاضة الهمز الجائز في كلام العرَب كالذى ذكرنا آنفاً.

وقال في قصيدة «الثمن المدفوع» كما في ص ٧٩ :

دفعتُ جميعه ثمناً لبعدى  عن الغدر الذى طعن الرفيقا

وربّ ظانّ يظنّ أن الشاعر أخطأ لأنّ المألوفَ عندهم «دفعتُهُ جميعه» باستعمال «جميع» توكيداً مع أن «جميعاً» بمعنى مجموع، فيستعمل في غير التوكيد كبقية الأسماء ومن ذلك قوله تعالى «جميعاً أو أشتاتاً» وقوله «أم يقولون نحنُ جميع مُنْتَصر» وهذا مما لا يحتاج الى زيادة توكيد .

وقال في قصيدة «طفلتى الشاعرة» ص ٧٩ أيضاً :

وهى تُعنى بالزهر والعطر فيه  أينَ قد خبّأته أيدى ذويه؟

وربما يُشكلُ قولُهُ «أين خبّأته؟» لوُجودِ «قد» بعد «أين» وهى للاستفهام ولكن ليس في العربية ما يمنعُ السؤالَ عن الشيء محققاً ولا فيها ما يمنعُهُ عن

الشيء مؤكداً كما في قوله تعالى « انك لأنتَ يوسُف » ولا فيها ما يمنع الشرط المحقق كما في قولهم « ولو قد كان كذا لحصل كذا » فكما تحقق الجمل الخبرية تحقق الانشائية وكما تؤكد تلك تؤكد هذه ، والمتحقق عنه تجوز المبالغة في تحريه والمسئول عن أمره يجوز التوكيد في السؤال عنه ، والمشترط تجوز المبالغة في شرطه .

وجاء في ص ٨٣ من قصيدة عباد الشمس « فاذا بها نهبٌ لدى الغلس » (١) والصواب « نهباً » على الحالية ، وقد بسطنا الكلام على هذه القاعدة في نقد بيت سابق ، ولا حاجة بصدرنا الى التكرار .

وقال في تحية لطفية النادي — كما في ص٨٦ — :

لبثوا قروناً في مقابرهم يترقبونَ نهوضَ أحفادِ

والأحفاد جمع حفيد ، ولكن لم تنقله معاجم العربية التي ألفها العرَب ، على كثرة ورودها في كلام أسلافهم ، وجمع «فعيل» بمعنى فاعل على «أفعال» جائز في كلام العرَب ، وذلك من القواعد التي استدركناها على علماء الصّرف مثل «بديل أبدال وخصيم أخصام وشريك أشراك وشريف أشراف ويتيم أيتام وشرير أشرار ونصير أنصار ونسيب أنساب» وقد غلط «كولد زيهر» في دائرة المعارف الاسلامية إذ قال « أبدال جمع بدل ، احدى طبقات الأولياء في النظام الصوفيّ .. ومع ذلك فانّ صيغة بديل وهي مفرد بُدلاء طبقاً لقواعد النحو أكثر شيوعاً للدلالة على الواحد منهم (٢) » لأن الابدال جمع بديل سماعاً وقياساً ، ففي مختار الصحاح « والابدال قوم من الصالحين لاتخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر قال ابن دريد : الواحدُ بديل » فكيف يصح للمستشرق أن يجعل المفردَ من وزن والجمع من وزن مفرد آخر ؟ فيزعمَ أن البديل هو الشائع ولكن الجمع هو الابدال ( جمع البدل) فالصحيح ما ذكرنا وأيدنا بالأمثال ، ولا يفهم من كلامنا هذا اننا منكرون جمع «البدل» على الأبدال ، بل منكرون الاختلاف بين المفرد والجمع في الاستعمال ، وكان ذلك من جهل القاعدة الصرفية .

---

(١) يعتبر صاحب الديوان الباء في «بها» من أحرف الزيادة ويجيز رفع «نهب» على المفاجأة خبر لمبتدأ ، والتقدير : فاذا هي نهبٌ لدى الغلس . انظر «بحث المطالب» ص ٣٢٧ (٢) « ج ١ ص ٢٣ من الترجمة العربية .

وقال فى قصيدة « الوفاء الذبيح » كما فى ص ٨٦ :

وكلُّ ذنب يهونُ لكنْ لا ذنبُ من يذبحُ الوفاءَ

فاستعمل الذبح للوفاء وسماه ذبيحاً ، وظنّ بعضهم أن مثل هذا غريب عن العربيّة — كما فى غصن لبنان — فقد انتقد مؤلفه قولهم « ضحّى بحبّه » وأمثاله ، وقال إنه من التعابير الفرنجية ، وليس بصحيح — وإن جاز لنا أن نحتذىَ التعابير الفرنجية واللطيفة — فلقد قدمنا قول أبى تمام الطائى :

وتقاسم الناس السخاءَ مجزَّأً وذهبتَ أنت برأسهِ وسنامِهِ

فان كان الذبح يستعار للسخاء فلماذا لا يستعار للوفاء ؟ وقال أبو العباس المبرد « وكان يُقال ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلا وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلا يوم الحسين بن علىّ بن أبى طالب ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلّب وأصحابه (١) » فالعَرَبُ أقدم من استعار الذبح والتضحية للمعنويات فقوام حياتهم الذبح حرباً وعيشة .

وقال فى قصيدة « مدام رولان » كما فى ص ١٠٥ :

ألا فى سبيل العدل تلك المظالمُ فقد عزّ مظلومٌ كما هان ظالمُ

وربما يسائل أحد عن عروبة موضع الكاف فى « كما هان » منكراً أنْ يشبَّه العزّ بالهوان ، فمن الحقّ أن الكاف ها هنا للمقابلة فى الكمية لا للتشبيه فى الجنسية ، وانا لنحسب من ذلك قوله تعالى « واذكروا الله كما هدا كم » فالكاف فى الآية « للمقابلة » وليس المرادُ تشبيه الذكر بالهداية ولا التعليل — كما قال جماعة من السلف الكرام — فكأنَّه عزَّ وجلّ أراد أن يذكره المؤمنون بقدر هدايته لهم ، وهو أقلّ الذكر ، ومن زاد فله زيادة الثواب ، وهذا شئ لم يسبقنا أحد اليه ، والفضلُ فيه للدكتور الشاعر فان فصاحته تذكّرُنا براعة العرَب المبينين فى تشقيق الكلام والتصرف بالعربية تصرُّفاً سليماً قاصداً .

وقال فى القصيدة نفسها والصفحة بعينها :

حياة هى الفن الجميل لقومها ففى كلّ مسمًى للجمال تمائمُ

---

(١) الكامل المبردى « ٣ : ٢٤٨ » والوفيات « ٢ : ٤٢٩ » من طبعة ايران .

وفى معاجم العَرَب اللغويّة « ساهمه بمعنى قارعه » وفى بيت الدكتور بمعنى « تشارك » فكيف يتوجه قولُه ؟ قلنا : إنّ « ساهم » وان لم يذكر فى تلك المعاجم بمعنى شارك فانه قد ورد بهذا المعنى فى كلام الأمة الا ترى الى قول الشاعر اللاثم :

ساهمتَ عيشكَ مُرَّهُ عيشكَ قاعداً    أفلا فليت بهنّ ناصيةَ الفلا ؟

وقد بلغ هذا المعنى حدود الاستفاضة ، أجل ورد فى مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الاصبهانى صاحب الأغانى ( ص ٢٢ ) وفى الأغانى ( ج ٢ ص ٢٨٦ ، ٣٠٠ » وشرح بن أبى الحديد « مج ١ ص ٣٤٣٤ » ووفيات الأعيان « ١ : ٥٢ » و « ٢ : ٣١٨ »

وقال فيها :

ويدفعُها الوحيُ الذى ما درت به    جموعٌ ولم تُفصِح لُغاه التراجمُ

فاستعمل « تُفصحُ » متعدياً ولم أجده واقعاً (١) فى ما عندى من كُتب اللغة ، إلا أنّ قائله ما قال إلا فصيحاً ولا قاس إلاّ مليحاً ، فقد أدخلَ الهمزة على « فصح » الثّلاثىّ فصار متعدياً بحكم القياس ، مثل « بان وأبانه » مع وجود « أفصح » و « أبانَ » اللازمين ، ولقد نص علماء العربية على هذا القياس ، قال الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى مختصر الصحاح فى مقدمة المختار « وكذا أيضاً لم نذكر الفعل المتعدّى بالهمزة أو بالتضعيف بعد ذكر لازمه لأن لازمه متى عُرف فقد عُرف تعدّيه بالهمزة والتضعيف من قاعدة العربية ، كيف وأن تلك القاعدة مذكورة أيضاً فى حرف الباء الجارة من باب الألف اللينة فى هذا المختصر ، فان اتفق ذكر الفعل لازماً أو متعدياً بواسطة فذلك لفائدة زائدة تختصّ بذلك الموضع غالبا » أمّا ما أشار اليه من أقوال الجوهرى فنصه « وكل فعل لا يتعدى فلك أن تعدّيه بالباء والهمزة والتشديد تقول : طار به وأطاره وطيّره » .

وقال فيها :

حييتِ على الأرض الخؤونة مرةً    ونُبلُك للذكر الخلد عاصمُ

والخؤونة « فعولة » بمعنى « فاعلة » مع المبالغة ، والوجه فيها أن تساوى المذكّر

---

( ١ ) قال الجوهرى : « وأهل الكوفة يسمون الفعل المتعدى واقعاً » .

فى الصيغة يُقال « رجل حؤون وامرأة حؤون » و « شاب صبور وابنة صبورة » و « امرؤ عجوز وامرأة عجوز » و « هو عروس وهى عروس » و « ذاك نؤوم وهذه نؤوم » وإذا كانت « فعولة » بمعنى مفعولة فلا جدالَ فى بقاء الهاء مثل « الحلوبة والركوبة والحمولة بمعنى المحمولة » ونقل لابن السكيت — كما فى عدا من المختار بعد قول الجوهرى « يقال عدوٌّ بيِّن العداوة والمعاداة والأنثى عدوّة » مانصّه « فَعول اذا كان بمعنى فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو رجل صبور وامرأة صبور إلا حرفاً واحداً جاء نادراً قالوا : هذه عدوّة الله . وقال الفرّاء : وانما ادخلوا فيها الهاء تشبيهاً بصديقة لأن الشيء قد يبنى على ضدّه « قال مصطفى جواد » كاتب هذا » : ولكنّ العرَب كانت أحيانا كثيرة تحقق التأنيث فتثبت التاء ( الهاء ) فى فَعولة ، ومن ذلك « الهبوبة وهى الريح تثير الغبرة » و « الحمولة » وهى الابل التى تحمل وكذا كل ما احتمل عليه الحىّ من حمار وغيره سواء أكانت عليه الاحمال أم لم تكن ، و « العجوزة » ومن الغريب فى الحكم قول الجوهرى فى ع ج ز « والعجوز المرأة الكبيرة ولا تقل عجوزة والعامة تقوله » ثم قوله فى ك ك ب « يُقال كوكب وكوكبة كما قالوا بياض وبياضة وعجوز وعجوزة » ومثلها اللبونة والجسورة والنسولة الخ .

ولم تقتصر العرَب فى تحقيق التأنيث على « فعولة » بمعنى « فاعلة » بل جاوزتها الى « مفعالة ومفعيلة » قال فى المختار « والمرأة مسكينة ومسكين أيضا وانما قيل بالهاء — ومفعيل ومفعال يستوى فيهما الذكر والانثى — تشبيهاً بالفقيرة » وورد الميقانة والمفضالة والمجفالة والمضيافة.

فالشاعر قد حقق التأنيث فى « الحؤونة » وجرى على أساليب العرَب ، وفعل مثل ذلك الشريف الرضىّ فى أشعاره .

وقال فى قصيدة « الهازلين » كما فى ص ١٠٧ :

هيهات يُفلح قوم كلّ مأربهم هدمُ الرجال وتشييد الأمانىّ

و « هدمُ الرجال » من الأساليب المستحدثة ولم أره لشاعر قبل شاعرنا أبى شادى ، وكان القدماء إذا رأوا مثل هذا قالوا : إنه على تقدير مضاف محذوف والأصل « هدم شؤون الرجال » والتكلّف فيه ظاهر ، ومنهم من يسنده الى البراعة فى التصرّف ، قال ابن حجة فى بديعيته :

قد فاض دمعى وفاظ القلب إذ سمعا لفظىَّ عذلٍ ملا الاسماعَ بالألمِ

فقال السيد أبو بكر بن عبد الرحمن الحضرمىّ فى كتاب ( اقامة الحجة على التقى ابن حجة ) — كما فى ص ٨ منه — « أما اسناد السمع الى الدمع فى بيت الناظم فلم يسمع لغيره — فيما أعلم — وعليه فهو معدود من سلامة الاختراع » وقول الدكتور الشاعر من لطائف الابداع .

وقال فى قصيدة « مسلة المطرية » كما فى ١٠٧ أيضاً :

سلمتِ فى قريةٍ بالذكر عاطرة والحسن ناضرة كالخود فى عُرُسِ

والصفة المسموعة من « عطِرت » إنما هى « عطِرة » كفرحة ، ولكنّ القياس يجيز « عاطرة » ويجعلها من فصيح كلام العرَب — وقد تقدّم كلامنا على القياس فى الوصف — فالعطرة والعاطرة مثل « الدمية والدامية والظمئة والظامئة والصدية والصادية والروعة والرائعة والتفهة والتافهة » وأمثالها كثيرة .

أمّا قوله «فى عُرُس» بضم الراء فهو فصيح قياساً وسماعاً ، ويهمنا ذكر القياس ليألفهُ الشعراء فلا يتهيبوا الاتيان به ولا يعرض لهم جامدو الآراء ، ففى ع س ر من مختار الصحاح ماصورته «العسر بسكون السين وضمها ضد اليسر ، قال عيسى بن عمر الثقفى : كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم بواسطة ساكن فمِنَ العرَب من يخففه ومنهم من يثقله مثل عسر وعسر ورحم ورحم وحلم وحلم» .

وقال فيها يعنى المسلة المذكورة :

فكيف تمسينَ بعد المجد آفلة وكيف تبقين بعد الطهر فى دنسِ ؟

ولرُبّ معترض يقولُ : إن الشاعر قد وضعَ «آفلةً» لغيرما هيّئت له ، فقبح المعنى ، فيكون أمره كأمر الذى قال لأبى العتاهية « لم لاتقول ما يُفهم ؟ » فقال له «ولم لاتفهم مايقال؟» فالآفلة هاهنا من « أفلت المرضع أى قل لبنها» وبينها وبين المجد مقابلة لأن المجد فى اللغة هو الكثرة ،ومنه قولهم « أمجد لفلان من كذا أى أكثر له وامجده سبّاً وشتماً أى وسعه وأمجد الدابة علفاً أكثر لها منه» وقولهم استمجد أى استكثر ، وفى المثل : فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثرا منها كأنهما أخذا من النار كثيراً، ويقال لأنهما يُسرعان الورى فشبّهها بمن يكثر فى العطاء طلبا للمجد» فمعنى شطب البيت «كيف تمسين بعد الكثرة مقلة ؟»

أمّا اسناد القلة الى المسلّة بالآفلة — وهى للمرأة — فعلى غرار كلام العرَب لأنهم أكثروا من استعارات الكلماتِ وداولوها بينَ الاشياء ، ألا ترى انهم قالوا « حفل

الماء والدمعُ أى اجتمعا بكثرة . ثم استعاروه للناس فقالوا حفَـل القوم أى احتشدوا وتجمعوا ، وعنده حفلٌ من الناس أى جمع » .

ولقائل أن يقولَ : ولـكنَّ آوِلةَ لا تدل على القلة فى الشيء الحَسَن ، فنقول : ولـكنَّ مقابلتها بالمجد — وهو الـكثرة فى الشيء الحَسَن — تدل على أنَّ القلة فى الشيء الحسن نفسه ، ثم إنَّ أصل الأَول وهو قلة اللبن يدل على قلة فى شيء حَسَن مرغوب فيه ، ففى الشطر قرينتان تدلان على مُـراد الشاعر ، وتـكاد القـلة تختصّ بالشيء الحسن إذا أطلقت ، فقد قالوا « الأَقلّ والمقلّ بمعنى الفقير » وأظنّ هذا كافياً لبيان المراد فهو حسبنا [1] .

وقال فى ص ١٠٨ « الورود الحمراء » والصواب « الحُمر » لأنَّ « أفعل الذى مؤنثه فعلاء » إذا كان خبراً أو نعتاً أو حالاً أو بدلاً واختصَّ بجمع وجب جمعه فى كلام العَرَب [2] ، وليس ذاك من باب « أيام معدودة ومعدودات » . قال تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، عاليهم ثياب سندس خضر ، يلبسون ثياباً خضراً ، حدائق غُـلباً » وقال الشاعر :

بأنَّـا نورد الرايات بيضاً ونصدرهُـنَّ حُمْراً قد روينا

وقال آخر :

فيهـا اثنتان وأربعون حلوبةً سوداً كخافية الغراب الأسحمِ

و « حلوبة » فى البيت تمييز وهو دال على الجمع ، وجاء فى طبعة مختار الصحاح الأَميرية بمادة ل و ب « قال أبو عبيدة : اللوبة والنوبة بوزن الـكوفة فيها الحرّة الملبسة حجارة سوداء » وفيه خطأ صوابه « حجارة سُوداً » ولما رأى الطابع ألف الـكلمة المنصوبة ( الثابتة فى الوقف فقط ) ظنَّ أنَّـها للتأنيث فأتبعها همزة من فضله وكرمه ، ويستحيل أن يغلط أبو عبيدة هذه الغلطة ، فإنهم قالوا فى مادة ح ر ر « الحرَّة أرض ذات حجارة سُود نخرة كأنها أحرقت بالنار » ولم يقـولوا « سوداء » .

---

(١) لهذا التعبير أيضاً مناسبة شعرية تاريخية فى الأبيات الأولى من القصيدة .

(٢) استعمل صاحب الديوان «الحمراء» بدل «الحمر» من قبيل استعمال الوصف المفرد فى موضع الجمع لغير العاقل ولأنها أرشق لفظاً .

وقال فى قصيدة ( إدى كنتور ) كما فى ص ١١٠ :

فاضت لنا ألوانه ومزيجها عبق من الككتيل بين أزاهر

وجمع الأزهار « أزاهير » كالأبيات والأبابيت والأنعام والأناعيم والأحياق والأحايين والأعراب والأعاريب والاصحاب والاصاحيب، ولكنّ للشاعر أن يضمر ياء جمع التكسير وواوه حتى تصبحا حركة وأن يشبع الكسرة حتى تصير حرفاً، وأجازوا الثانية للناثر — كما فى د ن ق من المصباح المنير ، قالوا : دانق ودوانيق والأول مثل نجم ونُجُم وسقف وسُقُف وبرج وبُرُج وجرم وجُرُم وجون وجُون ورهن ورهن وأسد وأُسُد وسحل وسُحُل وشرس وشرس وشهم وشهم وعصر وعُصُر وصدق وصُدُق وبعث وبُعُث ومسك ومُسُك ومسل ومُسُل ونجد ونُجُد ونمر ونُمُر ونصف ونُصُف ووعث ووُعُث ووهم ووُهُم ووعل ووُعُل » وقال الشاعر « ومن دون ليلى مصمتاتُ المقاصرُ » والأصل المقاصير جمع مقصورة .

والثانى مثل « الصيارف والدراهيم » قال الشاعر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفيَ الدراهيم تنقاد الصياريف

على أنّ للشاعر وَجهاً أفصح هو اعتداد « الأزاهر » جمعا لأزهُر الذى هو جمع قلة لزهر — كما قالوا — وجمع الجمع مقيس فالأزاهر كالاراهط والاساور والاوانى والاساقى جمع أرهُط وأسورة وآنية وأسقية ، ولا عبرة باختلاف الاوزان لأن عماد جمع التكسير عدد الأحرف ، ألا ترى أن «الافاعل» تكون جمعاً « لافعل » كأكابر و « لافعُل » كأراهط و « لافعلة » كأساور و «لأفعَل » كأشافٍ جمع إشفى على اعتبار زيادة الهمزة .

وقال فى قصيدة « بين ذنوبى » كما فى ص ١١٠ أيضاً :

مَنْ ذا يلومُ على الجريح سكوتَهُ وعلى الحزين عُزوفه بحدادِ ؟

فضمّن يلوم معنى « يعيبُ وينعى وينكر ويزرى » والتضمين جائز عند أمن الالتباس ولا سيّما للشعراء ، قال أبو النجم :

سبّى الحماة وابهتى عليها وان أبَتْ فازدلفى اليها

والأصل « ابهتيها » أى ارميها بالبهتان ولكنه ضمن ابهتى معنى « اكذبى » فعدّاه بعلى ، وتكلّف بعضهم فقال : إنّه « وابهتى عليها بمعنى اصرخى بها »

ولكلٍّ وجه مقبول ، واختار المبرد فى كامله ما قلناه .

وقال فى قصيدة « لصوص الخلود » كما فى ص ١١١ :

وكم قُتلتْ فُرَصٌ للنعيم وحتى الخيالُ لهنَّ احترَقْ !

وقد قدَّمنا أنَّ القتلَ طالما سلِّط على المعنويات استعارة ، قال مختار الصحاح « وقتل الشيء خُبراً ، قال الله تعالى : وما قتلوه يقيناً أى لم يحيطوا به علماً » وهى استعارة بالكناية فقتل الفُرَص كناية عن اضاعتها والتفريط فيها وقتل المرء إضاعة حياته فالجامعُ « الافناء بلا فائدة ولا حق » وليس لقائل أن يعترضنا بأن قتل المرء قد يكون مفيداً فائدة وحقاً ، فذلك مقيَّد ، وله أسماء كالقصاص والافادة وغيرهما ، فاطلاق القتل يدل على الافناء بلا فائدة ولا حقّ .

وقال فى قصيدة « البعوضة والببغاء » ص ١١١ أيضاً :

يا هذه ! إنَّ البعوضة ذاتها شخصيَّةٌ فى نقمةٍ وهلاكِ

والشخصية — وإن لم ترد فى كتب اللغة — فهى اسم مصدر ( ولا أسميها مصدراً صناعياً ) كما قيل الانسانية والبشرية ، وقد اطّردت هذه الطريقة فى لغة العَرَب وورد منها فى القرآن الكريم « الجاهلية » وتفيد فى المشتقات التخصيص وفى الجوامد « الوصف » مثل « الموجودية والمفعولية والفاعلية والشاعرية والقابلية والأهمية » ومثل « الزوجية والبشرية والانسانية والشخصية » وأصل الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعيد « ولكنه استعمل للقريب المعلوم ففى د خ ل من المختار « والمحدود الذى له شخص وأقطار تحوزه » أراد القائل الظرف المحدود .

واخبار الشاعر بالشخصية وهى اسم مصدر معروف فى الفصاحة ، وذكرنا من ذلك قول الخنساء « فانما هى إقبال وادبار » وقوله تعالى « واذ هم نجوى » وغير ذلك .

وقال فى قصيدة « مصر العازفة » ص ١١٣ :

تقبَّلْ ! ذلك الأدبُ المصفّى يُزَفُّ اليكَ والفنُّ اللبابُ

عزفتَ وأنت مصرُ بكل لونٍ عرضتَ ونبعُك البحرُ العبابُ

وهذان البيتان ممّا يستوجبُ منّا الكلام — على ما رأينا — فقد وصف

الشاعر « الفنّ » فى البيت الأوّل بما هو خالٍ من الوصفيّــة مختصّ بالأسميّـة ، وكذلك فعل فى البيت الثانى بقوله « البحر العباب وعـدّ « أمـلا » فى البيت الثالث خبراً لـ « كل » وعطف « الفنّ » فى البيت الأوّل على نائب فاعل « يزفّ » وهو ضمير رفع متّصل . أمّـا الوصف بالاسم الخالى من الوصفيّة فهو معروف فى كلام القوم ، وعدّ صاحب خزانة الأدب منه قول الشاعر « من هؤليائكن الضال » فى البيت :

يا ما أميلح غزلاناً شدنّ لنا    من هؤليائكن الضالّ والسمر

وورد وصف بالاسم فى مروج الذهب « ١ : ٥٣ ، ٥٥ » من الطبعة المصرية الأخيرة ، ومن ذلك قول العلامة عبد الرزاق بن الفوطىّ فى الحوادث الجامعة عن التتر « ونزلوا بالجانب الغربىّ وقد خلا من أهله فشرعوا بالرمى بالنشاب الى الجانب الشرقىّ . . . فأمر المستعصم عند ذلك بعمل ما يحول بين شبابيك الدار والرماة فعملت ستائر من الألواح الخشب » فوصف الألواح بالخشب فكان نعتا بالجوهر والاسم .

وأمّا عطفـه الظاهر وهو « الفنّ » على ضمير الرفع المتّصل ففصيحٌ لفصله بين المعطوف عليه والمعطوف بالجار والمجرور « اليـك » ومن ذلك قول الامام علىّ — ع — « ولقد كان الرجل فى الجاهلية يضرب الجارية بالهراوة فيعيّر بها ومن بعده » بعطف « مَنْ » على نائب الفاعل ليعير وهو مستتر والمستتر متصل — كما هو متعالم — ومنه قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » فقد فصلت « لا » بين المعطوف عليه « نا » والمعطـوف « آباء » .

وقال فى قصيدة « الحياة الذاتيـة » كما فى ١١٤ :

إلى أن يجازى حتفه أوخساره    ذليلاً وإلا همّ ثم تسامى

فحذف الباء من « بحتفه » وأوصلَ الفعل اليه ، وهذا فصيح — كما تقـدّم الـكلام عليه — فلا حاجةَ فى صدرنا إلى تـكراره .

وقال فى قصيدة « ليالى رمضان » كما فى ص ١١٤ أيضا :

والافاويح مِنْ طعامٍ شهىّ    هى ملءُ الآناف عنـد المساء

والافاويح جمع أفواح والافواح جمعُ فَوْحٍ ، وجَمْعُ « فَعْلٍ » المُعْتلّ العين

على « أفعال » ثم أفاعيل قياسيّ مثل « قول وأقوال وأقاويل وبيت وأبيات وأبابيت وحين وأحيان وأحايين »

وقال فى قصيدة « رسل الرجاء » ص ١١٧ :

عرفوها روح مصر المعتلى    هضبات الجوّ أو سيل الضياء

فاستعار الهضبات لما ارتفع من طبقات الجوّ ، ولكل فصيح أن يستعير ، ألا ترى أن الجوّ فى الأصل البرّ الواسع ثم استعير لما اتسع بين الأرض والسماء وأنّ الفضاء ما اتسع من الارض ثم استعاره المولدون لما اتسع بين السماء والارض ، وهذا باب لو دخلنا منه لأفضينا الى غريب الاستعارات وبديع التوسعات ولألفينا من ذلك مالم يصدق العقل بوجوده فالعربية واسعة متساهلة — لا كما يظن قائلو الآراء — والحاجة تجيز الاعتداد بمثل هذه الاستعارات ، ألا تراهم يقولون « تيّار الكهرباء وتيار الريح » وانّما التيار للماء ولكنّ باب الاستعارة عظيم جداً.

وقال فى القصيدة نفسها :

أنصفَتْ ما أنصفَتْ من شعلة    أودعتهـا فى أمانينـا ذكاء

والذى فى كُتُب اللغة « أودعه الشيء » ينصب مفعولين بنفسه ، ولكن الفصحاء استعملوه ، ومنه قول زهير بن أبى سلمى على رواية :

يؤخّرْ فيودَعْ فى كتاب فيدّخر    ليوم الحساب أو يعجّل فينقم

وقال ديك الجن الحمصى :

قالت هناكَ عظامى فيه مودعة    تعيث فيها بنات الارض والدودُ

وقال أبو الوليد احمد بن زيدون :

إن طال فى السجن إيداعى فلاعجب    قد يُودَع الجفن حدّ الصارم الذكر

فاستعمله بوجهيه ، وقال سيبويه « ولذلك لم نودع فى أبواب الكتاب إلا المشهور الذى لا يشك فى صحته » (المزهر ١ : ١٥١) وقال عمارة اليمنى يذكر أبا الغارات طلائع ابن زريك وزير العاضد الفاطمى حينما نقل تابوته من دار الوزارة المعروفة بانشاء الأفضل شاهنشاه الى تربته بالقرافة الكبرى سنة ٥٥٧ :

وكأنه تابوت موسى أودعت    فى جانبيه سكينةٌ ووقارُ

( الوفيات ١ : ٢٦٠ ) ونقل ابن ابى الحديد من كلام الحكماء « الرعيــة خزائن واليها فما أودعه فيها وجده » عن شرح نهج البلاغة « ٣ : ٣٢ » وقال هو « فأما السمع للصوت فليس بعظيم عند التحقيق وانّما هو بالقوة المودعة فى العصب المفروش فى الصماخ كالغشاء » عن الشرح « ٤ : ٢٥٤ » ومن الكلام المنسوب الى الامام علىّ ـ ع ـ « الآنية اذا لم تنشّف وبقى ما يودع فيها على حاله لم ينقص » عن الشرح « ٤ : ٥٦٩ » ومن أقوال ابن ابى الحديد أيضاً « حيث اودعها فى الصورة » عن الشرح « ٣ : ٥٤ » وقال ابن خلكان فى ترجمة ابى الفوارس طغتكين يذكر الملك المعزّ فتح الدين اسماعيل « والمعز المذكور صنف ابو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمــة بن ارسلان الشيزرى كتابه الذى سماه عجائب الاسفار وغرائب الاخبار فأودع فيه من شـعره واخبار الناس كثيراً » عن الوفيات « ١ : ٣١٨ » ، وقال الاصمعى :

واقعد للجهـل فى مجلس وعلمى فى الكتب مستودع

يضيع من المال ما قد جمـ ت وعلمك فى الكتب مستودع

فهذان من « استودعه فيه » والعلّة فى هذا وامثاله انه يجوز تحقيق الظرفية بحرف الجرّ « فى » مع الفعل وما اخذ منــه إذا كان محتاجاً الى تمكين ، الا ترى انهم قالوا ايضا « اودعه عنده » فمن حديث المسعودى فى زواج المعتضد بالله بابنة خمارويه بن احمد بن طولون « فيقال إنه حمل معها جوهر لم يجتمع مثله عند خليفة قط فاقتطع ابن الجصّاص بعضه واعلم قطر الندى ابنة خمارويه انّما أخذ يُودع لها عنده الى وقت حاجتها اليه » عن المروج « ٢ : ٤٦٣ » والامر كذلك فى « دخله ودخل فيه » على رأينا ووسّده الشيء ووسده عليه قال الشريف الرضى :

متوسّدين على الخدود كأنما كرعوا على ظمأٍ من الصهباء

— وقال فى قصيدة ـ حمّام الفيلسوف كما فى ص ١١٩ :

بيعتْ شراباً للنفوس لعلّها تُصمى الرجالَ وتُنْضِجُ الأطفالا

فاستعمل « تُنضِج » استعمالاً جديداً ، ومُراده بـ « تنضج الأطفالا » تهذُبهم وتعدّهم للحياة العالية ، والمعروف فى كُتب اللغة أنضج الثمرَ أو اللحمَ جعله ناضجاً وفى مستدركنا على اللغويين « أنضج قَلْبَــهُ غيظاً » عن شرح ابن ابى الحــديد « ٤ : ٢٠ » وفى كتب اللغة أيضاً « أنضج الرى احكمه وامرٌ منضج اى مُحْـكَم » وإذ جاز « انضج قلبَــهُ غيظا » جاز ( تُنضج الأطفــالَ ) والفرقُ بينهما ان النضج قابَــهُ

مميّز بالغيظ وقول شاعرنا (تنضج الأطفالا) غير مميّز وهذا الذى دعانا أن نعدّه جديداً ، ولا يبادر الذهن إلى أن انضاج الأطفال يراد به إنضاج لحومهم لوجود قرينتين سابقتين هما (تبعث شراباً للنفوس) «وتسعى الرجال» قال ابن الأثير الجزرى فى المثل السائر «واعلم أنه إذا ورد عليك كلام يجوز ان يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية لمعناه فى حمله على طريق المجاز فلا ينبغى ان يحمل إلا على طريق الحقيقة» ونحن نقول «إن كان لا مزية لمعناه فى حمله على طريق الحقيقة فلا مندحة عن حمله على طريق المجاز» وقال ابن الأثير «وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة فى باب الفصاحة والبلاغة لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التى هى الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها وليس الأمر كذلك لأنه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابى هو إثبات الغرض المقصود فى نفس السامع بالتخيل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عياناً»

وقال فيها — ص ١٢٠ :

فتراهُ فى طست الغسيل وفوقه ... سطلٌ ينقّط ماؤه إدلالا

وقد قلت لم أجد (الغسيل) مصدراً للفعل (غَسَل) ولا اسماً لمصدره ، وإنما هو فعيل بمعنى مفعول فهو بمعنى مغسول، ولكنه مستفيض فى كلام العامة، ولكن لا سماع يؤيده ولا قياسَ يعضده ، لأن فعيلاً المقيسَ فى مصادر الثلاثى إنما هو للصوت والسير كالصريخ والرسيم وما ورد على (فعيل) لغير الصوت والسير قليل مثل «نكر نكيراً وحفل حفيلاً وشمّ شميماً» .

أمّا «ينقّط» فلا يفيد معنى «يقطر» الا أن قوله «إدلالا» ومنه «اندلّ الماء بمعنى انصب» يدل على انه أراد بالتنقيط «التجزئة» إلى ما يشبه النقاط من حيث الصغر ، فجعله كتنقيط الكاتب ، وقديماً قال ابن الساعاتى :

لله يوم فى سيوط وليلة ... صرف الزمان أظنّه لا يغلط
الريح تكتبُ والغدير صحيفة ... والطير تقرأ والسحاب ينقّط

وقد أخذها أحد ملفقى «ألف ليلة وليلة» فحرف البيت الأول الى :

لله يوم فى دمشق قضيته ... حلف الزمان بمثله لا يغلط

وقال فى قصيدة «لولاك» فى ص ١٢٢ :

هبةُ الألوهةِ أنتِ بل ورسومُها ... للفنّ ثم تملا كُها لفتاكِ

ولم يرد « الملاك » في كتب اللغة ، ولكن لفظ « الملائكة والملائك » يدل على أن المفرد « ملأك » بالهمزة بعد اللام . والملاك مخفف « الملأك » وقد تكلمنا على الهمز والتسهيل في ما سبق من أقوالنا ، وليس في العربية ما يمنع تسهيل الهمزة كالذي حدث في « البرّية والذريّة وأومى والمرجية وتوضّى » وقد استعمل ابن العبري « الملاك » في كتابه مختصر الدُّوَل — كما في ص ١٦ — من طبعته اليسوعية .

وقال في قصيدة « في المعترك » ص ١٢٤ :

وأنتحي عن وجودي شبهَ منعدمٍ  في الصمت والصمتُ آمالي وآلامي

والمنعدم اسم فاعل من « انعدم » ولم أجده في ما عندي من كُتُب اللغة ، ولكنَّ المتكلمين وفلاسفة الاسلام نطقوا به — كما ترى في شرح ابن ابي الحديد « ١ : ٧٠ » مثلاً ، وهو مطاوع « عَدِمَهُ » ولما كان المنعدم قابلاً لأثر العَدَم صحّ قياسه ، فهو جائزٌ سماعاً وقياساً ، ورُبَّ معترض يقول : ان الاولى بانعدم ان يكونَ من أعدمه فلا يستمر القياس ، فنقول : بل قال جماعة من العلماء بجواز « انفعل » مطاوعاً « لأفعله » كما ورد في شرح الطرّة على الغرّة من الدرّة «درّة الغواص» وهذا الشرح للسيد محمود الآلوسي الملقّب بشهاب الدين المكنى بأبي الثناء وهو صاحب تفسير روح المعاني ، ومن ذلك الباب قولهم « اقحمه فانقحم وأدلّه فاندلّ وأشاله فانشال » ولقد فكّرت أنا في « انفعل » المطاوع لغير الثلاثي فاهتديتُ الى رأي لم أسبق اليه ولا نوزعت عليه هو أن « انفعل » مُطاوع « فعّله تفعيلاً » مثل دوّحه فانداح ودوّره فاندار وسوّغه فانساغ وسرّبه فانسرب وسيّحه فانساح وعوّجه فانعاج وغوّاه فانغوى وكمّشه فانكمش وكدّره فانكدر ودمّجه فاندمج » وبهذه القاعدة الجديدة نعلم أنّ « انهوى » مطاوع « هوّاه » وأنّ « انجاب » مطاوع « جوّبه » فيكونُ « انعدم » مطاوعاً لـ « عدّمه تعديماً » مثل « قحّمه تقحيماً فانقحم » .

وقال في قصيدة « الصيد الحلال » ص ١٢٥ :

هذا هو الصيد الحلالُ بعُرفهم  لم يصطنع شرحاً ولا تأويلا

وقد أنكر بعض المتحذلقين من المعنيّين بالعربية على غير هداية ولا اكمال دراية ورود « يصطنع » بمعنى « يصنع » ولنا في هذا قولان أحدُهما أن « افتعل »

هو فعل لاتخاذ فاعله مثل « اكتسب مالاً واقتبس ناراً واتخذ صاحباً واحتفر بئراً واعتقد مالاً » فيكون على هذا القياس « يصطنع شرحاً » بمعنى يتخذه لنفسه ، والقول الآخر أن « اصطنعه » قد ورد بالمعنى الذى أنكروه ومنه قول أحد الفصحاء « اصطنع قرصاً » — كما جاء فى ص ٤٦ من جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ، بطبعة الهند ، وورد بهذا المعنى فى الأغانى « ٤ : ٤٠٨ » بطبعة دار الكتب المصرية وشرح ابن أبى الحديد «٢ : ٥٤٢ و٥٦٥» فافتعل لاتخاذ الفاعل مقيس فى كلام العرب مطرد ، ألا ترى أن « انتهب الأهبة » غير وارد فى كتب اللغة ولكن عمر بن الخطاب — رض — نطق به فى كلامه — كما جاء فى شرح ابن أبى الحديد « ٣ : ٤٠٩ » فاصطنع الشىء بمعنى صنعه لنفسه ثابت قياساً وسماعاً

وقال فى قصيدة « طائر الحب » كما فى ص ١٢٦ :

وارجع سائلاً نحلى عليك وسائلاً وردى

والمعروف فى العربية « سأله عن كذا وسأله بكذا » بمعنى استفهمه واستعلمه واستخبره إياه ، لكن الشعراء قد يضطرون إلى وضع « على » مكان « عن » ألا ترى أنه يقال «فتش عنه» لا عليه ولكن الوزن اضطر ابن الدهان الموصلى فقال :

وعهدى بالصبا زمنا وقدى حكى ألفَ ابن مقلة فى الكتابِ

فصرتُ الآن منحنياً كأنى أفتش فى التراب على شبابى !

بوضعه « على » مكان « عنْ » وشرط جواز هذا وأمثاله عدم التباس المعانى من اختلاف المبانى ، فلا يقال « حمل عليه » بمعنى « حَمل عنه » ولا « وضع عليه» بمعنى« وضع عنه » ولا « تكلم عليه » بمعنى « تكلم عنه » ولا العكس .

وقال فى قصيدة «عالم الذهول» ص ١٢٧ :

كأنّ جميعها بخلت عليكَ وأنتَ فى زُهْدِ

وسلف منا كلام على استعمال « جميع » لغير التوكيد ، ويبقى اشكال فى البيت هو تأنيث الفعل « بخلت » مع أنّ الجميع بمعنى المجموع وهو مذكر ، وازالة هذا الاشكال أن الجميع جاز رجع الضمير إليه مؤنثاً لاضافته الى ضمير المؤنث « ها » ، ودليل ذلك قول الشاعر :

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حبّ من سكن الديارا

ومنه قولهم فى كتب الصرف « المجرد ما كانت جميع أحرفه أصلية » فانّه — وإن جاز فيه : كان جميع — يدل على جواز تأنيث الفعل لمكان جمع التكسير المماثل للمؤنث فى الاستعمال .

وقال فى قصيدة « الفنان البائس » كما فى ص ١٢٩ :

تأمّلَ فى كون يرى الموتَ شاملاً    له ويرى مرآهُ نظماً بلا معنى

والمعروف « تأمّله » يتعدّى بنفسه ولكنّ للشاعر أن يضمّن «تأمّل» معنى «نظر فى» وماذا نبيح الشعراء إذا لم نبحهم التضمين ؟ ومع هذا نجدُ « تأمل » فيه وارداً فى معجم الادباء لياقوت « ٦ : ٤٠٩ » وكثر هذا التعبير فى كتب العلماء المتأخرين .

وقال فى القصيدة نفسها :

أيشكو من النّاس الأُلى ليس بينهم    سوى ميت هيهات يستأهل الدفنا ؟

وخطّأ جماعة من المعنيين بالعربيّة مَنْ يقول « يشكو منه » لأنه متعد بنفسه وجوباً عندهم ، وليسوا على حقّ فى هذا الاستبداد ، لأن تعدية «شكا» بحرف الجر «مِنْ» مستفيضة فى كلام العرب ومن ذلك قول الامام على ـ رض ـ كما فى نهج البلاغة «الى الله أشكو من معشر .. » وجاء فى أساس البلاغة « مِمَّ تشكو ؟» وقد ورد بهذه الصورة فى شرح ابن أبى الحديد « ١ : ٥٢ ، ٩٤ ، ١٦١ ، ٢٤٠ » و« ٢ : ٦ ، ٤٧ ، ١٧٠ » و« ٤ : ٢٣٧ » ووفيات الاعيان « ١ : ١٢٤ » و « ٢ : ٦٨ ، ٣٨٢ ، ٥٠٦ » والأغانى « ١ : ١٤٥ » وأمالى الشريف المرتضى « ٢ : ٣٠٤ » واستعمله هكذا يحيي بن سلامة الحصكفى الخطيب الشاعر المشهور فى أبياته السائرة سير المثل :

أشكو الى الله من نارين واحدة    فى وجنتيه وأخرى منه فى كبدى

ومن غوميين : من هجرِى حين أذكُره    يذيعُ سرّى وواشٍ منه بالرّصَدِ

مهفهف رقّ حتى قلت من عجب    أخصرُهُ خنصرى أم جلدُهُ جَلَدِى !

وذكر «مِنْ» غير هاتين المرتين لكنا اكتفينا بهما ، فحسبنا من الدليل ما سدّ الحاجة وقطع اللجاجة .

* * *

ها هنا نقف القلم المقصر ونستوقف الذهن الكليل ونقرّ بالعجز عن تبيان ما اضطمّ عليه الديوان من المعانى الحسان ، والاساليب الجديدة فى العربية على كون قوامها فصيحاً وملاكها صحيحاً ، ولم يحل دون ذلك إلا كثرة أعمالنا واضطراب البال ، ففى (الينبوع) عِدّ لا ينقطع ومادّة لا تنضب من بدائع المعانى وابكار التعابير وخرائد القصائد ، ولعلنا نظفر من قراء هذا الديوان بقبول هذا الاعتذار وإقالة هذه العثرة وغفران هذا العجز ؟

القاهرة :    مصطفى جواد

# الديباجة

## فى شعر أبى شادى

منذ نشط الأدب من عقال القديم على إثر امتزاج الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية فى مصر ، ومنذ نشأ الصراع بين المحافظين والمجددين من الكتاب والشعراء وتكونت مدارس للقديم والجديد ، شق القلم طريقه التجديدى فى النثر على يد فريق من الكتاب طهروا أقلامهم من لوثة الألفاظ الغريبة والأسجاع وساروا فى كتاباتهم مع العصر الذين يعيشون فيه ، ولم يتخلف عن التقدم إلا فى يد المحافظين الذين حذقوا الأدب العربى ولكنهم لم ينهلوا من الآداب الغربية الأصيلة بأنفسهم ما يخفف تعصبهم للقديم وعبادتهم له عبادة تحرم كل خروج أو مغايرة لتلك الأنماط العتيقة من أسلوب ومعنى . أما الشعر فما زالت آذان الناس إلى زمن قريب لا تطرب إلا لما حاكى القديم منه فى لفظه وأسلوبه ومعناه وتشبيهاته ، والشعراء أنفسهم يحرصون على ذلك فيهتكون حرمة الأدب العربى القديم حين يسطون على معانيه وأغراضه ويصوغونها مضطربين فى أساليب إن لم تحاكِ القديم تماماً فهى خالية من كل جديد ورغم كل ذلك فهى لا تنهض بجانبه . وطبيعى للشاعر المحدود الذى يقف إلهامه على تلك المنابع القديمة أن تشابه صوره الشعر القديم المألوف ، ونحن نعيش فى عصر طفر فى سبيل المدنية طفرات قوية مسخت وجه القديم وبدلته عصراً قوى الاحساس مشغوفاً بالجمال والفن لا تنال منه الصور المادية الجافة منال الصور المعنوية الرقيقة ، فحضارته إن لم تستند إلى شعور انسانى عميق تنميه الفنون الجميلة من شعر وموسيقى وتصوير ، استبدت المادة بالروح وشهدنا ذلك الدور الخلقى الذى تلعبه فى مصر اليوم .

وقد حاولت المدرسة الحديثة فى الشعر أن تصدح على القيثارة التى تمزج ألحانها بروح العصر الحديث وتتجاوب مع مدنية القرن العشرين ، فتتوجه البيئة بقوة تأثيرها إلى الحياة والنور وترقى بها إلى مستوى الحضارة العالمية ، ولكن تعصب المحافظين كاد أن يفت فى عضدها ويحول بينها وبين تبليغ رسالتها الجديدة لو لا أن قيض الله لها شاعراً يعده التاريخ بحق زعيم المدرسة الشعرية الحديثة ، حمل المشكاة

فى عينه وراح يغذيها بدمه وماله وجهوده وشبابه لترسل أشعتها الى القلوب فتصقلها وتفيقها من سكرة الأدب التقليدى والنزعة الكلاسيكية البالية التى نشأت عليها غير هيّاب للرأى العام الذى يتبرم بكل جديد لم يألفه . . . ذلك هو أبو شادى الذى يقول : «والخيرُ للشاعر أن يوصَمَ بألف وصمة غاشمة من أن يكون أسير الروح عبداً للتقاليد أو خادعاً لنفسه ولغيره »، فاذا كان هذا مبدأ الشاعر فجدير به أن ينطلق بروحه الى أبعد حدود الخيال : يتحدث عن الأطياف والأحلام كما تحدثك طيفٌ عابرٌ ، وينغّمُ لك الأشعة فيسمعك ألحان المزاهر، ويبسط لك فنّ الميثولوجيا القديمة فى عصر الإغريق والفراعنة فتسمع فى نبراتها نجوى الأرباب ، وحديث السماء وملائكتها ، وهمس الأودية السّحرية وشياطينها ، ورقص النجوم ، وهمهمة الجان ، وموسيقى العدم ، ويصوغ لك ذلك العالم المادى أنغاماً روحية سامية تعلو بالفن الشعرى إلى درجة بعيدة عن وصمة المناسبات التى كلف بها معاصروه من الشعراء ووقفوا جهودهم عليها حتى هبطوا بالشعر إلى الحضيض فخدرتْ قدمه عن مجاراة الشعر الأوروبى الذى نهض بالتفكير الغربى نهوضاً يلائم الحضارة الحديثة ، ومن وراء كل ذلك عبقرية يحرقها الشاعر فى معبد الانسانية قرباناً للمُثُلُ العليا التى يراها . . الحب ، والحرية ، والجمال ، والحق ، والسلام ، وكلها أغراض معنوية تفتّق عنها العصرُ الحديثُ وظمئت أوتارها إلى ريشة توقع عليها ألحاناً تشربها روح البيئة فتخلق فيها الاستعداد للتطور والنهوض ، فهل كانت الأساليب الشعرية القديمة قادرة على تأديتها ؟ .. ذلك ما لن يستطيع القول به انسان . فماذا يفعل أبو شادى لتأدية رسالته وهو الذى أخضعته نزعته الصوفية الى استلهام كل ما يجيش بنفسه ، وأُرغم على انشادها ارغاماً تحفزه قوةٌ غامضةٌ ؟

لقد عمد الى تطويع اللغة لأخيلته ومعانيه حتى تؤدّى صادقة صافية لا زبرج فيها ولا زينة تطويعاً حُفظتْ معه قواعد اللغة والصرف ، وأُرْغمتْ الكلمة على الافصاح عن دقائق شعوره الواسع المترامى بعد أن كانت عزيزة متكبرة تُذلّ المعنى وتخضعه لزخرفها وجمالها حتى لا تكاد تحمل الا نفسها ، وأفسح لخياله المجال فى الانطلاق على الصحيفة عند تسجيل الخواطر الشعرية تاركاً لنفسه الحرية فى اختيار ما يشاء من الألفاظ والحروف الموسيقية مهما كان استعمالها جديداً لم يسبق اليه ، أو غريباً لم يدرك ، وهو الذى يحتقر الصناعة فى الشعر ويرى أن الجراءة فى التعبير الفنى جزء أصيل من العبقرية تجلت به قوة شكسبير ودانتى والمعرّى والخيام ،

وليس رأيه هذا شاذاً ولا غريباً حتى يتحامل عليه بعض النافدين ، فقديماً نصّ ابن الرومي الشاعر العربي الشهير في بعض تعليقاته على محمد بن أبي حكيم الشاعر : « ان أبا تمام الطائي كان يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ ، حتى لو تبين له المعنى بلفظة نبطيّة لأتى بها » وأبو تمام هذا شاعر فحل من شعراء العربية المعدودين كان يحس بأن المعاني والأخيلة في نفسه بحر زاخر لا عمق له ولا ساحل ، فهو في احساسه هذا أشبه بشاعرنا الذي نتحدث عنه اليوم ، وقد أفصح عن ذلك في موقف له مع أبي دلف بن عيسى العِجْلي كما ذكر أبو اسحق الحُصري في زهر الآداب حين قال :

ولو كان يفنى الشعر أفنتْهُ ما قَرَتْ(١) حياضُكَ منه في العصور الذواهبِ

ولكنه فيضُ العقول إذا انجلَتْ سحائبُ عنه أعقبَت بسحائبِ

ولقد نعَى الجاحظ في بيانه على الشعراء جريهم وراء رصف الألفاظ في تلك القوالب العروضية المعروفة فقال إن الشعر ابتكار وتصوير ، ولكن المدنية التي كانت في عصره لا تسمح للشعراء بالتجديد في المعاني فأغرقوا في محاكاة السلف إغراقاً قتل مواهبهم الشعرية فلم يخالفْ منهم إلا عدد قليل ، ولو كان الشعر هو تلك القضية المنطقية التي وضعها اللغويون من قديم (لفظ موزون مقفى) لأتخمَ الأدب في كل عصر بالشعراء ولكن بالرغم من كل ذلك نرى الشعراء الملهمين المجددين تناولوا من المعاني ما لم يسبقوا اليه من قبلهم الذين وَعاهم التاريخ وسيّرَ أشعارهم ، وشاعرُ المعرّة أبو العلاء يعتبر سيد هؤلاء لأنه رغم اتهام البيئة لتفكيره الديني فانه كتب كلّ ما دار بخلده من فلسفة العقيدة والخيال مما خالف كل سابقيه ومعاصريه من الشعراء ، ولزومياته تنم عن مخالفة جديدة لأسلوب الشعر القديم مهما يكن شكلها ، فالأسلوب يتشكل بشكل العصر الذي ينشأ فيه لأنه وسيلة لتأدية المعنى ، والمعنى هو الذي يحمل روح الاصلاح الفكري وهو الذي يوصف بالحياة والموت فالمغالاة في العناية باللفظ وهجر المعنى جناية على روح الاصلاح ، وأدب لفظي فارغ لا حياة فيه .

وأبو شادي يرى أن العبرة ليست في الواقع بالاساليب ذاتها بل بالاستعداد للتأثر بها ، وهذا الاستعداد يختلف بين جيل وآخر ، ونحن نعيش في عصر لا يسمح للأديب بمباشرة المعجم اللغوي عند مطالعة الشعر بل يجب أن ينبض المعنى في البيت نبضاً

---

(١) قرت : اخذت

يشعر بحياته مهما أدّى ذلك إلى تمرين اللغة على تصوير المعاني الجديدة ، واللغة العربية صالحة لتصوير دقائق المعاني والأخيلة غير عاجزة كما يتهمها المسرفون في التجديد ، وإن الذين يريدون قصر الصياغة على النمط القديم يظلمون العربيـة في الصميم من حيث لا يشعرون ، لأن معنى هذا قصورها عن مجـاراة الفنون الحديثة والحضارة الراهنة ، واللغة تبرأ من ذلك ، ومهما أثار ذلك استخفاف الذين تختلبهم زينة اللفظ وتأسر جلجلة الاساليب فيتهمون شعر أبي شادي بضعف الأسلوب ويغفلون عن اتهام العرف الذي طبع في نفوسهم صور الاعجاب باللفظ وزخرفه مهما سخف المعنى . وقد طالعت شعر أبي شادي وكنت في نشوة ساكرة من أخيلته الرائعـة التي لا تتسع لها آفاق الحياة ، ومن الانصاف للحق أن أنبّه إلى طرَف من شعره بالينبوع يعتبر آية في الصياغة وينسجم كل الانسجام مع الاساليب العربية الساميـة وقد يبزّها في بعض الأحايين . اسمع اليه في قصيدة «فلسطين الثائرة» تلك الأبيات المقتبسة :

وثائرة في نخوة العُرْب آمنتْ ... بعزّتها بالرغم من كل أعجمي

مشتْ للردى في جحفل من شيوخها ... وشبانها في وحـدة لم تُقسَّمِ

تَهَشُّ لممطور الرصاص كأنه ... سَخِيٌّ من الوَسْمِيّ للرائد الظَّمِي

والرجل يحب العربيـة وأساليبها ويدافع عنها في كل موقف حتى لترى ينبوعه يتسلل في بعض قصائده فينتهي إلى أبي نواس والمعتمد بن عباد فتتآلف صياغته ومعناه مع بيتين لكل منهما فلا تكاد تمايز بينهما لولا التنبيه عنه في هامش الصحيفة . ترى مثلا من ذلك في قصيدة « الدهر الساخر » التي تنتهي ببيتين للمعتمد بن عبّاد الشاعر العربي :

سمعنا صياح الدَّهْرِ في الرعد ساخراً ... بأبنائه والدهرُ يوغل في السُّخْرِ

لقد جعل الزِّنْديقَ في الناس مؤمناً ... كما جعل الايمانَ لوناً من الكفرِ

وبدّلَ من مقياس كل حقيقة ... وتوّجَ إحسان البريّةِ بالغدرِ

وما فاه إلا للخؤون بحكمةٍ ... ويا ما أقل الوعظ والصدق للدهرِ :

( لئن كانت الدنيا أفادتك ثروة ... فأصبحتَ منها بعد عُسْرٍ أخا يُسْرِ

لقد كشف الاثراء منك خلائقاً ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقرِ )

وقصيدة «المرسم» صورة بيانية جديدة ترفُّ بموسيقاها الجميـلة على الروح

فتسكرها وتنمّ عن غرام الرجل بشعره وقوة دفاعه الروحى عنه وعن ولعه بالأشعة والأضواء والأطياف :

يا مَرْسَمَ الألوانِ والأضواءِ　　　هلا ادّكرتَ خصاصةَ الشعراءِ
ارصدْتَ للمتيمِ المصوِّرِ بينما　　　نحن الأحقُّ بأنفسٍ ومَرائى

قصيدة «التجدّد» (صفحة ١٩) من هذا الديوان صورة من حياة الشاعر تريك أنه دائم التجدد زاخر بالعواطف ، ملتهب ، جياش ، مشبوب الخيـال رغم ازورار الشباب عنـه ، مرهف الحسّ ، ينبوعه لا ينضب ، ووحيه لا يفتر ، فى خياله قوة العاصفة ، وعمق البحر ، وطلاوة الضحى ، وصفاء النور ، وحلم الفجر ، وهو بعد كل ذلك لائم لنفسه على تقصيرها خجول أمام إلهامه الذى يريد أن يستغل كل حياته :

لاموا شبوبَ عواطفى وتخيّـلى　　　وتدفّقى بالشعر ملءَ شعورى
وأنا الخجولُ أمام ما أنا ناظرٌ　　　مِن كلّ مُوحٍ بالغِ التأثيرِ

فهل تنتظر بعد هذا من أبوشادى فراغاً يرصّع فيه الأسلوب ويقف بخياله عند الحدّ الذى تعبّر عنه الأساليب القديمة ؟ !

القاهرة :　　　محمود حسن اسماعيل

# الينبوع

## كلمة ختامية

بقلم صاحب الديوان

# شعر الجيل

لما أصدرت الأديبة الناقدة إمى شارب فى سنة ١٨٩١ م . كتابها البديع عن الشعراء الفكتوريين ( Victorian Poets ) - أى الذين عاصروا الملكة فكتوريا، وعصرُها عصرٌ حافلٌ بالأدب - أشارت فى مقدمته الى اعتبارات نقدية وجيهة نبسطها فيما يلى : —

( ١ ) انّ الشعر لن تُعرفَ روحُه الحقيقية ما لم يتقدم اليه الناقد بعطفٍ واحترامٍ وخشوعٍ ، وأمّا التعصب ضدّه من البداية والاشمئزاز منه فما يقضى على قُدرة النفاذ الى لبّه وتمييز غثه من سمينه ، فليس التحاملُ مشكاةً للحقيقة بل قبراً لها .

( ٢ ) انّ دراسة شعر العصر لها ميزة الوقوف على لغته وتاريخه وعاداته مما يجعل البصر بآثار الشعراء صحيحاً ويجعل هذه الدراسة نابضة بالحياة ، بعكس دراسة الشعر فى عصر قديم : فانها تحتّم أولا الوقوف على تلك التفاصيل قبل التمكن من النقد النزيه لأن من الحتم ربطَ الشّعر بالمناسبات المشتقة من تراجم أصحابه .

( ٣ ) انّ الشاعر كلما كان مبتكراً أصيلاً صعب على بيئته فهمه وتقديره فى البداية وقد تعوّدنا التهكم على بُرود العصر الذى لم يدفع ثمناً «للفردوس المفقود» أكثر من اثنى عشر جنيهاً والذى لم يحفل بشعر وردزورث ، ولكن اذا كانت البيئة قادرة على التسامى الى منزلة العبقرى فانّ الحاجة الى اظهار مواهب العبقرى وتتويجها تكون حينئذ هينة .

( ٤ ) انّ الخطر من دراسة الشعراء فى عصرهم يرجع الى التغالى فى تقديرهم والاصغار من شأن العصور الأخرى وشعرائها ، ومثل هذا الخطر يجب التحرّز منه .

( ٥ ) انّ صُحبةَ الشعراء هى خير مدرسة للتعرّف اليهم ، لأنّ الوقوف على طباعهم وعلى دقائق المؤثرات الموحية اليهم والمغذية لنبوغهم أوعبقريتهم يساعد خير المساعدة على الحكم على أعمالهم المعبرة عن شخصياتهم وسيرهم .

( ٦ ) انّ مجموع الحسنات لصغار الشعراء المقلدين ذخيرةٌ أدبيةٌ عظيمة لايجوز بحال اغفالها ، والحفاوة بشعرهم ودراسته مما يساعد فيما بعد على دراسة كبار الشعراء . ولو أقدم الجمهور أولاً على العناية بأولئك المقلّدين المجددين لاستساغ فيما بعد كبار

الشعراء بعكس الحال فيما لو رُعى أولاً بمحاولة دراسة الأخيرين مما قد يؤدّى به الى كراهية الشعر على الاطلاق !

***

رجعتُ الى هذه الملاحظات على أثر فراغى من الامعان فى الدراسات الادبية النقدية التى اقترنتْ بهذا الديوان والتى أشرتُ اليها فى تصديره ، فانها فيما أعلم من أنحاء أمثال هذه العوامل التى تأثر بها الزملاء الأفاضل الذين تقدّموا لدرسه ونقده . وقد تناول كلٌّ منهم بحثاً يُعدُّ فى حكم المتخصّص فيه . ومن الانصاف أن اقول إنّه من النادر فى هذا الزمن أن يؤدّى الاعجاب المتبادل بين نفرٍ من الشعراء الى مثل هذه الرغبة فى التحقيق والانصاف ونصرة الأدب ، فالروح السائدة هى روح الاصغار والتحامل والتحاسد والإثرة : وهى روح لا تساعد على الوقوف على نماذج الجمال المتنوّعة، وخيرٌ منها ألف مرة « المغالاة » التى أؤاخَذُ عليها فى شغفى بالتفتيش عن الجمال المستور فى كل شيء . . . بيد أنى أنتسبُ الى مدرسةٍ اشتراكيةٍ فى الأدب تؤمن بالتعاون إيماناً لا يضحّى بالشخصية ولا بالآثار الذاتية لأىّ فنّان ، وانما تنزع الى التساند على اظهار المواهب المتنوعة وتعترف بأن صُوَرَ الجمال غير محدودة ، وأن جميعها جديرةٌ بأن تتبوّأ مكانها تحت الشمس وأن أهلها حريّون بمنازل الكرامة ، وبعكس ذلك المدارس الفردية التى تُخلَق لعبادة الأصنام وتحارب بعضُها بعضاً، لأنها تحفل قبل كل شيء بتمجيد زعمائها بل لم تُخلق أصلا إلا لتمجيدهم ، ومن أجلهم ومن أجل أهوائهم تقوم الخصومات والحروب بين فريق وفريق على غير فائدةٍ خالصةٍ للأدب ذاته !

فالحفاوةُ بشعر هذا الديوان فى حدود النقد الأدبى انما هى حفاوة بشعر الجيل الذى تعوّدَ النقادُ من قبل إصغاره متطلّعين الى الوراء ، مشغوفين بتقديس القديم وحده . . . فمن علامات التطوّر السليم أن يُحفَلَ جدّياً بنقد الشعراء المعاصرين وتقديرهم ، وأن يكون نصيبُ شعرى من ذلك نموذجاً للتقدير العام للشعر العصرى ، وإنْ لم يزلْ بَعدُ هذا التقديرُ فى بدايته . وهذه هى الروح التى تعنينى ، وفيما عدا ذلك فلن يُرضينى على الاطلاق تمجيدُ أدبى على حساب أىّ أديبٍ آخر ، بل يَسرّنى كل السرور التغنّى بتفوّق أقرانى وإبراز مواهبهم . ولولا احترامى لحرية الرأى والنقد لما أبحتُ شيئاً من الاشادة بشعرى مما أعدّه فوق كفايتى وأنسبُه الى سماحة زملائى النقّاد والى نُبل نفوسهم الحرة الشاعرة .

انى لعظيمُ الرجاء فى الشباب الذى أعدّه روحَ الجيل الحاضر وأمل المستقبل ، وما نحن الا حلقة اتصال بينه وبين تراث الماضى المجيد ، وقد أوشكنا أن ننتهى من تأدية الامانة اليه بعد أن أضفنا اليها غاية مجهودنا الصغير . وليس من الرجاحة أن نُغالى فى تقدير هذا المجهود وفى تقريظ شعر الجيل الحاضر ، ولكننا لا نقول غير الانصاف اذا صرّحنا بأن الشعر العربى فى هذا العصر قد بلغ عند أقطابه ونابهيه غايةً لم يظفر بمثلها من قبل بل لم يحلم بها . وان من نماذجه الراقية ما لا يقلّ عن أسمى الشعر الغربى إن لم يفُقها شأناً .

وليس عجيباً أن يتنكر الجمهور أولا لكل تجديد، فقد تغافلَ زمناً عن مطران وشكرى والعقاد وامثالهم ، وما يزال بين افراده من يتوهم ان هؤلاء النابهين معدودون بين الشعراء ظلماً! فما من أمة الا وتمثّل فيها هذه المآسى وعلى الاخص نحو شعراء الشباب ، وقد أنكرت البيئات الجامدة من قبل شاعرية ابى العلاء المعرى وابن الرومى ومارلو وشيلى وكيتس وكثيرين غيرهم من اقطاب الشعر العالمى .

وأظهر الأمثلة لِعَزاء شعراء الشباب ما لاقاه أمثال مارلو (صديق شكسبير ومرشده وإمام الشعر المرسل فى قومه ومبدع التراجيدية فى الأدب الانجليزى ) وشيلى ( الشاعر الغنائى الحرّ الفنان الذى حُرِمَ حتى ابراز اسمه على قصائده ومؤلفاته وكانت تُغفل اغفالاً ) وكيتس ( قرين شيلى فى ليريكيته وابداعه وفتنته بالطبيعة ) من العنت والإصغار والتحامل عليهم ، ثم أصبحوا فى ذمة التاريخ من كواكب الشعر الخالدة وفخر أُممهم !

وفى الحقّ لا موجبَ لأسف الفنان ولا لعزائه ، ما دام يُعنى بفنّه وحده ، فيرغم البيئةَ عاجلا أو آجلا على مسايرته ومطاوعته بدل أن يرضخ هو لها ويضحى بفنه . ولو أجمع شعراء الجيل على هذه القاعدة لارتفعوا بمستوى الشعر ارتفاعاً عظيماً ولأنصفوه أيّما انصافٍ وأنصفوا معه أنفسهم وزمنهم وأمتهم . ولكنّ ضعف النفوس والفتنة بالألقاب والتقريظ ، والشغف بانشاء الاحزاب الشخصية ، والتزلف الى النقاد والجهلاء ، والتفنن فى المنافسات العقيمة التى لا تمتّ بصلة الى الفن — كلّ هذه العوامل أساءت وما تزال تسىء الى النهضة الفنية التى نعمل لها .

ولقد نادينا تكراراً بمثل ما نادت به إِيجى شارب فى جيلها منذ نيف وأربعين سنة عن أهمية العناية بالشعر العصرى ووجوب الاتّصال المباشر بشعراء الجيل والوقوف عن كثب على المؤثرات والعوامل المكيِّفة لشعرهم حتى تجىء الدراساتُ النقديةُ

صادقة نزيهة مستوعبة أدقّ الاستيعاب لابداع أولئك الشعراء، كذلك نادينا بواجب الحفاوة بجميع الشعراء صغارهم وكبارهم على السواء، إذ لو لم يكن لكل شاعر صغير مقلٍّ سوى قصيدة أو اثنتين رائعتين لنجمتْ لنا من حسناتهم ثروة فنية عظيمة فى حين أننا لا نغنم شيئاً بتجاهلهم بل نكون ويكون معنا الأدبُ من الخاسرين.

ولا أنكر أن كثيرين ينتسبون الى النقد الأدبي وهم لا يعرفون شيئاً عن أصوله، وعلى دعاية هؤلاء تقوم بين وقت وآخر هَبَّةُ الفتنةِ بالامارات والزعامات الشعرية، وإلهاء الشعراء عن أعمالهم الفنية الصحيحة، وإشغالهم بالعرض دون الجوهر، بل تعريضهم لما يُنافى كرامتهم والروح الفنية التى يجب أن تكون وحدها نبراسَهم.

وقد بلغ الجهلُ ببعض النقّاد أن لا يفرقوا بين اجتماع الفنون وافتراقها، وبين الشعر والنظم والنثر والموسيقى! فاذا قلت لهم إن كلاًّ من البحترى وشوقى موسيقار قبل أن يكون شاعراً، وأن كلاًّ من ابن الرومى ومطران شاعر قبل أن يكون موسيقاراً أسقط فى أيديهم! .. ويصعب على أمثال هؤلاء أن يفهموا أن النظم يقابله النثر، وليس الشعر هو الذى يقابل النثر. فانّ الشعر جوهرٌ وليس صياغةً وقد يوجد فى النظم والنثر على السواء، وإنما الشاعر يلجأ الى النظم بفطرته فى كثير من الاحوال ليستعين بموسيقيته على الاستهواء — استهواء نفسه المتأثرة المعبّرة ثم استهواء قارئيه عن طريقها ... أن بعض الشعراء يكون موسيقياً بفطرته فى كل شعره تقريباً فيجتمع له فنّان مثل اللورد تنيسون وبذلك يزداد تأثيره على قرائه، ومعظمهم لا يخلو شعره من اجتماع الشعر الاصيل بالموسيقى فى بعض النماذج، وآخرون تجد الشاعرية القوية هى وحدها البارزة فى شعرهم، كما أن بعض الشعراء ينبغ فى فنين أو أكثر مثل روزيتى وجبران، فقد كان كلاهما شاعراً بارعاً ومصوّراً، فاذا أخرج الشاعر ديوان شعر جامع بين الروح الشعرية القوية والموسيقى اللفظية الرائعة والصُّوَر الفنية الساحرة فانّ اجتماع هذه الفنون الثلاثة يكون عظيم الأثر فى نفوس الأدباء، ولكنّ الناقد الأدبي الذى يفتّش عن الروح الشاعرة لا يعبأ بكل هذا وإنما يعبأ بالروح الشاعرة وحدها. مثالُ ذلك الناظر فى ديوان عبدالرحمن شكرى نظرةً شعريةً بحتةً فانه لا يهمّه أن يكون ديوانُه مطبوعاً على ورق رخيص مجرّداً عن الرسوم الفنية، ولا أنّ ألفاظه بعيدة عن موسيقى الرنين المألوفة، وانما كل ما يعنيه أن يضع يده

على شواهد الشاعرية العظيمة فى كل صفحة من صفحات الديوان ، وحينئذ يصيح قريراً : هنا تطوف روحُ شاعرٍ عظيم !

وقد بلغ الجهلُ والخلطُ بكثيرين ممن يتصدّون للنقد أن لا يفقهوا أنّ من رائع الشعر ما يسكن النثر ، وأن للنثر موسيقية خاصة فاتنة ، كما ترى فى مقطوعات أمين الريحاني وحسين عفيف وتوفيق مفرج وفى آثار غيرهم من الشعراء الناثرين ؛ وأن موسيقى النظم كثيرة التنوّع حسب الأوضاع والمناسبات، ويجب أكيداً أن تتنوع. وبلغ بهم الشططُ أن لا يفهموا معانى التصوّف فى الشعر ومنزلة المرآة فى الفنون ، فصاروا يؤاخذون حيثما ينبغى أن يمتدحوا ؛ وفُتنوا بحلاوة الألفاظ أو برنينها الفتنةَ التقليدية المعهودة فباتوا يصفون صاحبَ الرنين الحلو بالشاعر العظيم بدل أن يُنعت بالموسيقىّ مثلاً ؛ وصاروا ينسبون الى عبقريات الوصف المعانى الشائعة ما دامت تنتظمها الموسيقى اللفظية ، ويكفرون بآيات الشعر التى لا تكون فى نظام من الموسيقى التقليدية . . . ولو كانت هذه الروحُ الضالّةُ مسيطرةً على رجال الفنون جميعاً لما قامت لنا قائمة ، فانها روحٌ لا تتطلب الكمال وانما تتشبث بكل عتيق مألوف ولا تعرف معنى الابتداع الفنّى وإن تشدّقتْ به . لذلك يجىء نقدُها رخيصاً عاثراً بل ميتاً لا جدْوَى منه.

وأين هذا من تَشَدُّد الغربيين فى النقد ؟ أين سونبرن الآن بل أين استاذه فكتور هوجو ، وما أدراك مَن سونبرن وفكتور هوجو فى زمنهما ؟ ! بل انّ سونبرن فى نفس زمنه برغم عظمته الليريكية وتمجيده الشعرى للطبيعة وبعثه للتراجيديا الاغريقية وبرغم عبقريته الدرامية كما ترى فى ملحمته (أطلنطا فى كاليدون) كان معدوداً موسيقاراً أكثر منه شاعراً ، وهو هو صاحب هذا الشعر الفلسفى البديع :

From too much love of living,
　From hope and fear set free,
We thank with brief thanksgiving
　Whatever gods may be
That no life lives for ever;
That dead men rise up never;
That even the weariest river
　Winds somewhere safe to sea.

وهذا البَطرُ من الغربيين هو دليلُ ثروتهم . ونحن لا ندعو الى التّشبّه بهم في ذلك ولكننا ندعو الى الإنصاف وحده ، فلا يُحجَرُ على الشعراء ولا تُبخَس أعمالُهم قدرها . وذلك في مصلحة الجمهور نفسه ، لأنّ الفنّ ذاته لا تعنيه العقبات الوقتية ولا جحود البيئة إذْ سوف ينتصر في النهاية سواء أفي هذا الجيل أم فيما بعده . فالفنُّ معنى حيٌّ خالدٌ . وإنما الخاسر بالتغاضي عنه هو وحده الجيل المتغاضي .

ومن الزراية بالشعر أن يعيّن بعضُ النقّاد للشعراء الموضوعات التي يجب أن يحصروا اهتمامهم فيها بينما مِن حقّ الشعر كفنّ أن يقول ما يشتهي ما دام يقول ذلك في أسلوب جيّد ، على حد تعبير سوينبرن نفسه . وكم أُلقيت التُّهم المرذولة جزافاً على شعراء لا يعنيهم غير التسامي بالأدب وتقديس الجمال ونقد الحياة نقداً صادقاً وخَلق المُثُل العُليا . كذلك من الزراية بالشعر والشعراء أن يقال إن في النثر غُنيةً عن الشعر كأنما النثر مقابلُه أو منافسُه ؛ وينسى هؤلاء المتصدّرون للنقد والارشاد أثر الفنون الجميلة ( والشعر بينها ) في تهذيب الأمم أحسن تهذيب بتثقيف العقل الباطن الذي لا تُنسب ويلات الانسانية الا الى جموحه ، لأنه جماع الغرائز ومَكمنُ الانسان البدائي . . . ومن نكد الدنيا على الشعر والشعراء أن يلاموا على تآلفهم وتعاونهم الأدبي والمادي وإن احتفظوا كلّ الاحتفاظ بمذاهبهم الحرة وشخصياتهم وانتاجهم المستقل ، بينما كثيرون من شعراء العربية أسوأ حالاً من الشاعر [illegible] لبسليه الذي أعلن عزمه على الطواف في شوارع باريس ليبيع ديوانه الأخير ( [illegible] ) . . .

ان شعر الجيل هو الشعر الصميم الصادق المطبوع ، وهو جوهرٌ في ذاته له قيمته السامية ، كما لكلّ فن يقترن به قيمته الأخرى ، وشعراء هذا الجيل يأبون تحكم الغرض والتقليد والقصور في الفنّ وإن رحّبوا كلّ الترحيب بالنقد الفنّي الدقيق . فمن شاء أن يتذوّق هذا الشعر ويقدره فليقرأه بروح الشاعر وبروح الشاعر وحده ، والا فليكتفِ بنظم القرون السوالف ولا أقول بشعرها فشعرها أيضاً حيٌّ خالدٌ ، ولن يعرف قيمته غير ذوي البصر بالشعر الصحيح .

ولا يسعني أخيراً الا تكرار الشكر للزملاء الشعراء المبرّزين من تونس والعراق ومصر الذين تضافروا من شتى النواحي على دراسة هذا الديوان بنفوسهم الصافية الكريمة ، فجاءت دراساتهم تحية للشعر العصري عامة لا لشعري وحده ، وأرتقب

باطمئنان من اطراد الرقيّ الثقافيّ في بيئتنا أن لا يحتاجُ مثلُ هذا الشعر في المستقبل الى أمثال هذه الدراسات، إذ يُصبح شذوذُه مألوفاً ويستدعي الانتباهَ بدلاً عنه شعرُ الشباب الوثّاب ، وهذه هي السُّنّةُ الطبيعيةُ للحياة . فليكنْ إذن هذا الديوانُ وما سبقهُ وما سوف يتبعهُ من دواويني بين درجات الرقيّ للشباب الشاعر المتسامي الى الكمال ، لا منبراً لشهرتي الخاصة التي قد بلغتُ منها الكفاية، وهي ما يسأمُ الفنّانُ المتجرِّدُ لفنّه .

# تصويبات

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| (هـ) | ٧ | باستيعات | باستيعاب |
| (هـ) | ٢٦ | من هذا | ومن هذا |
| (ر) | ١٧ | twrilight | twilight |
| (ح) | ١٧ | طبيمية | طبيعية |
| (ن) | ٢٧ | يعاونون | يعاونون |
| (ف) | ٢ | لم يعهدها | لم يعهدها |
| (ف) | ٧ | ثورته | ثورته |
| (ف) | ٨ | تبحث | فتحت |
| (ر) | ١٩ | بعيد عنا | بعيد عنها |
| (ش) | ٩ | قُدُمّاً | قُدُماً |
| ٢ | ١٢ | فيعودُ | فيعودَ |
| ١١ | ١٦ | العريز | العزيز |
| ١٦ | ٦ | الضّوء | الضوء |
| ١٩ | ٩ | لد | قد |
| ٢١ | ٥ | تحرُّر | تحرّر |
| ٣٥ | ٧ | أبن | أين |
| ٣٦ | ٤ | الحُبّ | الحُبّ |
| ٤٣ | ١١ | يتباهى | يتناهى |
| ٤٦ | ١ | | مشوّا |
| ٥٧ | ٤ | رات | رأت |
| ٥٩ | ٥ | ليستْ | ليسَ |
| ٥٩ | ٧ | أمّا | أمَا |
| ٧٠ | ٢١ | السار | السائر |
| ٧٣ | ١٧ | لهو المقادير | لهو المقدار |
| ٧٤ | ١٨ | الماع | المتاع |
| ٧٦ | ٧ | لن | لأن |
| ٨٠ | ١٧ | تحلتى | تجلتى |
| ٨١ | ٩ | عدلَها | عدلُها |
| ٨٢ | ١١ | حاوّة | حافة |
| ٨٧ | ٣ | العبُدان | العُبدان |
| ٩٠ | ٢ | انسيت | انسيت |
| ٩٣ | ٢ | وهي | وهي |
| ١٠٣ | ٨ | أنا سائحٌ | إنني سائحٌ |
| ١٠٨ | ٨ | تلكا | تلكأ |
| ١١٠ | ٢١ | تكلّف | تكلُّف |
| ١١٢ | ٦ | ب | بي |
| ١١٣ | ١٠ | أملٌ | أملاً |
| ١١٥ | ٨ | فكانّ | فكأنّ |
| ١١٥ | ١٣ | والّم | والهمّ |
| ١١٦ | ١ | يا أبنائي | يا أبنائي |
| ١١٦ | ١٩ | بنتُ | بنتَ |
| ١١٨ | ٤ | القَدماء | القُدماء |
| ١٢٠ | ٣ | تَضجُ | تضجُّ |
| ١٢٤ | ١٣ | تجرُّتها | تَجرّتها |
| ١٢٥ | ٢ | ركوا | تركوا |
| ١٢٥ | ٢ | ودليلا | وذليلا |
| ١٢٥ | ١٢ | ضحيّتهُ | ضحيتهُ |
| ١٢٥ | ١٨ | رهنَ | رهنُ |
| ١٢٧ | ١١ | النّبل | النّبل |
| ١٢٩ | ٢١ | مفتّنا | مفتّتنا |
| ١٣٧ | ٢٧ | فيحلّه | فيحلّله |
| ١٣٨ | ١٩ | الحساسيّة | الحساسيّة |
| ١٤٠ | ٥ | تذوق | نذوق |
| ١٤٠ | ٧ | شبهٌ | شبّه |
| ١٤٠ | ٢١ | صف | يصف |
| ١٤٠ | ٢٥ | م | ثم |
| ١٤٣ | ٩ | أية | أيةً |
| ١٤٤ | ١٢ | عن | على |
| ١٤٥ | ٨ | هذه | هذين |
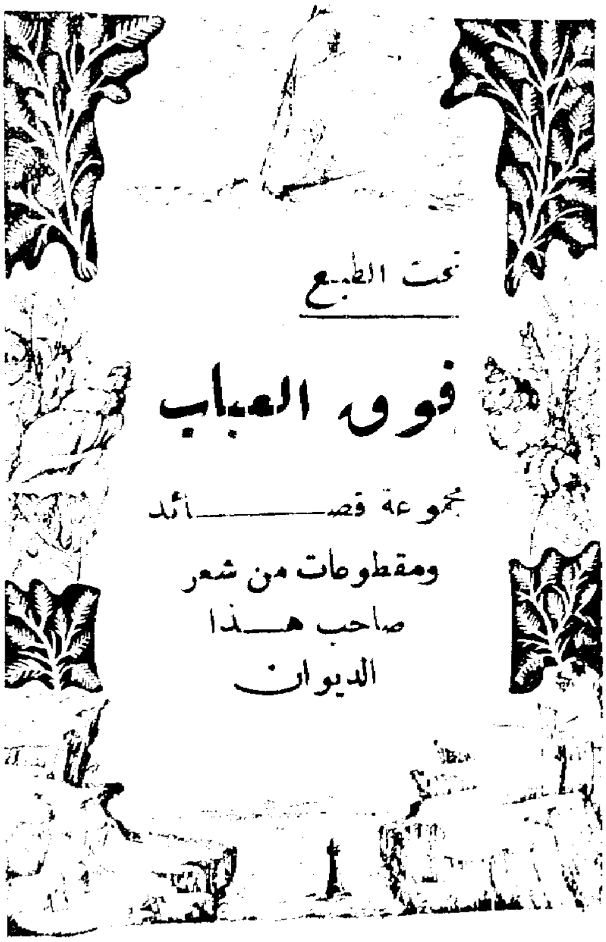
| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
| --- | --- | --- | --- |
| ١٤٧ | ٨ | يُعَدْ | يُعَدّ |
| ١٤٧ | ١٢ | انتاحه | انتاجه |
| ١٥٠ | ٤ | كلما أقصوا | أقصوا |
| ١٥٢ | ٦ | أيَه | أيُهُ |
| ١٥٢ | ١١ | وُفِّق اليه | وُفق له |
| ١٥٣ | ٢١ | التذليلْ | التذليل |
| ١٥٦ | ٢٧ | سياسة | سياسية |
| ١٦١ | ١٨ | فضله | فصله |
| ١٦٣ | ١٢ | تفقدت | وتفقدت |
| ١٦٤ | ٨ | الحاسدون | الحاسدوه |
| ١٦٥ | ٦ | ويستحسن | ويستهجن |
| ١٦٥ | ١٩ | « الشعر » | أن « الشعر » |
| ١٦٦ | ١١ | أبي شادى | أبي شادٍ |
| ١٦٧ | ٣ | خالوية | خالويه |
| ١٦٨ | ٢٣ | دخان | دخنان |
| ١٨٤ | ٢٦ | يُعَلى | يُعَلّى |